الجزء الأول
الإفراك
في حوض الدلائل في حكم موالاة أهل الإشراك
شرح لرسالة «الدلائل في حكم موالاة أهل الإشراك»
للشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب
رحمهم الله تعالى وأجزل لهم المثوبة والمغفرة
تأليف
أبي عزير عبد الإله يوسف اليوبي الحسني الجزائري
تقديم
الشيخ العلامة الفقيه الأصولي، اللغوي المربي، الأستاذ الوالد
«محمد بن إبراهيم شقرة أبو مالك»
دار الحديث

في حوض الدلائل في حكم موالاة أهل الإشراك

الإفراك

في حوض الدلائل في حكم موالاة أهل الإشراك

شرح لرسالة «الدلائل في حكم موالاة أهل الإشراك»

للشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب

رحمهم الله تعالى وأجزل لهم المثوبة والمغفرة

تأليف

أبي عمر عبد الإله يوسف اليوبي الحسني الجزائري

تقديم

الشيخ العلامة الفقيه الأصولي، اللغوي المربي، الأستاذ الوالد

«محمد بن إبراهيم شقرة أبو مالك»

الجزء الأول

دار الحديث

تقديم

الشَّيخ العلاَّمة، الفقيه الأصولي، اللّغوي المربي، الأستاذ الوالد
«محمد بن إبراهيم شقرة أبو مالك»

«الدِّيبَاجَة العُزَيْرِيّة الثَّانِيَة»

نعم، سيِّدي، لازلت أذكر ذلك اليوم الذي نعمت فيه بسماع صوت الابن العزيز «أبي العُزير» أُلقيَ إليَّ من مكانٍ بعيد، وخلته وقد وضع رحله علىٰ عتبة طاولتي الصغيرة، التي أكتب السطور التي يفتح اللَّه بها عليّ، طاعةً لقلمي الذي لا أحسن إلا طاعته بعد طاعة اللَّه وطاعة رسوله، وٱستجابةً لأَزِّ حبّي، الذي علقت حروف أزّه حوافَّ هذه السطور التي أمكنت لشفاهها منها، وألانت عصيَّتها بِرُضابها، وغَدت من نَميرِ ربِّها علىٰ أَخذ منها وعطاءٍ، يلذُّ بأَخذٍ تارة وعطاءٍ تارة بتقدير من شوقٍ لمستقبل، وحرمانٍ يحرص به علىٰ قطعٍ من ذلك الشوق، وما كان لمثلي وأَنا أُبصر بنطع ذلك الشوق إلَّا أن أُخلد إلىٰ هجعةٍ من هزيع الليل الآخر، لِأَتعرَّف شيئًا أَقدر عليه، وهو مني علىٰ قربٍ تارة، وعلىٰ بُعدٍ تارة أخرىٰ، فهو أشبه ما يكون بين راضٍ يطمعني بهواه، وبين غاضبٍ يصدّني بجفاه، وأنا لست بينهما علىٰ أملٍ يكون، أو مُصانعٍ لرجاءٍ يُقبل، فما أَضلني إِن أَنا أَخلدت إلىٰ تلك الهجعة التي

تنَبتّ فيها طاقتي، أَو تتبعثر فيها رجوتي، ثم لا أَقوىٰ من بعدها علىٰ قطعةٍ من قطع ذلك الشوق الذي شددت به أَزري، لأَنال بعضًا مما كنت أُرجيه، بل مما كنت أُؤَمّل مما أُصانع في سرٍّ أَو إِعلانٍ، لأجعل من قلبي ومن قلمي مُدَّخلاً تأْوي إليه صنعةُ ذلك الباسل الأَمين، الذي خرجَ بروحه من بلده مهاجرًا إلىٰ أرضٍ لا يملك فيها حفنةً من ترابها، ولا قبضةً من رملها، ولا جرابًا من هوائها، ولا لفظةً من غريب صريفها، حتَّىٰ إذا ما وقف علىٰ بابٍ من أَبوابها نثر ما في جرابه فبقي حزنًا لابثًا في صدره لا يفارقه، ولا يخطر بالبال، وجعل ينظر إليه وهو متفرِّق علىٰ الأَرض الغريبة التي وقف عند بابها، راجيًا أن يلمح في الأفق القريب منه أو البعيد عنه، ما يصيب به ولو ومضةً من أَمل تبرق في حنايا صدره، يمضي بها ليصيب ولو حبّةً من خردلٍ تؤمِّله في رؤية ذلك السيّد البشير النذير، الذي عبَّ قلمه من رضاب الحروف العربية التي تفرقت أو قل ٱنتشرت عند واحدٍ من أبوابها، يؤمِّل أَن يجد من فوق ترابها ورملها ما عسىٰ أَن يسكِّن من لواعج الغربة الشاقّة التي تشتد إِطباقَتُها عليه يومًا بعد يوم، ولا يجد له من سبيل لدرئِها عنه إلَّا ما يرجوه من رحمة اللَّه أن تكلأَه، فيصعد بها إلىٰ ربِّه، يستنْزل بها بعضًا من توفيقه، يسدده علىٰ أمره، فينال مع رضوانه سبيل السلام، أَو أن يصعد قلبه إلىٰ حيث تلتقي طوائف الملائكة، يصيب منها، ما تقرُّ به عينه من غوامض أَسرارها الراضية، تسعىٰ به في طرائق الحقّ والهدىٰ، والنّور، تتجلىٰ به مدارج الصلاح وترتقي فيه معارج الإصلاح، ويكاد يأذن المؤمن وقد تجلت فيه عواصمُ اللسان وعرىٰ القلب ووشائج

الجوارح صورًا شتّىٰ، وآياتٍ طافقات بأُمنيات الحبّ تداعبُ بذوائِبها أَغصافَ الجمال، وأَفنانَ الحنين، ورعيبات الأَشواق.

فماذا أنت قائِلٌ، وأنت وإن كنت في واحدة من أَجمل بلدان الأَرض لست إلا ذلك الرجل الخارج من أرض «الجزائر»، مقلاً جرابه علىٰ عاتقه، وقد أمكن فيه لبعض متاعه، بيد أنه أَشد ما كان حرصه علىٰ ثلاثةٍ: «دينه وعقيدته»، و«عرقه ونسبه»، و«لغته وثقافته»، فهو يعلم علم اليقين، أن كل شيءٍ يضيع منه، لن يطول غيابه غير هذه «الثلاثة»، لذا كانت هذه الثلاثة مجموعةً في شغاف قلبه، موثوقةً إلىٰ صبابة عشقه، وكان بينه وبين هذه الثلاثة حوار وعتاب طويلان طويلان، ولولا أَنه، أَجاءَه الحوار والعتاب كلاهما، إلىٰ أصل الطوبىٰ لقعدت به ساقاه، وخارت منه قوته، وصار أقرب إلىٰ العجز، وما كان ليجد بدًّا من أَن يوثق جسده إلىٰ أصل شجرة زيتون مكتظة الأغصان والفروع أو شجرة نخيل ضاربة بطولها في أَجواز الفضاءِ، فلا يخطر بباله يومًا أَن يفارق تراب «الجزائر» ولا ماءَ «الجزائر»، ولا هواءَ «الجزائر»، وتكون «الجزائر»، بكل أجزاء حبِّها أقرب إليه من حبل الوريد، حتَّىٰ لو أَنه مرَّ بخاطره يومًا أن يفارقها حتَّىٰ وإن كان يكون فيه حتفه، وليس هو يطيقه، حتَّىٰ لو أَراده.

و«الجزائر» هي التي تُسعد أهلها علىٰ الدهر بشهدائها، وطباق سمواتها بدمائهم، ومعارجها بطيوب أَرواحهم، فهل يكون لمثله بمثل ما هو عليه من الأسباب التي توثقه إلىٰ الأرض التي أنبتته وملأَ صدره بحبها، وأَفاض عليه من عشقها، ونهلَ من عذب صافي نميرها أَن يفكِّر

في التحوُّل عنها.

إلَّا أن الأمر الذي شدَّ من إِرادته إلىٰ فراقها، والتحول عن كلِّ الحبِّ الذي لقيه، وكان فيها فوق طوقه، ولا تقوىٰ إِرادته علىٰ درئه، وإبعاده عن نفسه، وكان التفكير في الهجرة من «الجزائر»، أو البقاء فيها لا يفارق قلبه، بيد أن الهجرة كانت هي الأرجح عنده لأسباب لا يستطيع أَن يفصح عنها أو يجاهر بها، بل لعل كان يخشىٰ أن يتحول ذلك التفكير الذي يعرض إِليه في نفسه إلىٰ صوت جاهر، فيكون ذلك سببًا في صده عن الهجرة التي فيها نجاته، فيكون ذلك حائلاً دافقًا بالألم والفتنة من بعدُ، تكون أشدَّ ما تكون وآلام علىٰ دينه أول ما تكون.

وكان الخير في كلّ ما قدَّر اللَّه أَن يكون فكان كما قدَّر. فسبحان الذي بيده ملكوت كلّ شيء وأقدارها، ولا شيءَ من الخير يقدِّره اللَّه أَن يكون أَحسن ولا أَمثل، ولا أَكثر من خير يناله المؤمن فيما يؤتيه اللَّه من علمٍ في الدِّين، يفضي به إلىٰ ثواب الآخرة، ويردُّ عن وجهه عذاب النّار، بل لا تماثل ولا محاكاة، وإلَّا، فأين كان يكون ذلك الخير الذي جلَّل اللَّه به من طيب نعيم الدُّنيا، والآخرة ذلك الجسد الناحل الذي أنحله اللَّه ـ سبحانه ـ، ليكون علىٰ رقته ونعومة ملمسه درعًا سرودة من حديد لا يصدأ؟

وهل كان يدور بخَلد «أبي العُزير» يومًا أن تكون صنعته ككتابه الذي أخرجه للناس ليكون ميزانًا توزن به «مسائل الإيمان»، وزنًا لا يخطئ القائِس به قطّ، العارف كيف يكون القياس به، فٱستحققت أَن أُقَدِّم بتلك «الديباجة» التي جعلتها لكتابه هذا الذي ذكرته، وأَحسبني

أَني آخذُ بزمام قلمي اليوم لتكون «ديباجة ثانية» أخرىٰ جديدة، أُسعد بها قلمي، وأُسعد بها قلب الابن العزيز «أَبي العُزير»، الذي أَمسك بعصا الحقّ، وجعل يهش بها علىٰ حظيرة محفوظه اللّغوي، وحظيرة مسائل فقهه، يجمع من هذه وتلك أَحسن «الكلمات» و«المسائل» يجعلها تحت باصرة قلبه، وثغر قلمه، يختار منها ما يحبّ ويهوىٰ من غير أن يُكَفَّ عن هذه وتلك، وبلا منٍّ ولا أَذىٰ، فكان مما منَّ اللَّه به عليه، نادرته الممتعة الفريدة «الثانية»: التي سعد قلمي بديباجتها، ولعل سعادته بثانيتهما تكون بين يدي الدُّرة «الثانية»، التي أظهرها للناس حاملة ٱسمه.

وحسب الابن العزيز فضلاً أَنه ٱختار ٱسم «العُزير» ليكني نفسه به، وما أَلطفها من كنية، فأَن تكون الكنية فيها رحيق من بركة السماء، يتنَزَّل بها صاحب الوحي جبريل وقد أَرادها «يهود» أَن تكون نسبتهم إلىٰ اللَّه بها، ليكونوا بها قد حازوا شرف النسبة بالبنوَّة إلىٰ اللَّه ـ تعالىٰ ـ : ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة: ٣٠]، وما كان اللَّه ليضلهم بعد إذ هداهم حتَّىٰ يبين لهم ما يتقون، وما به تكون نجاتهم، فما أَجمل تلك «الكنية» التي حرص عليها الابن «أبو العُزير»، وقد أَراد أَن يدلل علىٰ سلامة «المنهج الفكري» الذي أوقر به «أبو العُزير» عيبته وهو يخرج مهاجرًا وللأسف من أرض «الجزائر» المسلمة إلىٰ «الدنمارك» وهي أرض غير مسلمة، ليعيش فيها بهجرته التي يخلص بها من أرض مسلمة بإسلامه إلىٰ أرضٍ غير مسلمة بإسلامه نفسه، فيحدث بهذه الهجرة ولاءً إلىٰ اللَّه، بأنَ الأرض هي أرض اللَّه، وأن الهجرة إليها

هي هجرة إلىٰ اللَّه، وكأن الناس يسمعونه وهو يتلو قول اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ : ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾﴾ [الصَّافَّات]. وقوله ـ تعالىٰ ـ : ﴿وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓ﴾ [العَنكبوت: ٢٦].

ويشاءُ اللَّه ـ سبحانه ـ أن يبقىٰ فكر «أبي العُزير» مضمَّخًا بالعطر «الجزائري» الفوَّاح الذي لم يغب عن صدره يومًا، وظل قلمه يعبُّ من حروف لغته ومعانيها، وأَفكارها بالأسلوب نفسه، الذي أُلقي به إليه، وأْملاه علىٰ قلمه إملاءً دقيقًا، ولم يأْذن له أن يخلط به شيئًا من هرطقات العجمة الوبير **أو من سخافات «الإرجاء» المصنوعة من قذىٰ عمص أعين البلهاء من أمثال «فلان» و«فلان»**، وبقي واقفًا كالنخلة العضيد النضيد لا يلقي بالاً لتقلبات الطقس المتواردة المتعافسة عليها من كلّ جهاتها. نعم، وإن كانت عروبتها سامدةً مستخفيةً، فقد، أَولاها وجهه، وكظم أَنفاسه عنها من قرب فلا تؤْذىٰ بواحدٍ منها، فالذي يعرف حقّ عروبة ما يحمل من «فكر» أو «كلمة»، لابدَّ وأَن يكون قد عرف حقّ عروبة الوجدانات العربية التي يحملها في صدره، فيجعل لهذا الحقّ المكان الصالح الأمثل، الذي يؤْوي إليه المكنة الكافية، لشدِّ أَزره به، فيكون القيَّام علىٰ رعايته، والآخذ بناصيته، حتَّىٰ يصل إلىٰ منتهىٰ غايته، ويحقق مراده: من إحاطته «العلمية» و«العملية» بحقِّ هذا الحقّ، ولا يكون هذا الحق ثابتًا يؤَدَّىٰ علىٰ الوجه السليم التَّام، الذي يزيد من رغبة الراعيهِ، الراغب في الإِبقاء عليه، وصيانه من كلّ جهاته ومن يرىٰ أَن له حقًا عليه لا يحسن أن يتخلَّىٰ عن جزءٍ منه إلا أَن يكره من عجزٍ، لا يجد معه نفاذًا ولو إلىٰ قدر ما يقبضُ علىٰ جزء يسير منه يثبت له الحقّ

في ملكه أَو الإفادة منه علىٰ الأقل ولو إِلىٰ حين من غير أَن ينازع فيه حقًا له ولا ريب فيه.

وقد رأَيتُ في هذا الابن «الجزائري» الأَصل مولدًا ومنبتًا «أبي العُزير»، ما يطمع فيه حتَّىٰ من الذين لم يعرفوه إلا من سماع ـ فقد رأَوا فيه قدرة فائقة علىٰ صياغة الجملة الإسلامية بحرفها العربيّ، وما كان ليكون له ذلك لولا تمرُّسه بطرائق الحرف العربي، وعلوق قلبه حبّه، ولو كان في وسع أهل «الإرجاء» الذين غرقوا في حمأة «الإرجاء» الآسنة وسقطوا في لزوجته القذرة النتنة وما عادوا يقدرون علىٰ الخلوص منه، أَن يدخلوا عليه من أَي باب، ليفسدوا عليه النعمة التي أَنعم اللَّه بها عليه، ويصدوه عن السَّبيل التي أَقامه اللَّه عليها وأَمكنه من غرَّتها فيها، لكان ذلك أفرح إليهم من زيادةٍ في إيمانه وعلمه، فقد طالما أَهلك «الحسد» و«البخل» شعوبًا وأُممًا بمثل ما أَهلك «الإِرجاء» أَهله من قبل ومن بعد،

ومن أَفظع ما جلب «الإِرجاءُ» علىٰ أَهله وللأمة، ذلك الهطلَ الأَسودَ الذي ملأَ الأَرض العربية، علىٰ رحبها بالشرور والآثام، وأَنا علىٰ مثل اليقين، أَن هؤلاء «القطعان» الهائمة بنتنها، ووخمها، وزحافها، وكريه ريحها، وما تلقيه وتخرجه من أَجوافها وأَدبارها، فٱنظر صنيعهم، **وٱنظر من بعد إِلىٰ صنيع الابن الجزائري «أَبي العُزير» المهاجر، بلغته ودينه، ماذا أخرج للناس، من نفائس «الفقه» و«اللغة» و«الشريعة»... أَليس يكون حريًا أن يكرَّم، وأَن يشاع في الناس ذكره؟!**

لقد واللَّه حقَّ لأبننا «أَبي العُزير» أَن يباهي بما سدَّد اللَّه به وإليه قلبه، وبما هدي إليه من كرائم «العلم»، وفواضل «العقيدة»، وسوامق

«الأَفكار» ومحاسن «المعاني»، والفضل لا يعرفه لأَهله إلَّا أَهله، ومثله هم السابقون بالحسنىٰ، العارفون أَقدارهم في رحاب لغتهم التي تعجز لغات الدُّنيا جميعها عن مضاهاة السهل القريب منها، إلَّا ما يكون من بعضهم ممن وثبت بهم هممهم، حين أَشرقت عليهم معاني فتوح الإِسلام المباركة من فوق الجبال، وٱقتادتهم إلىٰ مرابع «القرآن العظيم»، وبسطت لهم نمارق ثقافة سوره وآياته، وأكرمتهم بالجلوس عليها أَمام خيار من صاروا بتلك الثقافة البصيرة الحكيمة سادة العلم، وبصراءَ المعرفة العربية قاطبة، بنثرها، وشِعرها، وتاريخها، ومعاني آدابها، ومغارس حكمتها، ومشاهد أَسواقها، ومنارات هُداتها.

ولكأَني بـ«أَبي العُزير» ـ وقد أَجمع أَمره أَن يكون واحدًا ممن تلوذ بهم ثقافة «القرآن» في بلاد العُجمة ـ فصار إِلىٰ منْزلة واحدٍ من شيوخ العربية فيها، قرت به عيونُ بني قومه، ولاذت بهم قلوبهم، ونعمت به، ولم يَدَّخِر شيئًا من إرادته، وقد أَنبأَته أَنه سيكون له شأْن في أرض «الأَعاجم» لا يحسن أَن يدعه لغيره، وقد علم أنه لا يقوىٰ عليه غيره، فندب قلبه وقلمه، يؤسِّس بهما مهادًا وسقفًا في أَرض جاءها، وليس معه في جرابه إلا النَّزر اليسير من زاد علم «العربية»، لكن إرادته جمعت له في صدره همَّةً وافرةً، موشَّاة بـ«الإِخلاص» و«الحبّ» و«الحرص» علىٰ إِعلاء كلمة «التوحيد» في أَرض لم تعرف «التوحيد» يومًا. وقد أصابت حظًّا سيعرف النَّاس الفضل فيه «لأَبي العزير»، وقد عرفوا، والحمد للَّه، من كتابه النفيس «مَسْأَلَة الإِيمَان فِي كَفَتَي المِيزَان».

ولو لا أن يُقال إِن «العربية» غدت من «العجمة» علىٰ مرمىٰ حجر

أَو أنَّ «العُجْمَة» غدت من «العربية» علىٰ صِنْفَة ثوبٍ شامرٍ، لقيل: إن من حقّ «العربية» علىٰ «العجمة» أَن تبسط لها رداءَها لِتَهَبها أَوفر حظٍّ من كلماتها فتكون به، وليت «العربية» من «العجمة» في شيء، وكذلك ليست «العجمة» من «العربية» في شيء إلا ما يكون من تحريك اللسان بهما فحسب، ولقد كان «أبو العُزير» العامل الواصل بين «العجمة» وبين «العربية» في بلاد الأَعجمين، وٱستطاع بتمكُّنِه الثقافي، وقدرته علىٰ توفير الأَسباب الواصلة بين هذه وبين تلك، أَن يعقد بين أَطراف الثقافتين، **بيد أن قدرته في العربية وأصولها، وقواعدها، وإحاطته بمعانيها، وقدرته الفائقة علىٰ صياغة التراكيب العربية في أَبهىٰ صورها الجمالية، وما كان ليكون له ذلك لولا ما ٱستودعه اللَّه ـ سبحانه ـ قلبه من مخزون الثقافة العربية، بشقّيها أو برافديها الكبيرين، «العربي» و«الدّيني»، وحسب «أبا العُزير» هذا.**

ولو كان لكلّ عربيّ بعض ما «لأبي العُزير» من المخزون الثقافي بشقيّه، ما كنا لنرىٰ ذلك العجز أو التخلّف الذي يطوف بأَرجاء الأُمة العربية، في أرضها، يوحي به إليها أَن ثقافتها الموروثة، أَصبحت عاجزةً، حتَّىٰ عن تذكيرها ببعض ما كان يجب أَن تذكِّر به نفسها، أَن بعض ما عاشت به في ماضيها القريب، وبمثل ما أَنضىٰ به «أَبو العُزير» عن نفسه ثوب العجز في بلاد «العجم»، وبينه وبين بلاده التي سقىٰ فيها ثقافته، وٱقتطع فيها قطعة أرض، وشقّ فيها جدولاً أجرىٰ فيه قناة ماءٍ صغيرة، وٱستسقىٰ بها ماءً إلىٰ أشجار غرسها في هذه القطعة تعاهدها بحسن «الرعاية» و«السقاية»، و«التقليم»، فغدت كأَنها جنةٌ صغيرة زاهيةٌ،

تشوق الناظرين إِليها، وتمتع عيونهم بتقليب أَحداقها فيها، وصارت لنضارتها، وحسنها، وتشابك أَلوانها، كأنها تمشي فوق الأرض، تباهي بما أودعها اللَّه من جمالٍ.

وأَسأَل اللَّه ـ سبحانه ـ أَن أُوفق في ديباجة هذا الكتاب «الثاني» ـ «**الإِفْرَاك فِي حَوْض الدَّلائِل فِي حُكْم مُوالاة أَهْل الإِشْرَاك**» ـ **الذي خطَّته براعة ٱبننا «أبي العُزير» ـ حفظه اللَّه ـ، وأَن يكون علىٰ نبلة سابقته، ولا أُراه إلَّا كذلك، فتكون مكتبة عزيزةٌ ممنَّعة، أنشأها ذلك المهاجر «أبو العُزير»، علىٰ حين ضيعةٍ للفكر الإسلامي النَّقي بين أهله من المسلمين، في أرضهم، وقمعٍ لآلته** وذلك يُحزنُ حقًّا، وآخذٌ بمجامع القلوب من «ألم» و«حسرة»، **فرضي اللَّه عنك يا «أبا العُزير»، كم أنت سريٌّ في مهاجرك الذي صرت إليه، بما جيءَ به إليك من طرائق «الفكر» و«الأدب»، ورونق «الكلمة»، وكفَّ عنك، وعن أهل بيتك، وعن عقلك، وقلمك، وإرادتك كلّ مكروه، وردَّ غربتك، وأوفر لك من العلم، ما يُمكِّنك من الذود عن حياض دينك، وجعلك شوكةً في حلوق شانئيك، وأَسبغ عليك عافية القلب، والبدن، والروح، ورفع منْزلتك في علِّيين، وآواك في الدُّنيا إلىٰ عِفَّة «الرضا» و«القناعة»، و«الرجاءِ» في كلّ خير يصله بك أو يصلك به فيكون لك هناءَةً في عيشك، ومرضاةً لربك، وسبوغًا في ما ترجوه من حبه وكرامته، يوم لا يغني مولىً عن مولىٰ شيئًا، وحيث لا تنفع شفاعة شافعٍ إلَّا بإذن منه ورحمةٍ**، وأَحسن ما تكون الشفاعة من بعد شفاعة الحبيب المصطفىٰ ـ صلوات اللَّه عليه ـ شفاعةُ الإنسان لنفسه بشيءٍ من صالح عمله، فتكون شفاعة، لا منّ

فيها، ولا أذىٰ، خالصة تمشي من قدَّام صاحبها، لا تَضِلُّ، وهي تسعىٰ، فلتهنأْ «أبا العُزير» **بما يكون لك من شفاعة، صانها اللَّه كرامةً لك بصالح عملٍ من عملك، ومن أحسن عملٍ ترجوه من صالح عمل هو لك عند ربك ما وفقك اللَّه ـ تعالىٰ ـ إليك، ومنَّ به عليك هو هذا «الكتاب» وشقيقه «الأول» ـ «مَسْأَلَة الإِيمَان فِي كَفَتَي المِيزَان» ـ ، تفرح بهما قلوب المؤمنين، ويكبت اللَّه بهما قلوب المنافقين الموتورين، الحاسدين الباغضين رسول اللَّه وجماعة المؤمنين، وهذا فضل اللَّه يؤتيه من يشاء.**

وبعد:

فليس عجبًا أَن يُقرأ ما يعرف بعلم «التوحيد»، وأَن تحرر مسائله، وتؤَصل قواعده وأَن يُشاع في الناس ذكره، وأَن يجري ذلك كلُّه علىٰ أَيدي علماء «الجزيرة»، وأَن يسارع طلاب العلم إليهم من كلّ أَطراف الأرض، ليأخذوا هذا العلم، وغيره من العلوم الإسلامية الأخرىٰ من حلق «المساجد»، و«المعاهد» و«الجامعات» الكثيرة التي تزداد علىٰ أَرض «الجزيرة» يومًا بعد يوم، والشيءُ من معدنه لا يُستغرب، بل العجيب والأَشد عجبًا أَن ينهض لهذا الأمر طائفةٌ أرادهم اللَّه في هذا القرن أَن يَظْهروا وأَن يُظهروا علىٰ مدرجته في قوة وعلوّ وتمكُّنٍ من ناصيته في غير موطنه الذي عرف به، وٱنتهىٰ الناس به إِليه من بعد أَن منَّ اللَّه ـ تعالىٰ ـ به علىٰ علماء «الجزيرة» وطلاب العلم، وصاروا علىٰ سدته.

والأعجب من هذا وذاك أَن يتحول هذا العلم إلىٰ أقلام طائفة

وألسنتها وقلوبها أَقلّ عددًا، نشأت بثقافتها «العربية الإسلامية» في بلاد «الغرب الأَعجمية» هاجرت إليها، أَو ولدت علىٰ أَرضها وترعرعت بين ظهراني أَهلها، وأَتقنت لغتها، وأَكنتها جواليقها، وغذتها أَرضها، وصارت لولا ما ورثته من «دينٍ» و«لغة» و«عرق» ـ ما كان مستطاعًا أن تفارقه ـ أحبَّ إِليها من أَرض «الآباء» و«الأجداد».

لكن هذا المنحىٰ كان صعبًا في صدورهم، ما هم بقادرين عليه، لا بأن يسلكوه، بل أَن يكون منهم تصور في صدورهم أَن يأَلفوه ولو لأيّام معدودات أَن يقبلوه وطنًا بديلاً يُنسيهم شيئًا من عروبتهم وإِسلامهم، وهما شعيثا عزّتهم وروق فخر نسبهم.

ومما ينبغي أن لا ينسىٰ أَن تلكم الطائفة ـ وبلاشك ـ كان بين أَفرادها من التباين والفروق ما ظل مبقيًا علىٰ الحظوظ «العقلية» و«العاطفية» بينهم، علىٰ الرغم من ٱئتلافهم بيئة واحدة، وثقافة واحدة، وعادات جديدة واحدة لم يعرفوها من قبل هجرتهم، وإِلفِهُموها في الأرض التي صاروا إِليها، ثم آوتهم إِليها كِفاتًا أحياءً وأمواتًا. وصاروا إلىٰ ٱنقطاع من الأرض التي ثرت آباءَهم وأجدادهم، لكنهم لم ينسوا ما كانوا يعرفون من أَنسابهم وأصولهم، ولم يضل عنهم ما كانوا يعلمون من الحقّ.

ومن هذه الطائفة القليلة واحدٌ شدّ رحله إلىٰ «الدنمارك» وٱستوطنها، وحفلت به، وفتحت له ولإخوانه المهاجرين ذراعيها، لما رأت منهم من أخلاق عمرت بهم أدفأت وجودهم، ونشرت آلاءهم، وأَولت أهل تلك الديار من فضائل العروبة وأخلاق الإسلام ما يعجز

تدبير المترفين من أهل «المال» و«العلم» في بلادهم أن يحدثوا من التغيير ما أَحدث هؤلاء المهاجرين بهجرتهم القسرية الصعبة التي أُكرهوا إِليها وعليها.

أما «أبو العُزير» فكان له شأْنٌ آخر، وأنعم اللَّه عليه بخير ما ينعم علىٰ صالحي عباده، أنعم اللَّه عليه بأَحسن العلم، «علم الإِيمان»، فمن كان يظنّ أنه سيصدر له عمل علمي في «مسائل الإيمان» يقف بها بارزًا بصدره في صفّ علماء «الجزيرة» يكف فيه بوقفته الحوارية المسفرة الآسرة «لٱبن فوزان»، يقول له: **ٱنظر، وهل تملك إلا أن تقول لي يا دكتور لقد أتيت بشيء ما لو كان شيخ الإسلام «ٱبن عبدالوهاب» حيًّا لما وسعه إلا أن يقول لك: تقدّم بحَذائي فإنك مني وأنا منك**، فإن كفة الميزان التي أرجحت بها كتابك الجليل الأول «**مَسْأَلَة الإِيمَان فِي كَفتَي المِيزَان**»، وأنا أعتقد أن عمل «أبي العُزير» في كتابه «الأول» قد أظهر قدرته الكافية للحكم علىٰ كتابه الجديد هذا، وهما يمثلان عملاً واحدًا جرىٰ علىٰ مرحلتين واسعتين **ٱستطاع «أبو العُزير» أن يحدث في كل واحدة منهما أفكارًا جديدة تكفي كل مجموعة منها أن تقدم قاعدةً صُلْبَةً عالية المناف، قوية الأكناف، لا تقبل السقوط ولا أَن تتفرق أَجزاءَها بعدد الأشخاص الذين ينتابون هذه الأفكار بواقع شخص واحد لكل فكرة**، وهذا قد يكون فيه ما يحمل علىٰ الذم، كما فيه ما يحمل علىٰ المدح، **ذلكم أَن «القاعدة» إذا ما كانت متماسكة إن وقعت فإنها تقع في رجّةٍ مدوِّيةٍ يكفي صوتها أن يبقىٰ عليها لا تتفرّق ولا تضعف في دلالتها علىٰ نفسها أمدًا طويلاً، وإن هي تفرقت أجزاءً،**

فإن كلّ جزء منها يكون قاعدة وحده، وهي بتقاربها وتدانيها يهدي بعضها إِلىٰ بعض، وتبقىٰ ماثلةً علىٰ الدهر وإِلىٰ أن تقوم الساعة، لتكون من قُدَّام صاحبها تهدي إِلىٰ الرشد وإلىٰ صراطٍ مستقيمٍ، ومما يمكن لها أن تبقىٰ في تجدد دائم وسعي دائب ودلالة لا خفاءَ فيها أَن يكون لها من صفات صاحبها المظهِرها قدرةٌ خاصةٌ، تزيدها إِظهارًا وثباتًا وصحة وبقاءً.

ولا أحسب إِلا أَن للطبيعة العربية «الجزائرية» التي تعرف في أَرض «الجزائر»، وتميز أَهلها من سائر أَهل الأرض العربية وشيجةً قويةً، توثق «أَبا العُزير» بما حباه اللَّه من علم تسمع له صلصلةٌ يفرح بها سامعها، وتنتشي بها نفسه، ويُقبل عليها من يعرف، بحروفها ومعانيها، «الصياغة الذهبية العُزيرية» في رواء العلم الباهر.

وكأني بـ«أَبي العُزير» يغمره الفرح الهاني وهو يسمع أَو قل يبصر علىٰ بعد الشقة بينه وبين علماء «الجزيرة» يقولون له مهنئين فرحين بعمل «أبي العزير»: **ليهنك العلم يا أبا العُزير، فما أنت واللَّه إلا واحدٌ من صنائع الميراث الأَمجد لشيخ الإسلام «ٱبن تيمية» وشيخ الإسلام «محمد بن عبدالوهاب»** رَحِمَهُمَا اللهُ، الذي أظلت سحائب آفاق بلاد الإسلام، وأوقرت بشاءه عيبات الأرض التي ٱخترطت سيوف الفتح من فوقها، وهما فيها غيث الجهاد المبارك.

فجزاك اللَّه خيرًا علىٰ ما ٱستنبتّ في كتابك هذا من فضل أذكرتنا فيه بما ينبغي أن يكون من لحمة التواصل والتعاون بين أهل العلم، وعلىٰ مثل ذلك ينبغي أن يكون التعاون بين أهل العلم.

وإني يا بُني علىٰ مثل اليقين لو أنه كان لأعمالك العلمية ظهور في حياة جلة شيوخ «الجزيرة» كـ«ٱبن باز» و«ٱبن عثيمين» رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ لأفسحوا لك في مجالسهم العالية، ولأدنَوْك منهم وحَبَوْك بواحد من مجالس الصدق الرفيعة.

وأما من كان علىٰ مثل الدكتور «ٱبن فوزان» لما كان يكون منهم إلَّا أن يسلموا أَقلامهم إليك في ٱطمئنان قائلين: **وما لنا لا نسلمك أَقلامنا، وقد أوجب اللَّه علينا التعاون مرددين قوله ـ سبحانه ـ : ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾** [المائدة: ٢]**، وأنه لا يعرف الفضل لذوي الفضل إلا ذو الفضل**. أما الذين أجرموا في حقّ العلم وأَسخطوا ربهم بظلمٍ وكانوا جاحدين حق اللَّه والناس ورعي مال الحرام فهم علىٰ مقام «العهر» و«الخنا»، فليتهم يسارعون إلىٰ توبة من قبل الموت.

وهذا الكتاب «الثاني» الذي خطَّته براعة «أبي العُزير» المباركة وهو: «**الإِفْرَاك فِي حَوْضِ الدَّلَائِل فِي حُكْم مُوَالَاة أَهْل الإِشْرَاك**» كان بٱقتران علىٰ بعد المسافة الزمنية مع درته «الأولىٰ» «**مَسْأَلَة الإِيمَان فِي كَفَتَي المِيزَان**» يشكلان توأمين جميلين مباركين، فواجب من يقرأ هذا «الكتاب» أن يقرأ «الأول»، وهو توأمه وصِنوه، **وهذا إنما يكون لمن أراد أن يجمع بينهما فيفوز بالحسنيين، ويفيد من هٰذين الصِنوين، ولا أحسب أَن واحدًا في زماننا ٱستطاع أن يُحدِث هذه الفائدة العظيمة بالجمع بين هٰذين التوأمين إلا أن يكون «أبا العُزير» أو واحدًا يكون معه صنو آخر فيشبهان صنوي أو توأمي «أبي العُزير» ـ يحفظه اللَّه ـ .**

فليحرص من أراد أن يفيد علمًا جادًّا مؤصلاً تأصيلاً علميًا قويًا

أن يجمع بين مثلي هـٰذين الكتابين ليحقق منفعة تعود عليه وعلىٰ الأمة بالخير في الأولىٰ وفي الآخرة إن شاء اللَّه.

أبو مالك
محمد إبراهيم شقرة
١٦ صفر ١٤٣١هـ
١ شباط ٢٠١٠م

إهداء

إلىٰ الذين علموا قوله ـ تعالىٰ ـ : ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ٣﴾ [الأعراف]؛ فٱنقادوا له، ولم يقلدوا، ولم ينخدعوا بزلل الكبار، وعلموا أنَّ كل قولٍ ما دون الأصلين السَّلفيين ـ أعني بهما: «الكتاب» و«السنَّة» ـ يحتجّ له ولا يحتج به.

إلىٰ الذين ٱعتقدوا في دعامة الدّين ـ أعني: مسألة الإيمان ـ مذهب السلف، فذهبوا يحقّقونها؛ وٱختاروا لأجلها الانعزال في الشُّعَب والوديان، والبُعد عن أصحاب التَّزلّف والتَّزييف للسلطان.

إلىٰ الذين صبروا وصابروا وكابدوا الصِّعاب، وذبُّوا عن الحرمات بالنَّفس والنَّفيس ـ ولولاهم لكنَّا ذمة لأهل الكفر والإلحاد ـ ، فراحوا يشترون السّلعة الغالية؛ وتتطلَّع قلوبهم لمعالي الأمور وتحوم حول العرش.

إلىٰ الذين ٱنخزل عنهم الدُّعاة ـ بٱسم الوسطية ـ وأوغلوا فيهم بالعتاب وسوء الآداب، وخذلهم المبهور بالمبهرج ـ بما جلبه الحلف اللَّدود معه؛ من عُدَّةٍ وعَتادٍ ـ ؛ فقالوا لهم: ﴿هَلۡ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحۡدَى ٱلۡحُسۡنَيَيۡنِۖ﴾ [التوبة: ٥٢].

إلىٰ الذين قيل لهم: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ١٧٣ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ

﴿لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُواْ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾﴾ [آل عمران].

إلىٰ الذين للنّداء لبُّوا، ولنصرة المستضعف هبّوا، فأذاقوا الجاسَّ خلال الدّيار السمّ، وكووا أنفه بالميسم.

إلىٰ القابعين خلف القضبان ينتظرون الفكّ، ليعدوا إلىٰ السَّفك؛ يذودون عن الحوزة؛ ليظفروا بالفوزة.

أهدي شرح «**الدَّلَائِل فِي حُكْم مُوَالَاة أَهْل الإِشْرَاك**»، كي لا ينقطع حبل الإيمان أو يصطلم، ويشتد عمود الكتاب ولا يجتث أو يخترم، ولتكون هذه الدّباجة ـ للجاسّ خلال الدّيار ـ كالتّرس يتبعثر عليها ما كدَّ فيه وجدَّ؛ ليوهن عقيدة «الولاء والبراء» فضلاً علىٰ أن يجتثها، وليجد عنوانها الأبرز ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾﴾ [يوسف].

المؤلف

المُقَدِّمَة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد للَّه الأول والآخر، والظاهر والباطن، الذي لا يبلغ وصف صفاته الواصفون، ولا يدرك كُنْهَ عظمته المتفكرون، ولا يحيط بعلمه المتدبرون في حكمته وخلقه، كما لا يستطيع أن يحصي الثناء عليه الشاكرون لآلائه، هو كما أثنىٰ علىٰ نفسه. وصلوات اللَّه وسلامه علىٰ نبيِّ الهدىٰ، سيد ولد آدم ولا فخر، خاتم الأنبياء والمرسلين، قائم الحجة وموضح المحجة، تارك الناس علىٰ البيضاء النَّقية، ليلها كنهارها، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين إلىٰ يوم القيامة والدّين.

ٱعلم ـ رحمك اللَّه ـ أنَّ ليس من النّعم المبسوطة من الربّ ـ سبحانه وتعالىٰ ـ علىٰ عبده، أعظم مَن وفَّقه اللَّه ـ تعالىٰ ـ لنصح نفسه، وأعظم منها مَن وفَّقه لنصح غيره، وأجلّها إذا كان النُّصح للمسلم، وأعظم منه إذا كان للمسلمين عامة، وأعظم النُّصح علىٰ الإطلاق وأجلّه؛ وأبلغه منزلة إذا كان للَّه ورسوله وكتابه.

يقول عليه الصَّلاة والسَّلام : «**الدّين النَّصيحة** قلنا لمن؟ قال: **للَّه ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامَّتهم**» [مسلم رقم ١٩٤ باب: بيان أنَّ الدّين النَّصيحة].

وأعظم النَّصيحة التَّمكين لهذا الدّين الذي ٱرتضاه المولىٰ ـ

سبحانه وتعالىٰ ـ للعباد، **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ **إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ** ﴾ [آل عمران : ١٩]. **وَقَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ **وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْآخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ** ﴿٨٥﴾ ﴾ [آل عمران].

وهذا النّصح كمل وٱستبان أمره؛ فلا ينبغي الزيادة فيه أو النقص منه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ **ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا** ﴾ [المائدة : ٣].

وأوفىٰ النّصح الذّب عن عرين الدّين، وحماية جناب التوحيد؛ الذي إن فُرِّطَ فيه حلَّت النّقم، وعين الرضىٰ هو حُبُّهُ وحُبُّ من يحبّه، وتذليل عقباته، وتقريب فهمه، وتسهيل تناوله، وتوضيح مسالكه، بأوضح العبارة التي تحافظ علىٰ «المبنىٰ» و«المعنىٰ»، وهذه تقنع الغُلَّة وتشفي العلَّة، وتقي الطِّين البلَّة، حتَّىٰ لا تزلق قدم الخائض فيه.

يقول ٱبن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ ما لفظه: «العلم إما نقل مصدق، وإما ٱستدلال محقق» [مجموعة الفتاوىٰ ١٣/ ١٨٥ ط/ جـ ٣٤٤ ط/ ق].

والاستدلال المحقق، هو حماية العلوم الجمَّة التي خلَّفها سلف الأمة وتبيين صحتها، في نصرة هذا الدّين والتمكين له في هذه الأرض، لأنها دلائلُ وإشاراتٌ لمعرفة المسارات، حتَّىٰ لا يلتبس هذا الأمر علىٰ العامة، لأنَّ اللَّه ـ تعالىٰ ـ قد أخذ الميثاق علىٰ حاملي هذه العلوم الجمَّة بقوله: ﴿ **لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ** ﴾ [آل عمران : ١٨٧].

وعدم النّصح له؛ هو ذروة سنام كتمانه، فكيف إذا ٱنضمَّ إلىٰ ذلك توهينه أو تحريفه، فذلك عين الإلحاد الذي أمر اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ في البعد عنه، لأنه سننُ الذين من قبلنا، فحلَّ بهم ما قَصَّه

اللَّه علينا في كتابه عبرة لنعتبر، **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ **لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ** ﴾ [يُوسُف : ١١١]. وذووا الألباب: هم الذين ينأون عن هذا المسلك المزري.

فعَلم سلف الأمة هذا، وأوقفوا نفوسهم في خدمة هذا الدّين، فلم يفتروا ولا ملُّوا في تصنيف المصنَّفات، ودحر الشبهات، فأزالوا الالتباس وكتَّموا الأنفاس التي ما تفتأ أن تتربص بهذا الدّين وأهله، عليهم دائرة السَّوء.

فالانكباب علىٰ التأليف والتصنيف، هو من أعظم القربات عند اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ لا توازيها قربة، إلَّا من خرج بنفسه وماله يقارع الأعداء بالسيف والسنان باذل مهجة نفسه في سبيل الإسلام والمسلمين، فهذا أعظم درجة وأقربهم منزلة عند اللَّه ـ تعالىٰ ـ ، لأنه يحمي الحوزة.

يقول الإمام الجليل ٱبن حزم الأندلسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ بعدما ذكر مراتب «المُلك» و«العُلو» و«السَّبق»؛ وهي ثلاث مراتب، أولها: مرتبة «عالم يعلم الناس»، والثانية: «حاكم عدل»، حكىٰ في الثالثة ما لفظه: «وأما الثالثة: **مجاهد في سبيل اللَّه ـ عزَّ وجلَّ ـ** فإنه شريك لكل من يحميه بسيفه في كل عمل خير يعمله، وإن بعدت داره في أقطار البلاد، وله مثل أجر من عمل شيئًا من الخير في كل بلد أعان علىٰ فتحه بقتال أو حصر، وله مثل أجر كل من دخل في الإسلام بسببه أو بوجه له فيه أثر إلىٰ يوم القيامة. **فيالها حظوة ما أجلها أن يكون لعله في بعض غفلاته ونحن نصوم له ونصلي.**

وٱعلموا أيها الأخوة الأصفياء أنَّ هذه الثلاث سبق إليها الصحابة رضي الله عنهم، لأنهم كانوا السبب في بلوغ الإسلام إلينا وفي تعلمنا العلم، وفي الحكم بالعدل فيما ولُّوا، وفي فتوح البلاد شرقًا وغربًا، فهم شركاؤنا وشركاء من يأتي بعدنا إلىٰ يوم القيامة، وفي كل خير يعمل به مما كانوا السبب في تعليمه أو بسطه أو فتحه من الأرض.

وٱعلموا أنَّ لو لا المجاهدون لهلك الدّين، ولكنَّا ذمَّة لأهل الكفر، فتدبَّروا هذا فإنه أمرٌ عظيمٌ، وإنما هذا كله إذا صفت النّيات وكانت للَّه، فقد سئل النبي ﷺ عن عمل المجاهد وما يدانيه، فأخبر عليه السلام إنه لا يعدله إلَّا أمرٌ لا يستطاع، فسألوه عنه فقال كلامًا معناه: أيقدر أحدكم أن يدخل مصلاه إذا خرج المجاهد فلا يفتر من صلاة وصيام؟! فقالوا: يا رسول اللَّه، لا نطيق ذلك، فأخبر أنَّ هذا مثل المجاهد[1].» [رسالة التلخيص لوجوه التخليص ضمن رسائل ٱبن حزم ٣/ ١٥٣، ١٥٤].

أما من جمع بينهما ـ وأعني بهما: مرتبة العالم العامل بعلمه؛ الذي لا يخاف لومة لائم في تبيين مقاصده، ومرتبة المجاهد الدَّافع للصائل، أو الطَّالب لأعداء الدّين ـ فقد بلغ الثريا، ووفقه اللَّه للحسنىٰ، وحاز الخير بكلتا يديه، وهذا لم يتحقق إلَّا لبعض أعيان الأمة، كـ«سعيد ٱبن جبير» الذي كان من أعلم التابعين، و«عبداللَّه بن المبارك»، وشيخ الإسلام «ٱبن تيمية»، و«تلميذه»، و«محمد بن عبدالوهاب»، رحمهم الله.

---

(١) عن أبي هريرة، قال: «قيل للنبي ﷺ: ما يعدل الجهاد في سبيل الله ـ عزَّ وجلَّ ـ؟ قال: **لا تستطيعوه** قال: فأعادوها عليه مرتين أو ثلاثًا، كل ذلك يقول: **لا تستطيعونه**، وقال في الثالثة: **مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصَّائم القائم القانت بآيات الله، لا يفتر من صيامٍ ولا صلاة، حتَّى يرجع المجاهد في سبيل الله ـ تعالى ـ**» [مسلم رقم ٤٨٤٦ كتاب الإمارة].

أما من وفّق لأحدهما، فلاشك في فضل ذلك وقربته عند اللَّه إذا خلصت النّية، فدرجته أعظم من الصائم القائم، فهذا نفعه لنفسه، والآخر لدين اللَّه وللمسلمين، **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَـٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَـٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَـٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَـٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَـٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَـٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ﴾ [النساء: ٩٦].

ولاشكَّ أنَّ الآية تناولت الذَّاب عن عرين الدّين بحجَّته ودليله وتقريب فهمه، **لتصان الأمة من درن الشّرك والإلحاد، ويدخل فيها دخولاً أوليًا المقارع أعداء اللَّه بالسيف والسنان،** فمن وفَّقه اللَّه ـ تعالىٰ ـ لأحدهما، فليذكر نعمته ويشكره. **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ﴾ [النساء: ١٤٧].

فأحد هاتين النعمتين الجزيلتين ـ «العلم» و«الجهاد» ـ جعلت إمام دار الهجرة «مالك بن أنس» رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ يقول للذي لامه علىٰ كثرة الطلب للعلم بغية تحصيله وبثّه في الناس علىٰ الانقطاع والعزلة والزهد والتَّعبد بالنَّوافل، كالصلاة والصيام وحج البيت الحرام بعد الفريضة أن يرد علىٰ لومه ويُعلمه أنَّ ذلك من أشرف أعمال البر ـ بالطبع إذا خلصت النية ـ.

يقول العلاَّمة الحافظ ٱبن عبدالبر رَحِمَهُ ٱللَّهُ ما لفظه: «إنَّ عبداللَّه بن عبدالعزيز العُمَري العابد[1] كتب إلىٰ «مالك» يحضُّه إلىٰ الانفراد

---

(١) هو عبدالله بن عبدالعزيز العمري الزاهد المدني من نسل عمر بن الخطاب، كان من أزهد أهل زمانه، وكان يأمر بالمعروف ويتقدم به إلى الخلفاء توفى ١٨٤هـ «التهذيب ٥/ ٣٠٢». ←

والعمل، ويرغب به عن الاجتماع إليه في العلم فكتب إليه «مالك»:

إنَّ اللَّه ـ عزَّ وجلَّ ـ قسَّم الأعمال كما قسَّم الأرزاق، فربَّ رجلٍ فتح له في الصلاة، ولم يُفتح له في الصوم، وآخر فُتح له في الصدقة ولم يُفتح له في الصوم، وآخر فُتح له في الجهاد، ولم يُفتح له في الصلاة. ونشر العلم وتعليمه من أفضل أعمال البر، وقد رضيت بما فتح اللَّه لي فيه من ذلك، وما أظن ما أنا فيه بدون ما أنت فيه، وأرجو أن يكون كلانا علىٰ خيرٍ، ويجب علىٰ كل واحد منا أن يرضىٰ بما قسم له والسلام.»

[التمهيد ٣/ ٣٨٣ تحت حديث: «من أنفق جوزين في سبيل اللَّه...»].

فلمَّا علم سلف الأمة منزلة هذه القربة، شمَّروا عن السَّواعد، وهجروا الفرش والملذَّات، ليس نكرانًا لنعم اللَّه وإنما زهدًا فيها والظَّفر بما هو خير منها عند اللَّه ـ تعالىٰ ـ، لأنَّ ذلك عاقبته الحسنىٰ.

فصنفوا المصنَّفات، وشرحوا المبهمات، وقرَّبوا وهذَّبوا المستشكلات، وٱختصروا المطوَّلات، وبنوا النّظم والمتونات علىٰ أصولٍ ودراياتٍ دعائمها:

قَالَ اللهُ قَالَ رَسُولُهُ   قَالَ الصَّحَابَةُ لَا خُلْفَ فِيهِ

فما خلَّفوه ينابيع عذبة، تقنع العطشان، وتذهب عنه الغثيان، فوجب الاعتناء بها، لنكمل المسير، ونلزم السبيل، كيف والصِّراع بين إحقاق الحق وإبطال الباطل محتدمٌ اليوم؟! ولا نصرة لنا عليه،

قال الذهبي رَحِمَهُ اللهُ: «قد كان لهذا العمري علم وفقه جيد وفضل، وكان قوَّالاً بالحق، أمَّارًا بالعرف منعزلاً عن الناس، وكان يحض مالكًا إذا خلا به على الزهد، والانقطاع والعزلة فرحمهما الله.» [سير أعلام النبلاء ٧/ ٣١٩ ترجمة الإمام مالك].

إلَّا إذا ٱعتنينا بما خلَّفه السلف ولم نحد عنه قيد أنملة. كيف واللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ يقول: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَـٰلَكُم ﴿٣٨﴾﴾ [محمد]؟!

ومن هذا الميراث، درَّة بديعة، ولؤلؤة ثمينة، ما أحوجنا إليها اليوم، وقد تكالب علينا الأعداء من كل صوبٍ وحدبٍ ينسلون، وممَّا يحزُّ في النفس؛ أنَّ هؤلاء ٱستعانوا لإقامة صرح باطلهم، بأناسٍ باعوا آخرتهم بدنياهم، وأناسٍ خافوا إذا جلىٰ هذا العدو الكافر الصائل خلال الدِّيار، أن يكون لهم عنده جاه، يحفظون به دماءهم وأموالهم، وقد ٱقترن في قلوبهم عداوة وبغضاء لهذا الكافر الصائل، لكن الخوف حملهم علىٰ هذا ـ أعني: ٱستحباب الدُّنيا علىٰ الآخرة ـ، وبأناسٍ جهلوا معالم الشريعة ولم يفرقوا بين معالم التوحيد وصرائح الشِّرك، فسقطوا في حمأة الكفر والرّدة الكل سواء، لنقضهم أصلاً من أصول التوحيد، ترتكز عليه دعامة الدّين، ألا وهو «الولاء والبراء».

فلم أَرَ مَن نبَّه علىٰ هذا الأصل العظيم، في مختصرٍ غير مخلٍّ مبينٍ، مثل العلاَّمة الهمام ٱبن شيخ الإسلام من الوراء؛ كما قال ـ تعالىٰ ـ : ﴿وَمِن وَرَآءِ إِسْحَـٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾﴾ [هود]. «سليمان بن عبداللَّه بن محمد ٱبن عبدالوهاب» رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ وأسكنهم فسيح الجنان، في درَّةٍ نفيسةٍ سمَّاها «الدَّلائل في حُكْم مُوالاة أهْل الإِشْراك»، فكانت بحقٍّ درةً نافعةً وقارعةً زاجرةً وصيحةً مدوِّيةً لمن كان له قلبٌ أو ألقىٰ السمع وهو شهيدٌ.

فعلقت بها نفسي، وعلت همتي، فشحذت ذهني، أن أفردها بشرحٍ يسهّل فهمها، ويلم بدرّها، ويوضّح مبناها ومعناها، وإن كان

الوضوح متجذرًا فيها، لا يشك في ذلك إلَّا فاقدُ المعالم كسولٌ في طلب الحجج، متبعٌ لكل ناعق. وممَّا حملني علىٰ هذه الهمَّة؛ الدُّرة البديعة المودعة فيها، **من سهولة المعنىٰ، ووضوح المبنىٰ، ويسر العبارة، وقوَّة الدَّليل والإشارة.**

أما الحسنة الثانية، فموضوعها يدور علىٰ دعامة الدّين، وعلىٰ ما جيَّشته هذه الجحافل الكفرية اليوم، للسعي في طمس معالم هذا الدّين؛ الذي لا دين سواه، وكأن الحالة شبيهة بما عاصره المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ، بل الحالة أشد، وهولها أعظم، وذلك بسبب ٱصطفاف ملل الكفر كلّها وعلىٰ رأسها «اليهود» و«النصارىٰ» و«المارقة الباطنية»؛ من «رافضةٍ ودروزٍ»، و«قبوريةٍ شركيةٍ»، في صفٍ واحدٍ؛ وٱعتضدوا في ذلك بـ«المرجئة الخبيثة»؛ لمحاربة السَّلفية الشَّرعية ـ السَّاعية لإقامة الملك المتين ـ ؛ علىٰ أسس رضىٰ ربّ العالمين.

ومن حسن هذه الحسنة؛ يتميز بها «فريق الجنَّة» و«فريق السعير»، ولاشكَّ هذا الحسن جاء به الرسل ـ عليهم السلام ـ ، وأحياه أتباع الرسل علىٰ رأس كل مائة سنة.

وأما الحسنة الثالثة، ففي علمي أنها لم تطرق بشرحٍ من قبل، ولا يوجد أنسب لشرحها من الظّروف الحالية، ممَّا ذكرناه آنفًا، وممَّا ٱبتلت به الأمة من طرفٍ فئةٍ من الناس حملت لواء السَّلفية شعارًا، وجعلت الإرجاء دثارًا، وهرولت إلىٰ تراث الأمة ـ حذفًا وتغييرًا، وتحريفًا وإلحادًا، ودسًا وخديعةً ـ ، فٱختلط الحابل بالنابل علىٰ الأمة، وأصبحت بسبب هؤلاء في حيرةٍ من أمرها، حتَّىٰ نبزت حملة لواء

التمكين بالخروج عن دين ربِّ العالمين، هذا مقصدهم الأول، أما مقصدهم الثاني: فهو نتفٌ من هنا وهناك، لشهواتٍ خافوا فواتها، كما قيل: «تغير الشّكل من أجل الأكل»، وهؤلاء لا يصلحون ليمكنوا لهذا الدّين ولا يقيمون صرحه.

ولقد تتبَّعت لأحصر من شرحها كاملةً، فلم أجد إلَّا د. «صالح بن فوزان بن عبداللَّه الفوزان» ـ عضو اللجنة الدائمة ـ **ولم يخلوا شرحه من علاَّتٍ وزلاَّتٍ وثغراتٍ سوف أتطرق لها بعد الشرح ـ بعون اللَّه تعالىٰ** ـ ، أما المقتطف منها دلائلَ وفصولَ فكثير جدًا، فما يؤلف مؤلفٌ في دعامة الدّين إلَّا وعرَّج عليها ليشد بنيانه؛ وهذا لا إثم ولا حرج فيه، بل البركة جازلة فيه، خاصة إذا نصَّت بمصادرها، وعزيت إلىٰ صاحبها، لأنَّ من بركة العلم عزوه إلىٰ قائله.

وكما تعلم ـ رحمك اللَّه ـ أنَّ تمييز المشكل، وشرح المبهم، وتقييد المهمل ليس بالأمر الهيِّن، فهذا لابدَّ له من تؤدةٍ ومؤونةٍ، وقبلهما دلائل وأصول الشريعة، وإلَّا أفسد المتطرق لهذا أكثر مما يصلح، وما خلَّفه الأثرية بين ـ المعكوفتين ـ ليس منك ببعيدٍ، فإنَّ شهرة هؤلاء القوم لعظيمة، وإنَّ بلية الإسلام بهم لفظيعة نسأل اللَّه ـ تعالىٰ ـ العافية والعصمة.

فإن لم يكن الزاد سيح في الوهاد، وعلقت العلاَّت والزلاَّت، وإن كان الكل يكبو ويزل، لكن تبقىٰ زلة أخف من زلة، وكبوة أهون من كبوة، فالحافظ «ٱبن حجر العسقلاني» رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ لما كان من «المفوضة»، وفي دعامة الدّين علىٰ البنية البدعية ـ أعني: «الإرجاء» ـ

ثم تطرق لشرح البخاري، حمل ما كان من فهم السلف في تلك المسائل علىٰ أصوله فأتىٰ بتلك الثغرات، ومن قبله «محيي الدّين النووي» رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «شرح مسلم».

فالشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ لما تفقَّه علىٰ «المذهب الزيدي» في طوره الأول، أثَّر فيه قبل أن يتحرَّر منه، ولهذا لما تطرق لشرح «منتقىٰ الأخبار» لمجد الدين ٱبن تيمية، أتىٰ بعجائب أصوله، ومنها علىٰ شرح حديث عائشة ـ رضي اللَّه عنها ـ لما قالت: «يقولون: إنَّ النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أوصىٰ إلىٰ عليٍّ!! لقد دعا بالطَّست ليبول فيها، فٱنخَنَثَتْ[1] نفسه وما شعرت فإلىٰ من أوصىٰ؟!» [البخاري رقم ٢٧٤١، ٤٤٥٩ ومسلم رقم ٤٢٠٧ «كتاب الوصية»].

قال الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ ما لفظه: «والإنكار لوصاية أمير المؤمنين «علي» من ٱستفهام «أم المؤمنين» لا يدل علىٰ عدم ثبوتها وعدم وقوعها من النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في ذلك الوقت الخاص لا يدل علىٰ العدم المطلق وقد ٱستوفينا الكلام علىٰ ذلك في رسالة مستقلة[2]» [نيل الأوطار

---

(١) ٱنخنثت: أي: ٱنكسرت وٱنثنت.

(٢) قلت: إنَّ الإفراط في حب أهل البيت؛ يحجب الرؤيا، ويدعو إلى البحث الحثيث لتقوية ما جاء ضعيفًا أو موضوعًا من الحديث، وهذا عين ما وقع للشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذه الرسالة المسماة «الدراية في مسألة الوصاية»؛ فلقد أتى بحديث ينسبه لرسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما لفظه: «وصِّيي ووارثي، ومنجزُ وعدي علي بن أبي طالب»، وعزاه لمسند «أحمد»، والحديث موضوع لا وجود له في «المسند» ألبتة.

يقول شيخ الإسلام ٱبن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالى ـ ما لفظه: «إنَّ هذا الحديث كذب موضوع بٱتفاق أهل المعرفة بالحديث، ليس هو في «مسند» الإمام أحمد بن حنبل. و«أحمد» قد صنَّف كتابًا في «فضائل الصحابة» ذكر فيه فضل «أبي بكر» و«عمر» و«عثمان» و«علي» وجماعة من الصحابة، وذكر فيه ما رُوي في ذلك من صحيح وضعيف للتعريف بذلك، **وليس كل ما رواه يكون صحيحًا**.

←

١/ ١٢٠ باب: البول في الأواني للحاجة].

وفي كتاب «حد شارب الخمر» باب: «قتال الخوارج وأهل البغي» تحت حديث: «**سيخرج قوم في آخر الزمان حداثُ الأسنان سفهاء الأحلام** ـ إلىٰ قوله ﷺ ـ **فأينما لقيتموهم فٱقتلوهم، فإنَّ في قتلهم**

ثم إنَّ في هذا الكتاب زيادات من روايات ٱبنه «عبدالله»، وزيادات من رواية «القطيعي» عن شيوخه. وهذه الزيادات التي زادها «القطيعي» غالبها كذب، وشيوخ القطيعي يروون عمن في طبقة «أحمد». وهؤلاء الرافضة جُهَّال إذا رأوا فيه حديثًا ظنوا أنَّ القائل لذلك «أحمد بن حنبل»، ويكون القائل لذلك هو «القطيعي»، وذاك الرجل من شيوخ القطيعي الذين يروون عمن في طبقة «أحمد». وكذلك في «المسند» زيادات زادها ٱبنه «عبدالله»، لا سيما في مسند «علي بن أبي طالب» فإنه زاد زيادات كثيرة.» [منهاج السنَّة النبوية ٥/ ٢٣].

ويقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ **أيضًا** ما لفظه: «فإنَّ هذا الحديث ليس في شيء من كتب المسلمين التي يستفيدون منها علم النقل: لا في «الصحاح» ولا في «المسانيد» و«السنن» و«المغازي» ـ إلى أن قال ـ: بل هذا الحديث مناقض لما علم بالتواتر، وكثير من أئمة التفسير لم يذكروا هذا بحال لعلمهم أنه باطل. ـ إلى أن قال ـ: **فإنَّ هذا الحديث ليس في شيء من الكتب التي تقوم الحجة بمجرد إسناده إليها، ولا صححه إمام من أئمة الحديث.**» [منهاج السنَّة النبوية ٧/ ٢٩٩ ـ ٣٥٤].

فكل ما ٱستدل به الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالى ـ في هذه الرسالة أحاديث موضوعة ولا أقول ضعيفة، لكن يلاحظ من هذه الرسالة أنها ألفت «سنة ١٢٠٥هـ»، وهذه الفترة كان فيها الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في عنفوان شبابه، والمراحل الأولى من الطلب، لم ينضج في علوم الحديث ـ رواية ودراية ـ، ولم يتحرر بعد من مذهبه الزيدي الممزوج بالاعتزال، ولهذا لما كان في آخر حياته «سنة ١٢٤٨هـ»؛ بعد ثلاث وأربعين سنة من تأليفه لهذه الرسالة، ألف «الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة» وٱنتقد كل الأحاديث التي ٱستدل بها في الرسالة.

فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالى ـ ما لفظه: «ومنها وصايا علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ كلها موضوعة سوى الحديث الأول وهو: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى»...» [الفوائد المجموعة ص ٤٢٤].

فبعدما نضج فكريًا، وٱزداد معرفة في علم الحديث، وتحرر من القيود المذهبية؛ التي طالما توجَّع منها، وألف في قبحها عدة رسائل؛ ٱنتقد كل ما حرره في طوره الأول، وهذه هي عادة المحقق المنقاد للدَّليل، الذي لا يخشى ظهور الحق، وعلى لسان مَن ظهر. وبين الطورين؛ تكمن قاصمة الظهر للباحث، الذي عمدته التقميش دون التفتيش، فقد يبلع من الحسك ما يعلق في الحلقوم؛ فيكثر سعاله، ويُطال نفثه كل ما قابله، فالحيطة الحيطة، وتبصَّر أيها المحرر.

أجرًا لمن قتلهم يوم القيامة» [متفق عليه]، أتىٰ بـ«الرَّافضية الصغرىٰ» لما قال ما لفظه: «... ثم لما وقع صلح «الحسن» و«معاوية» ثارت منهم طائفة فأوقع بهم عسكر الشام بمكان يقال له «النَّخيلة»، وكانوا منقمعين في إمارة زياد وٱبنه طول مدة ولاية **معاوية وٱبنه يزيد لعنهم اللَّه،...»** [نيل الأوطار ٧/ ١٩٩، ٢٠٠ كتاب: حد شارب الخمر الباب الخامس: قتال الخوارج وأهل البغي].

وقال أيضًا في شرح باب «الصبر علىٰ جور الأئمة وترك قتالهم والكف عن إقامة السيف»؛ في شرح حديث «... **إلَّا أن تروا كفرًا بواحًا عندكم فيه من اللَّه برهان»** ما لفظه: «ولقد أفرط بعض أهل العلم كـ«الكرامية» ومن وافقهم في الجمود علىٰ أحاديث الباب؛ حتَّىٰ حكموا بأن «الحسين» السبط رضي الله عنه وأرضاه باغ علىٰ الخمير السكير الهاتك لحرم الشريعة المطهرة؛ **«يزيد بن معاوية» لعنهم اللَّه،...»** [نيل الأوطار شرح منتقىٰ الأخبار ٧/ ٢١٩، ٢٢٠]. **فما قاله ـ رحمه الله تعالىٰ ـ، العروق الدَّساسة للمذهب**[1].

---

(١) قلت: إنَّ لعن «معاوية بن أبي سفيان» رضي الله عنه وٱبنه «اليزيد»؛ من البديهيات عند «المذهب الزيدي»، لا يُبرَّأ منه زيديًا، إلَّا من تحرر من المذهب، كيف وبعض أئمة المذهب يرون التوقف في الترضي عن الصحابة؟!

ولقد تصدى لهؤلاء «الشوكاني» نفسه في عدة رسائل؛ بيَّن فيها مذهب كبار «أئمة الزيدية» أنَّ الصحيح من مذهبهم الترضي على الجميع، لكن ٱختلف فيمن قاتل عليًا، و«نيل الأوطار» كان في طوره الأول من الطلب؛ وتشربه المذهب الزيدي، لهذا جاء فيه الاعتراض على قول عائشة ـ رضي الله عنها ـ لما نفت الوصية لعلي، ولعن معاوية وٱبنه اليزيد.

ومما يوضح ما ذكرناه قوله في ترجمة شيخه العلاَّمة عبدالقادر بن أحمد بن عبدالقادر في «البدر الطالع ورقمها «٢٣٣» ١/ ٢٥٣، ٢٥٤»: «... وكنت أحرر ما يظهر لي في بعض المسائل←

لذا أقول: **إنَّ المذهب إن لم يكن علىٰ أساسٍ متينٍ، فلازمه يأتي بالعجائب والغرائب، وهو مع ذلك ملمٌّ بعلومٍ شتىٰ، فكيف بعد ذلك إذا كان قاصر النظرة والبضاعة مزجاة؛ فيما يريد أن يتطرق له بشرحٍ؟!**

ومن أراد أن يعرف ما قلت عيانًا، فلينظر إلىٰ شروح «ربيع بن هادي المدخلي» و«فالح بن نافع الحربي» قبل التوبة، وطاماته بعد التوبة، فلقد ٱنتقل من ركن إرجاءٍ إلىٰ ركن إرجاءٍ آخر، و«زمرة الأثرية»، فلقد جعلوا السلف ـ رضي اللَّه عنهم ـ مرجئة نسأل اللَّه العافية، من تلك الفضائح المبدية، والوقائح المخزية، فلا نظائر لها.

لهذا لا يؤنس في شروح دعامة الدّين ـ أعني: مسألة الإيمان ـ إلَّا بكلام سليم العقيدة نقي السَّريرة، نحرير في التحريرة كشيخ الإسلام «ٱبن تيمية» وتلميذه البار به «ٱبن قيم الجوزية» رَحِمَهُمَا اللهُ فقد جمعا بين النقل المصدق والاستدلال المحقق.

وأعرضه عليه، فإن وافق ما لديه من ٱجتهاده في تلك المسألة قرَّظه تارة بالنظم الفائق، وتارة بالنثر الرائق، وإن لم يوافق كتب عليه ثم أكتب على ما كتبه. ـ إلى أن قال ـ: وهو من جملة من رغَّبني في تأليف شرح على «المنتقى» فشرعت فيه في حياته، وعرضت عليه كراريس من أوله فقال: إذا كمل على هذه الكيفية كان في نحو عشرين مجلدًا. وأهل العصر لا يرغبون فيما بلغ من التطويل إلى دون هذا المقدار، ثم أرشدني إلى الاختصار ففعلت فكمل ـ بحمد الله ـ وبيَّضته في أربع مجلدات؛ ولم يكمل إلَّا بعد موته بنحو ثلاث سنين».

وشيخه رَحِمَهُ اللهُ توفى «سنة ١٢٠٧هـ» كما ذكره هو في ترجمته، فيكون بذلك أن «نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار» كمل «سنة ١٢١٠هـ»؛ بعدما مضى من عمر الشوكاني «ثلاث وثلاثون سنة»، لأنه ولد «سنة ١١٧٣هـ» كما ترجم هو لنفسه في «البدر الطَّالع رقم ٤٨٢» وتوفى «سنة ١٢٥٠هـ»، وهذا العمر هو عنفوان الشباب وبدأ النضج، والتحرر من القيود المذهبية؛ لمن وقف على قبح ذلك، ويسَّر الله ـ تعالى ـ له قبوله، والانقياد لدلالاته.

أما من أراد أن ينفي ذلك ـ أعني: لعن معاوية وٱبنه اليزيد ـ فلم يعرف مذهب الزيدية، أو لحبِّ تقرّبي يعمي، فرحم الله ـ تعالى ـ الشوكاني رحمة واسعة، وجعل الجنة مثواه في الآخرة.

فخوفنا من أن يتبادر إليها الذين ذكرناهم آنفًا، أردنا ـ بعون اللَّه ـ أن نتطرق لشرحها عسىٰ اللَّه أن ينفع بها، وإن كنا علىٰ يقينٍ أنَّ هؤلاء لا يقربوها؛ ليس لصعوبة معناها، وإنما لوضوح عباراتها وبيان معالمها، وقسوة حكمها، **وهؤلاء شهامتهم دون ذلك بكثير،** فهم يحبُّون أن يقولوا للكافر الصليبي «غربي» وللمدمّر «مستعمر» وللمرتد «سفيه» إلىٰ غير ذلك من الألفاظ والمصطلحات التي فيها لبسٌ وهدمٌ للمبنىٰ والمعنىٰ.

نسأل المولىٰ ـ سبحانه وتعالىٰ ـ أن يلهمنا التَّوفيق والسَّداد في هذا الشرح، وأن يسدَّ عنَّا الثغرات التي تدخل منها الشبهات المرديات، والقبائح المبديات، وأن لا نجبن عند قسوة عبارة، ولا يسرق ذهننا عند مبهم إشارة، وأن يجنبنا التَّعسف في ما يريده صاحب «الرسالة» وإخراجه عما يريده، أو وضعه علىٰ ما لا يريده، وأن نصدق في ضرب الأمثال بالقياس الجليِّ الظاهر المَعْلَم؛ فإنه القادر علىٰ ذلك، وهو يهدي السبيل. آمين! آمين! آمين!

وكتب: أبو عزير عبدالإله يوسف اليوبي الحسني الجزائري

٩ جمادي الثانية ١٤٢٨ هـ الموافق ليوم الأحد ٢٠٠٧/٠٦/٢٤ م بمدينة أورهوس ـ الدنمارك.

ترجمة مؤلف الدلائل

هو المحدّث الفقيه، والشيخ الجليل: «سليمانُ بن عبداللَّهِ بن مُحمد بن عبدالوهاب» الوهيبيُّ التميميُّ، فهو ٱبن مجدِّد عصره من الوراء، ـ شيخ الإسلام «محمد بن عبدالوهاب» رَحِمَهُمَاٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ .

هيَّأ اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ له البيئة الخصبة والأرض الطيِّبة، **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ﴾ [الأعراف: ٥٨]، فرتع في رياض هذه الحظيرة، وتخلَّق بأخلاقها، وٱنتفع بها. **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [العنكبوت].

فهو قرَّة عين لهذه العائلة، التي خرجت منها ينابيعُ عذبةٌ، فإحسان جدِّه ـ العلم النافع الذي ورَّثه ـ أخرج لنا هذا الحافظ المفسر، فوالده «عبداللَّه»، عالمٌ جليلٌ، صنَّف ودرَّس وتولَّىٰ القضاء في «الدَّرعية» موطن النبات الطيب، وأعمامه الشيخ «حسين» المتوفىٰ «سنة ١٢٢٤هـ» والشيخ «علي» المتوفىٰ «سنة ١٢٤٥هـ» والشيخ «إبراهيم». فقهاء أجلاء، وعلماء فضلاء، فهذا البيت الصالح صنع لنا هذا الرجل، الذي خرجت منه دررٌ بهيةٌ ومنها الدُّرة التي سوف نستوفيها بشرحٍ ـ يسَّر اللَّه لنا ذلك ـ .

فلقد طلب العلم من أوَّل نعومة أظافره، وحرص علىٰ ذلك أشد الحرص، فجمع علمًا جمًّا في حداثته، وساعده علىٰ ذلك، نعم اللَّه المبسوطة عليه، الذِّهن الوقَّاد، والقدرة علىٰ الحفظ، والصبر علىٰ

جفاء القراءة والاطِّلاع، والشَّغف بالعلم والعلماء.

فشيوخه كثر، ومن أبرزهم: والده «عبداللَّه»، وعمُّه «حسين»، و«حمد بن ناصر بن معمر» المتوفىٰ «سنة ١٢٢٥هـ» و«محمد بن علي ٱبن غريب» المتوفىٰ «سنة ١٢٠٨هـ»، و«حسين بن غانم» المتوفىٰ «سنة ١٢٢٥هـ» و«عبدالرحمن بن خميس»، و«عبداللَّه بن فاضل»، وأجازه العلاَّمة المحقّق «محمد بن علي الشوكاني» المتوفىٰ «سنة ١٢٥٠هـ» والقاضي «حسين بن خالد» المتوفىٰ «سنة ١٢٣٤هـ» .

ٱختاره الأمير «سعود بن عبدالعزيز» للتدريس في مسجده، بعد صلاة المغرب، فكان يجتمع عنده خلقٌ كثيرٌ، ويتعجبون من سيلان ذهنه، وقوة حافظته، وإتقانه، فإذا تكلم عن الأسانيد والرجال والأحاديث وطرقها أتىٰ بالعجب؛ فكأنه لا يعرف غيرها.

قال ٱبن قاسم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يُروىٰ عنه أنه كان يقول: أنا برجال الحديث أعرف مني برجال الدَّرعية.» [الدُّرر السَّنيَّة في الأجوبة النَّجدية ١٦/ ٣٨٥].

أما التوحيد وما تفرع منه ـ من مسائل الإيمان ـ فإليه المنتهىٰ فيه، والرسالة التي سوف نستوفيها بشرحٍ ـ إن شاء اللَّه ـ دالة علىٰ ذلك.

بعثه الأمير «سعود بن عبدالعزيز» قاضيًا إلىٰ «مكة» بعد ما ٱستولىٰ عليها من أيدي القبورية، فأقام بها مدة من الزمن، ثم رجع في عهد «عبداللَّه بن سعود»، وعُيِّن قاضيًا مع والده في «الدَّرعية».

فهو عالمٌ نحريرٌ، ٱنتفع منه خلقٌ كثيرٌ، وأخذ عنه عددٌ كثيرٌ لا يحصىٰ من أهل «الدَّرعية»، وعلىٰ رأسهم «عبدالرحمن» وهو أخوه، والشيخ «محمد بن سلطان». فآثاره العلمية كثيرة تدل علىٰ جودة علمه،

وسعة ٱطِّلاعه، وطول باعه في التفسير والحديث والفقه، مع أنه لم يُنسأ له في عمره، **لكن بركة العلم النافع والعمل الصالح، يظهر بهما في أقل الأزمان، ما لا يظهر علىٰ أيدي الذين وعَّروا الطريق ولم ينالوا طول عمرهم إلَّا الأذىٰ والوبال، ومصنفاتهم شاهدةٌ علىٰ ذلك ناطقةٌ به.**

فالعلم النافع الذي لا يتخلَّف مقتضاه، مع العمل الصالح، ينال بهما في المدة اليسيرة من حقائق العلوم والأعمال أضعاف ما يناله الناظر في الغثِّ، الذي يسيل من ينبوعٍ آسنٍ في أجيال، دلَّ علىٰ ذلك قوله ـ تعالىٰ ـ : ﴿ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ هُدًىۗ ﴾ [مريم: ٧٦]. وقوله ـ تعالىٰ ـ : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ زَادَهُمْ هُدًى ﴾ [محمد: ١٧].

وما ذكرناه ظاهر المَعْلَم بالتتبع والاستقراء، وإن كان غير ذلك فليقل لنا المعترض، ما أنتجت لنا «مدرسة الاعتزال»، و«مدرسة التأَشعر»؟!!

اللَّهم إلَّا التشكيك في دعائم الدّين والتهوين من حرمتها، **أما مدرسة «الإرجاء»، فطاماتها أكثر، وبلاياها أعظم، وجناياتها علىٰ الدّين أكثر مما يُتصور.**

فلقد ذكر له المترجمون عدَّة مصنفات منها:

١ـ «تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد».

وهذا أشهر من نار علىٰ عَلَم، فيعد أوَّل شرح لكتاب التوحيد وأوسعه ـ لما عند المؤلف من علمٍ غزيرٍ في «باب الاعتقاد» الموروث عن عَلَم الدَّعوة في وقته ـ «محمد بن عبدالوهاب» ـ ؛ غير أنَّ المنية داهمته قبل إكماله، وقف في شرحه، عند باب: «ما جاء في المُصوّرين»

ولم يبق من الكتاب سوىٰ سبعة أبواب فقط، وهو مطبوعٌ.

٢ـ «**حاشيةٌ على كتاب التوحيد**».

٣ـ «**رفع الإشكال**».

٤ـ «**تحفة الناسك بأحكام المناسك**».

٥ـ «**الطريق الوسط في بيان عدد الجمعة المشترط**».

٦ـ «**الدَّلائل في حكم موالاة أهل الإشراك**».

وهي موضع شرحنا وسبب شحذ همّتنا؛ وتعدّ هذه «الدرَّة الثَّمينة» من أعظم ما كتب المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ في باب: «الولاء والبراء»، بل لم نَرَ مَن صنع مثل صنعه ـ يسَّر لنا اللَّه إتمامها بأحسن وجه ـ إنه وليُّ ذلك والقادر عليه. آمين! آمين!

وهذه «الدُّرَّة الثَّمينة» طبعت عدَّة مرات مفردة، وهي ضمن ما جمعه الشيخ «عبدالرحمن بن محمد بن قاسم النجدي الحنبلي» رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ في «**الدُّرر السَّنيَّة في الأجوبة النَّجدية** ٨/١٢١ ـ ١٦٧» ـ الطبعة السَّابعة «١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م» ـ ؛ «المصححة» و«المنقحة» و«المزيَّدة»، مع الرسالة التي تليها.

٧ـ «**أوثق عرى الإيمان**».

٨ـ «**فتيا في حكم السفر إلى بلاد الشّرك**».

كما له فتاوىٰ ونصائح وإرشادات، وحرَّر بعض المنظومات الفقهية، والمقطوعات الشعرية علىٰ طريقة الفقهاء.

فلقد بلغ صيته الآفاق، وأثنىٰ عليه الفضلاء، وأشاد بذكره العلماء، ما ٱستحق أن ينال بها المنزلة الرفيعة.

قال ٱبن بشر رَحِمَهُ ٱللَّهُ ما لفظه: «فياله من عالمٍ غزيرٍ، وحافظٍ متقنٍ خبيرٍ، إذا شرع يتكلم علىٰ الأسانيد والرجال والأحاديث وطرقها ورواياتها، فكأنه لم يعرف غيرها من إتقانه وحفظه..» [عنوان المجد في تاريخ نجد ١/ ٣٥٠ـ ٤٢٤].

وقال ٱبن قاسم رَحِمَهُ ٱللَّهُ ما لفظه: «هو الحافظ المحدث الفقيه المجتهد، الثقة، أوحد الحفاظ، تاج عصره، جمال الزمان،... كان آية في العلم والحلم، والحفظ والذكاء، له المعرفة التامة في الحديث ورجاله، وصحيحه وحسنه وضعيفه، والفقه والتفسير والنحو، وكان في معرفة رجال الحديث يسامي أكابر الحفاظ، وضرب به المثل في زمنه بالذكاء، وكان حسن الخط، ليس في زمنه من يكتب بالقلم مثله... لم يُر شخصٌ حصل له من الكمال، والعلوم والمصنفات الحميدة، التي لم يحصل بها الكمال لسواه، علىٰ صغر سنه.» [الدُّرر السَّنيَّة في الأجوبة النَّجدية ١٦/ ٣٨٤، ٣٨٥].

توفىٰ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ مقتولاً علىٰ أيد الظالمين المعتدين؛ القبورية المشركين، بعدما داهم جيش الدولة «العثمانية» بلدة «الدَّرعية»، التي كان فيها رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ مع والده وأمراء البيت السعودي، وكان ذلك بعد حصارٍ دام «ثمانية» أشهر، تُوصل فيه إلىٰ صلح يحقن به الدماء، ويكفّ به عن الأعراض والأموال، إلَّا أنَّ قائد ذاك الجيش الغاشم لما رأىٰ بلدة «الدَّرعية» تفتح له أبوابها، غدر وٱنقضَّ علىٰ خيرة رجالها، من علماء وأولي رأي وفقهاء بالقتل والتنكيل، فعاث فيها الفساد.

أخرجه «إبراهيم الباشا» بسبب وشاية إلىٰ المقابر، وأمر جنودَه

بقتله، فرموه دفعة واحدة فتناثر جسده علىٰ إثرها، نسأل اللَّه ـ تعالىٰ ـ أن يكون من الشهداء يوم القيامة.

قال ٱبن قاسم رَحِمَهُ ٱللَّهُ ما لفظه: «ٱخترمته المنيةُ في عنفوان شبابه، بكت عليه العيونُ بأسرها، فياله من خطبٍ ما أعظمَه، وعاجلِ أجل ما أوجعه، ومصابٍ ما أكبره وأهوله، نمي به رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند «إبراهيم الباشا» فقتله، أكرمه اللَّه بالشهادة(١)، «سنة ١٢٣٣هـ» رَحِمَهُ ٱللَّهُ وأسكنه الفردوس الأعلىٰ.» [الدُّرر السَّنيَّة في الأجوبة النَّجدية ١٦/ ٣٨٦].

---

(١) قلت: إنَّ من عقيدة أهل السنَّة والجماعة، أنهم لا يثبتون لإنسان الشهادة إلَّا مع النص؛ كما قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**ٱثبت أحد، فإنما عليك نبيٌّ وصدِّيقٌ وشهيدان**» [البخاري رقم ٣٦٧٥]. وكان معه ﷺ «أبو بكر»، و«عمر»، و«عثمان».

أما ما دون النص، فنقول: «نحسبه شهيدًا والله حسيبه ولا نزكي على الله أحدًا». لكن نقول: قتل في سبيل الله ولا نتحرج من ذلك، لتمايز الصَّفين؛ صفٌّ في سبيل الله، وصفٌّ في سبيل الطاغوت، لأنه ليس كل من قتل في سبيل الله؛ يكرم بالشهادة، فقد يكون المقاتل قاتل حميةً، أو رياءً، أما نحن فالحكم إلى ظاهره، والكل ينسب إلى صفِّه، وما أمرنا أن ننقب عن قلوب الناس؛ هذا في الدُّنيا، أما في الآخرة فالحكم إلى الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

أما مَن سمَّى المقتول مع العدو الصائل ـ اليهودي أو الصليبي ـ، أو غير ذلك شهيدًا؛ كما نسمعه على بعض الإذاعات، فذاك الإلحاد الذي ما بعده إلحادٌ، بل منهم مَن بلغ به الأمر إلى أبعد من ذلك؛ فأصبح يترحم على اليهود والنصارى، فيقول: «بيار» رَحِمَهُ ٱللَّهُ، و«توني» رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ولا يتحرج من ذلك، والله ـ تعالى ـ يقول: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ١١٣﴾ [التوبة]. لكن هي غربة الإسلام، وغربة الطائفة المنصورة؛ التي تريد أن تصلح ما أفسد الرَّعاع، وعلى رأسهم المرجئة وطائفتهم الجدد؛ بـ«المجادلة» أو «المجالدة»، ولا ثالث لهما ألبتة.

سَبَبُ تَأْلِيفِ «الدَّلائِل»

ٱعلم ـ رحمك اللَّه ـ إنَّ الحكم علىٰ الشيء فرعٌ عن تصوره؛ لأنَّ الوصف الدَّقيق للحادثة أو النازلة، لا يكون إلَّا بعد الإحاطة بها من كل جوانبها، وهذا الوصف جزءٌ أعظم في معرفة الأحكام المترتبة عليها؛ لهذا يوليه البصراء الأهيمة؛ لأنه لبُّ الاستفسار والتفصيل، وهو سمة أهل السنَّة والجماعة في تحقيق المسائل وتقييدها.

لهذا ٱعتنىٰ سلف الأمة ﵃ بتبليغ معاني القرآن، وحوادث نزوله أكثر من عنايتهم بتبليغ حروفه؛ لأنَّ هذا محفوظ بحفظ اللَّه ـ تعالىٰ ـ له، فالإلتباس لا يدخل من باب التلاوة قطُّ، وإنما من باب التأويل، وسدّ هذا الباب، لا يكون إلَّا **بعلم «المعنىٰ» وحماية «المبنىٰ»، وزِمامهما علم «سبب النُّزول»، والتَّحقق من «النُّقول»**.

فللَّه درّ «ٱبن عباس» ـ رضي اللَّه عنهما ـ لما ذكر لأمير المؤمنين «عمر بن الخطاب» ﵁، أنَّ ٱنثلام الإسلام لا يكون إلَّا من هذا الباب **ـ باب الجناية بالتأويل لفقد الإحاطة بسبب التنزيل ـ** فقال ما لفظه: «يا أمير المؤمنين، إنما أنزل علينا القرآن فقرأناه، وعلمنا فيمَ نزل، وإنه يكون بعدنا أقوام يقرؤون القرآن، ولا يعرفون فيمَ نزل؛ فيكون لكل قوم فيه رأي، فإذا كان لكل قومٍ فيه رأي ٱختلفوا؛ فإذا ٱختلفوا ٱقتتلوا» [أخرجه الخطيب في الجامع ٢/ ١٩٤ وشعب الإيمان رقم ٢٢٨٣].

لهذا كان لزامًا علينا؛ معرفة السَّبب الذي حمل العالم النحرير

«سليمان بن عبدالله بن محمد عبدالوهاب» رَحِمَهُمَاٱللَّهُ علىٰ تأليف رسالة «**الدَّلَائِل فِي حُكْم مُوَالَاة أَهْل الإِشْرَاك**»، حتَّىٰ نلمّ بالحكم؛ ويصلح القياس عليه، لئلا يُضَل الطريق، ويقع السير يمينًا وشمالاً؛ **وهذا سبب التَّيه، والزَّيغ، وظهور المشقة؛ والدُّخول في المؤاخذة.**

فالمقصود من هذا؛ أنَّ فقدان هذا الأصل العظيم ـ أسباب الحكم علىٰ الحوادث أو النوازل والإلمام بها ـ يكون سببًا لخفاء العلم النافع، ولبّه ـ **القياس الجلي علىٰ ما ٱستجدَّ من الحوادث** ـ فيشتبه الحقّ بالباطل وتقع الفتن، وتلك آصار وأغلال سبَّبها هذا الأصل ـ **عدم معرفة سبب النُّزول، والتَّحقق من النُّقول، والنَّظر الثَّاقب في المأمول** ـ وإن كان الحنيفية السمحة؛ التي ليس فيها شدَّة ولا مشقة، بريئة من هذا، ولهذا قال ـ تعالىٰ ـ : ﴿**وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا** ﴿٢﴾﴾ [الطَّلَاق]؛ والمخرج لا يتحقق إلَّا بإحكام ما بسطنا القول فيه.

فلنذهب ونرىٰ؛ ما مستجدات تلك الحوادث التي طرأت علىٰ زمن المؤلف رَحِمَهُٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ ؛ فحملته علىٰ تأليف هذه الدُّرة البديعة، فللَّه درّه ما أبدع فيها؟!

أقول وباللَّه ـ تعالىٰ ـ التَّوفيق:

لقد وعد اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ المستضعفين في الأرض؛ من عباده المؤمنين؛ إن هم أقاموا وصاياه، وتشبَّثوا بعهوده أن يستخلفهم في الأرض، ويمكن لهم دينهم الذي ٱرتضاه لهم.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى

ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النور].

وَقَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنَجۡعَلَهُمۡ أَئِمَّةٗ وَنَجۡعَلَهُمُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [القصص: ٦].

فلطف اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ بعباده الموحدين، ومنَّ عليهم بعدما ضرب الشّرك أطنابه تلك الدِّيار التي سطعت منها شمس الرسالة الخالدة، التي لا تزول إلىٰ أن يرث اللَّه الأرض ومن عليها، برجلٍ حمل علم الدَّعوة والجهاد، فطهَّر تلك البقاع ـ كما طهَّرها نبينا عليه الصَّلاة والسَّلام من قبل ـ، ونفض الغبار عن علوم شيخ الإسلام «ٱبن تيمية» وجدَّدها، «محمد بن عبدالوهاب» رَحِمَهُ اللَّهُ ـ تعالىٰ ـ؛ بعدما كان كل من ٱستعان بعلومه، وحرَّرها علىٰ طريقته؛ نُكِّل به من طرف السَّلاطين ذوي العقيدة الفاسدة ـ «عقيدة التأشعر» ـ، فٱضطر بعدها أن يختفي؛ كما فعل «ٱبن أبي العز» الحنفي رَحِمَهُ اللَّهُ لما شرح «الطحاوية» خفىٰ ٱسمه منها؛ مخافة التَّنكيل من أولـئك، وعلىٰ رأسهم السُّلطان «صلاح الدين الأيوبي» الذي حمىٰ عقيدة إناث الجهمية ـ عقيدة التأشعر ـ التي كانت سائدةً ومهيمنةً آنذاك.

فظهرت بسببه معالم التوحيد، ونقضت صرائح الشّرك، وتبيَّن قبحها للقاصي والدَّاني، ودخل الناس فيه طواعية، لإتلافه مع الفطرة المكمَّلة؛ فأتلف الناس، وٱبتعدوا عن الاختلاف، وتلألأت المحبة وتشبَّثت، بعدما حجبها قبح الشّرك الطارىء؛ لأنَّ النفس فطرت علىٰ

التوحيد والبعد عن النَّدِيدِ.

فٱطمأن الناس، وذاع صيتهم من تلك البقاع في أرجاء المعمورة، وتوافدت عليهم الوفود، وكثر سوادهم، وٱشتدت سواعدهم، وٱقتربت الأمصار من بعضها البعض، بعدما باعد بينها الأنداد؛ كل مصر له معبوده من المقبورين، يستشفع به، ويتزلف بعبادته إلىٰ رب الأرض والسماء؛ كما كان يفعل أجداده من قبل ورود الرسالة، وهو يحسب أنه يحسن صنعًا، ولقد علمت العقول السليمة، أنَّ تلك هي قبائحٌ مبديةٌ، ووقائحٌ مخزيةٌ في حق اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ .

فجاهر الموحدون بدينهم، وٱطمأنت قلوبهم بذلك، لأنَّ آباءهم أفنوا أعمارهم فيه، ورضوه للأبناء، وأعلموهم أنَّ صيتهم لا ينقطع، وشامتهم لا تُمحىٰ، وهاماتهم لا تتطأطأ ما تمسكوا به، وحموا جنابه.

وكان بالفعل ذاك؛ كما قال ـ تعالىٰ ـ : ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠]، فحمىٰ الأبناء تركة الآباء، وعهدوا بها للسَّبط، فحملوها ولم يكلُّوا من حملها، ودافعوا عن حماها، وما رسالة «**الدَّلَائِل فِي حُكْم مُوَالَاة أَهْل الإِشْرَاك**» ـ التي هي موضع شرحنا ـ إلَّا دالة علىٰ أنَّ الأمانة حُفظت وٱعتني بها أشدَّ العناية.

لكن يأبى المولىٰ ـ سبحانه وتعالىٰ ـ إلَّا أن يجعل للحقِّ مناوئين، **قَالَ تَعَالَىٰ**: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢]؛ وهذه العداوة كذلك تكون لأتباعهم المستقمين علىٰ منهجهم، وتلك هي سنَّته التي لا تجد

لها تبديلاً، حتَّىٰ يتميَّز الخبيث من الطيّب، ويعلم المؤمن الموقن، إنَّ وعد اللَّه حقٌّ ﴿إِنَّهُۥ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَأۡتِيًّا ٦١﴾ [مريم].

والفريق المناوىء، لكبره وٱستنكافه أن يكون للحقّ تابعًا؛ لخبث بطانته، ورداءة ٱعتقاده، وخوف فوات شهواته؛ مما كسب من حطام الدُّنيا، وقف في وجه الحقّ، يصدّ لسماعه، ويلغو فيه لعله يَغلب، وهذه غوائل المبطل المستنكف عن الحقّ، وما فعل ذلك إلَّا لما حواه ٱعتقاده الفاسد، من ٱعتقادات ومعاملات مصادمة للفطرة المكمَّلة، ولولا ذاك ما ٱستمع لزخاريف الأقوال الشيطانية، **فإنَّ شرط الإصغاء أن يكون مسبوقًا بٱعتقادٍ فاسدٍ**، ولهذا قال ـ تعالىٰ ـ : ﴿**وَلِتَصۡغَىٰٓ إِلَيۡهِ أَفۡـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ وَلِيَرۡضَوۡهُ وَلِيَقۡتَرِفُواْ مَا هُم مُّقۡتَرِفُونَ ١١٣**﴾ [الأنعام].

والفريق المنحرف المناوىء للحقِّ، المستمع للزَّخاريف الشيطانية، تمثل في عهد مؤلف «**الدلائل**» ـ «سليمان بن عبداللَّه ٱبن محمد بن عبدالوهاب» رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ في الدَّولة «العثمانية» ـ القبورية الشّركية، المقيمة ما أخمد من زمن بعيدٍ في «جزيرة العرب» ـ ؛ لما ٱستولت علىٰ ملك العرب، بعدما تخلىٰ عنه أصحابه.

وملك العرب ـ الميراث الموَّرث، والاستقامة علىٰ نهجه ـ ، الذي لولاه ما سمع بهم الناس ودانوا لهم في أرجاء المعمورة.

قال عليه الصلاة والسلام : «**لا يزال هذا الأمر في قريش، ما بقي من الناس ٱثنان**» [مسلم رقم ٤٦٨١ كتاب الإمارة].

وفي رواية: «الخلافة في قريش ـ وفي رواية ـ الخلافة في قريش إلىٰ قيام الساعة» [ظلال الجنة رقم ١١٢٤و١١٠٩].

وقريش خاصة العرب، التي خرج منها نبيّنا ـ صلوات اللَّه وسلامه عليه ـ ، وإذا سلبت الخلافة، أو قُصِّر في إقامتها، أو ظهر الجور في ظلها، ذهب شرف ذلك، **وأذلهم المولَّد، وٱبن السَّبي**.

وهذا المجد؛ **لا يقيم صرحه إلَّا العربيّ المنشأ والتربية**، فلهذا قال معاوية بن أبي سفيان ـ رضي اللَّه عنهما ـ : «واللَّه يا معشر العرب، لئن لم تقوموا بما جاء به محمد ﷺ؛ لغيركم من الناس أحرىٰ ألَّا يقوم به.» [مستدرك الحاكم رقم ٤٤٣ «كتاب العلم»].

بهذا يتبيَّن لك معدن الأمم، **وليس أضر علىٰ مقوِّمات الأمة من العروق الدَّساسة ـ المكنونة في المولَّد وٱبن السَّبي، أو الذي نشأ في الإسلام ولم يعرف الجاهلية ـ** فٱعرف هذا وٱحفظه ـ يرعاك اللَّه ـ ولئن تتبَّعت وٱستقرأت التاريخ تجد ذلك باديًا، **بل توفرت الدَّواعي علىٰ نقله وحكايته**، وهذا عارضٌ من القول، لا يتَّضح المقام إلَّا بذكره.

فقد ٱجتاحت تلك الدَّولة القبورية الشّركية ـ المقيمة صرح الباطل ـ ، معقل الإيمان؛ لتقوِّضه، وتنال من أصحابه، فهذا دأب الباطل؛ لما تُفنَّد مزاعمه، وتسفه أحلامه؛ يكشِّر عن أنيابه، ويبطش بمن نال من باطله، لعلَّه يُنصر، وإن هو إلَّا كما قال ـ تعالىٰ ـ : ﴿ **وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾** ﴾ [يسٓ]. **وَقَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ**: ﴿ **أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾** ﴾ [الأعراف].

فلقد هال تلك الدَّولة العثمانية ـ القبورية الشّركية ـ ، ما حصل لمعقل الإيمان من سؤدد، وتطهير لمعتقد اللُّدُد، فزحفت بجحافلها،

وصحبهم الشيطان بلوائه، يجلب علىٰ معسكر الإيمان بخيله ورجله؛ يدل علىٰ عورته، ويهون من نيله، وينفث في روع معسكره باطله ويزينه، ويقول لهم: ﴿ **أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ** ﴿٥﴾ ﴾ [ص]؛ كيف يترك هؤلاء الأولياء والأبدال؟! ولقد دأب علىٰ ذلك الآباء والأجداد، ونالوا به من الأمجاد، ما أوصلهم إلىٰ هذه منزلة ـ **منزلة تقويض صرح الخلافة وقيام دول الطَّوائف والأنداد** ـ.

ولولا قلَّة الآثار ما ظهرت الأهواء؛ وشُيِّد «باطنية الأهواز» دولتهم علىٰ ظهور الرَّعاع؛ يدعون لمحبة أهل البيت، ويدسون السُّم فيها؛ ونحن من أهل البيت ولا فخر، برآء من محبتهم، ومن محبة كلِّ أحدٍ يريد أن يتسلق علىٰ ظهورنا؛ ليطعن في كتاب ربنا وعترة أهل بيتنا، التي لا يزيغ عنها إلَّا هالكٌ، أو ممن يريد قضاء مآربه بنا؛ كما يفعل «الفرس» ـ أبناء السَّبي ـ اليوم، الذين يريدون تقويض صرح السنَّة بنا، اللَّهم إنَّا برآء منهم ومما يدَّعون وينتحلون إلىٰ يوم الدّين، وباعد بيننا وبينهم بعد المشرقين. آمين! آمين!؛ فهذه نفثةُ مصدورٍ.

ولا أجد أحسن من قول «صالح بن مهدي المقبلي» رَحِمَهُ اللَّهُ ـ تعالىٰ ـ؛ صاحب مصنَّف «**العِلْم الشَّامِخ**» أتمثل به:

قَبَّحَ الإِلَهُ مُفَرِقًا بَيْنَ الصَّحابَةِ وَالقَرَابَةِ

فلنرجع إلىٰ ما كنا فيه من بيان.

أقول: هذه الدَّولة «العثمانية» ـ القبورية الشّركية ـ ما ٱستطاعت الزَّحف لولا الفئة التي علمت الحقّ وتيقنت منه، لكن حطام الدُّنيا وفساد المعتقد، وبعض العلوم كسبتها لتقتات بها؛ فٱفتات فيها، ولقد

علمت أنَّ صاحب ذلك ﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ﴾ [الأعراف: ١٧٦].

وهذه الفئة تمثلت في الفريق الأزهري؛ الذي بنىٰ صرحه «العبيدية الباطنية»؛ يهودية الطريقة، وفرسية المنشأ، ليزيّن باطله، وينشر سمَّه، ومازال هو علىٰ ذلك إلىٰ يومنا هذا، يقوض صرح التوحيد؛ وينشر «عقيدة التأشعر»، ويهون من دعامة الدين ـ أعني: مسألة الإيمان ـ بما صدر عن الزنديق «جهم بن صفوان» ـ أنَّ المعرفة كافيةٌ في الإيمان وإن تركت الأعمال بالكلية ـ ، ولولا هذا المعتقد الفاسد ما تجرأ علىٰ الدّين من قبل واليوم كل زنديق ومهين، الذي لا يعرف من الإسلام إلَّا ٱسمه، ومن مَعْلَمه إلَّا رسمه، يلوي بعنان قلمه ليوهنه؛ بٱسم حرية التعبير، ليرد علىٰ الفئة الظلامية ـ زعم ـ ، وهؤلاء اليوم هم أحلاس المقاهي وروَّادها ـ صحفيِّة الإعلام الكاذب مدَّعين التثقيف وإلىٰ الجهل ينسبون ـ ؛ لأنهم التَّتْفِيف[1].

ولم يشذ عن هذا الصَّرح الباطل الأزهريِّ، إلَّا العلاَّمة «أحمد ٱبن محمد شاكر» رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ ، فلقد كفر بهذه المدرسة وما تدعو له، وٱستمسك بالعروة الوثقىٰ ـ عقيدة ومنهجًا ـ فدرَّس وصنَّف علىٰ أصولها، وناظر وأفحم بقواعدها، فجزاه اللَّه ـ تعالىٰ ـ عن الإسلام والمسلمين خيرًا، وجعل له ما أبدع فيه ذخرًا.

ولولا هذا الصَّرح الأزهريّ الباطل؛ ما ٱستحلت «الربا» اليوم بٱسم

---

(١) التَّتْفِيفُ: من التُّفِّ، وهو وسخ الأظافر؛ الذي بين الظفر والأنملة، وقيل: ما يجتمع تحت الظفر من وسخ، كالتَّأْفيف من الأفِّ: وهو وسخ الأذن. [اللسان «مادة تفف»].

«الفوائد»، بل لولاه ما تجرأ «نابليون بونبارت» علىٰ عزو «مصر»؛ لما دخل إليها تظاهر بالشهادتين، فقال آنذاك دعاة هذا الصَّرح ـ الأزهريّ الباطل ـ : «لا تقاتلوه إنه مسلمٌ»؛ فقام حماة الحقّ؛ لأنَّ اللَّه دائمًا يقيم له من يوضّحه ويجدِّده، ويسرف عنه زيف المزيِّفة، فقالوا لهم: «حتَّىٰ ولو كان كما قلتم؛ فهو صائلٌ، وجب دفعه بكل طائل»؛ فخنس المزيِّفة، وٱشتدت سواعد المدافعة، فهل من معتبر يا أولي البصر.

ثم إياكم والظَّن أنَّ هذا الصَّرح الأزهري ـ عبيدي المنشأ ـ يخدم مصلحة الإسلام، بل يقوِّضه ويوهن من حرمته، والواقع شاهدٌ بذلك ناطقٌ به، وليس أعدل من هذه الشهادة.

فلقد عهدت تلك الدَّولة «العثمانية»؛ التي سمِّيت بالرجل المريض في ذلك الوقت ـ **وما أمرضها إلَّا صرف خصائص الألوهية إلىٰ المقبور وهو الشّرك المحض** ـ ؛ وهذه هي سنَّة اللَّه ـ تعالىٰ ـ في الذي يغيّر مواثيق الأنبياء والرسل؛ يمرض قلبه، ويُسلَّط علىٰ مرضه من يقتله؛ ليس قصد الإبراء، وإنما للراحة من المريض ومرضه.

وبالفعل حصل ذلك؛ فلما قضوا عليه وقوَّضوا صرحه ـ بعدما كان مترامي الأطراف ـ في «معركة نفارين» «سنة ١٨٢٨م» التي كانت علىٰ السواحل الغربية للأمة الإسلامية، بعدها بعامين جهَّز العدو الصليبي الفرنسي؛ أتباع «بطرس الناسك» جيشه ودخل علىٰ الجزائريين فأبادهم علىٰ بكرة أبيهم[1]؛ فحصد منهم ما لا يقل عن خمسة ملايين دفعة

(١) قلت: لقد ٱشتهر هذا المثل العربي القديم بلفظ «عن بكرة أبيهم» وهو خطأٌ، والأمثال لا تغير؛ ولقد أوضح ذلك بهاء الدين العاملي فقال ما لفظه: «في المثل: «جاءوا على بكرة أبيهم». ←

واحدة، وأسر منهم ما أمكن أسره، وأجلاهم إلىٰ «كليدونيا الجديدة»؛ وتنصر بعد ذلك سبطهم؛ لخفاء معالم الإسلام بموتهم.

ولم يسلم إلَّا بعض من لجأ من خيرة الحسنيين إلىٰ «الشام»؛ فلم يسكتوا علىٰ ما جرىٰ لهم في «الجزائر»، فقاوموا المدمّر الصليبي الفرنسي وأجلوه من «سوريا»؛ وهم الذين أقاموا تلك الدولة، ومنهم خيرة العلماء، كالعلاَّمة «طاهر بن محمد صالح بن أحمد بن موهوب الحسني» الجزائري ـ صاحب «**تَوْجِيه النَّظَر إِلى أُصُول الأَثَر**» ـ الذي كان عمدة الشيخ «الألباني» رَحِمَهُ اللهُ ـ تعالىٰ ـ في التَّزوُّد منه؛ وتبحُّره في «علم الحديث» وإتقانه. وهذا عارضٌ من القول، مرتبطٌ بالمأمول؛ ٱستوجب ذكره.

فٱستجاب المأمور «محمد بن علي» ـ صاحب مصر ـ، الذي وكّل إليه مهمة القتال، وكل ذلك تحت سلطة حامي الدَّاء ـ الشّرك بالمقبور في حق الذي يتصرف في الأمور ـ السلطان «محمد بن عبدالحميد»

هذا مثلٌ يُضرَبُ للجماعة إذا جاءوا كلُّهم ولم يتخلف منهم أحدٌ. والبَكْرَة: الفَتيَّةُ من الإبل.

وأصل هذا المثل أنه كان لرجل من العرب عشَرة بنين، فخرجوا إلى الصيد، فوقعوا في أرض العدو، فقتلوهم ووضعوا رؤوسهم في مِخْلاَة، وعلَّقوا المِخْلاةَ في رقَبةِ بَكْرةٍ كانت لأبي المقتولين، فجاءت البكرة بعد هدأة من الليل، فخرج أبوهم وظنَّ أنَّ الرؤوس بيضُ النَّعام، وقد ٱصطادوا نعامًا وأرسلوا البيض، فلما ٱنكشف الأمر قال الناس: جاءوا بنو فلان على بكرة أبيهم» [الكُشْكُول ٢/ ١٥١].

فلا نستطيع أن نقول: «جاءوا عن بكرة أبيهم»؛ بلفظ «عن» لأنَّ ذلك تغييرٌ للمعنى؛ ويشهد لهذا حديث سهل بن الحنظلية وفيه: «...، فإذا أنا **بهوازن على بكرة آبائهم** بظُعُنِهم، ونَعَمِهم، وشَائِهم ٱجتمعوا إلى «حنين»؟ فتبسم رسول الله ﷺ وقال: **تلك غنيمة المسلمين غدًا إن شاء الله...**» [صحيح سنن أبي داود رقم ٢٥٠١ والسلسلة الصحيحة ١/ ٧٢٣].

فٱحفظ هذه الفائدة البديعة، وٱذكر وٱشكر ولا تكفر.

المتوفىٰ «١٢٥٥هـ» ، وهو السلطان الثلاثون من سلاطين «آل عثمان»، وكان ذلك «سنة ١٢٢٦هـ» ، فكانت الحروب منذ ذلك الوقت سجالاً؛ بين العساكر القبورية «المصرية»، ومعقل الإيمان من أهل «الحجاز» و«نجد». كما أنها كانت المقدمة لغزو «نجد»، وإسقاط معقل الإيمان ـ عاصمة الموحدة ـ «الدَّرعية»؛ التي كانت بالفعل درع مجدد عصره ـ «محمد بن عبدالوهاب» وأبنائه وسبطه ومن أحبهم ولجأ إليهم وكثَّر سوادهم ـ .

فحاصر «الدَّرعية» حصارًا شديدًا، وأخذت المؤن والأرزاق في النفاد؛ ولا حيلة ولا منفذ للميرة، بينما كانت تسيل علىٰ الطاغية «إبراهيم باشا» من «القصيم» و«الحجاز» و«البصرة» و«مصر».

فنصب المدافع، وبدأ في قصفها، فهدَّم المساكن والمساجد، وروَّع الضعيف ـ من طفلٍ ورضيعٍ وٱمرأةٍ وشيخٍ هارمٍ ـ ، فأسرع أهلها إلىٰ أميرهم «عبداللَّه» طالبين منه الخلاص؛ مما حلَّ بهم، فٱضطر بعد ذلك إلىٰ الخروج إلىٰ الطاغية؛ وسلَّمه نفسه دون قيدٍ أو شرطٍ، فتظاهر له بالإكرام، وأرسله مع أهله وحاشيته إلىٰ والده «محمد بن علي» بمصر، ثم أرسله الطَّاغية الأب إلىٰ الأستانة؛ إلىٰ «الباب العالي» ولا علوَّ فيه لشركه وقبوريته، فَطِيفَ به في الأسواق مقيَّدًا، ليرىٰ الترك ـ المؤَلدون وأبناء السَّبي ـ رئيس «الوهابية» الذي يعدُّونه خارجًا عن الإسلام؛ الذي أوهنوه وألحدو فيه بشركهم ـ ليفرح القبورية ويتبشبشو بذلك ـ ثم قتل رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ في ميدان «أيا صوفيا».

وهذه أخطاءٌ قاتلةٌ من القادة؛ لما يطمأنوا لوعود الصائل، ويظنون

به الحسن، ولا حسن فيه طالما هو مجتاح الدِّيار ليجعل أعزة أهلها أذلة، وحادثة «هولاكو خان» وقتله للخليفة «العباسي» في كيسٍ من لبَّادٍ؛ رفسًا بالأقدام ـ وكانت هذه طريقتهم في قتل الملوك والرؤساء ـ؛ ناطقة بذلك، وما فعل الحلف الصليبي اليوم في «العراق» و«أفغانستان» و«الصومال» أكثر من ذلك.

فليعتبر وليتعلم الموحدون ـ المدافعون اليوم عن صرح الإسلام ـ أن لا ثقة بالصائل ولو كان من أقرب القريب؛ طالما هناك تباين في العقائد، ولا ضيم ولا تسليم، إلَّا للمَلَك الأمين؛ ليصعد بالروح في العليين، وذلك هو الفوز العظيم.

لكن الطريف من الغزو؛ هو لما رجع «إبراهيم باشا» إلىٰ «مصر» بعدما ترك الدَّرعية أطلالاً، وقتل خيرة رجالها، ومنهم العالم النحرير؛ صاحب الدُّرَّة البديعة التي شحذنا هممنا لشرحها ـ يسر اللَّه لنا ذلك ـ «سليمان بن عبداللَّه بن محمد عبدالوهاب» ـ رحم اللَّه تعالىٰ الجميع ـ ٱستقبله علماء السُّوء؛ مزيّنين الباطل، المتخرجين من «مدرسة التأشعر» ـ الأزهر الذي بناه «العبيدية» ليكون منارة الإلحاد؛ بدءًا من الكليات لطمس مَعْلَم الجزئيات ـ، لم يلتفت إليهم وقال لهم : «العلماء الحقيقيون في بلاد نجد» [علماء نجد ١/ ١٧٧].

لأنه علم أنَّ قفاهم قفا كذَّاب؛ الذي يُزَيِّن دائمًا ما يريده السلطان، ليرضيه علىٰ حساب رضا الرحمن، وما «د. القرضاوي» والذين تسلفوا في «الأسماء والصفات»، وٱبتدعوا في «المنهج» ـ بٱقتفائهم «الطريقة السرورية» وجعلها منهجًا للتغيير ـ كـ«سَلمان العودة» والذين

علىٰ شاكلتهم منك ببعيد. وهولاء هم ٱمتداد لزعيمهم الذي رأىٰ أميره يلعب بالحمام فقال له: إنَّ النبي ﷺ قال: «**لا سبق إلَّا في نصل أو خف أو حافر** أو جناح».

فزاد كلمة «جناح» ليأخذ المُلاَّح[1]، لأنَّ لا حلو فيه طالما هو يسيل من ينبوع السلاطين؛ لأنَّ ذلك فتنة؛ لقوله ـ صلوات اللَّه وسلامه عليه ـ: «**من سكن البادية جفا، ومن ٱتبع الصَّيد غفل، ومن أتىٰ السلطان ٱفتُتنَ**» [صحيح سنن أبي داود رقم ٢٨٥٩]؛ فما بالك بأعطياتهم؟!

ولهذا قال إمام أهل السنَّة «أحمد بن حنبل» رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ للمتوكل؛ لما طلب منه أن يقرأ علىٰ ٱبنه المسند: «ٱعفني مما أكره»، ولما طلب منه أمير «بغداد» «محمد بن عبداللَّه بن طاهر» ليحضر إليه، ٱمتنع «أحمد» رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ وقال: «أنا رجلٌ لم أخالط السلطان، وقد أعفاني أمير المؤمنين **مما أكره وهذا مما أكره**» [سير أعلام النبلاء ٩/ ٤٩٩].

أما ذاك الكذَّاب، فأمر له السلطان ببدرة[2]، فلما قام قال: «ٱشهد علىٰ قفاك أنه قفا كذَّاب علىٰ رسول اللَّه ﷺ! ثم قال السلطان ـ «المهدي» ـ: أنا حملته علىٰ ذلك، ثم أمر بذبح الحمام، ورفض ما كان فيه»، وما جعل ذاك الكذَّاب يفتري ذلك؟ هو ٱستحبابه الدُّنيا علىٰ الآخرة.

---

(١) المُلاَّحُ: بقلة غضَّة فيها ملوحة منابتها القيعان؛ من نبات الحمض. [لسان العرب ١٤/ ١١٧ «مادة المُلاَّح»].

(٢) البدرة: كيس فيه مقدار من المال، يُتعامل به ويقدم في العطايا. ويقال: فيه ألف أو عشرة آلاف. [لسان العرب ٢/ ٣٧ «مادة بدرة»].

وهؤلاء اليوم هم المرجئة وطائفتهم الجدد، أو الذي تسلَّف في الظاهر ليرضي الخاطر، لكن علىٰ حساب الدّين ومقوِّمات الأمة، وهؤلاء من أضل الناس وأبعدهم عن هدي المرسلين، وعن سَمْتِ الذين ٱتبعوهم بإحسانٍ إلىٰ يوم الدّين، فضلاً عن أن يكونوا من علماء المسلمين، ولقد لاح ٱنبتارهم في الأفق ﴿**فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ ١٧**﴾ [الرعد]. وهذه هي سنَّة اللَّه في النفع، فهل من معتبر.

ولولا هذا عين ما أقول ويقوله كلّ منصف عرف التوحيد ونواقضه؛ ما ٱطَّلع علينا «علي جمعة» ـ مفتي مصر ـ ، المتخرج من ذاك الصَّرح الباطل ـ الأزهر الذي بناه «العبيدية» ـ يدعو العالم العربي والإسلامي إلىٰ تأجيل تحكيم الشريعة؛ لأنَّ معظم هذه الدول بزعمه ـ تعيش حالة شبهة ـ ويعني بقوله: أنَّ العصر ٱمتلأ بالشبهات والحدود تدرأ بها ـ ، أيقول هذا القول رجلٌ عرف قدر قوله ـ تعالىٰ ـ : ﴿**أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ٥٠**﴾ [المائدة]؟! فهل هذا يخصّ عصرًا دون عصرٍ؟!!

وهل إذا كثرت الشبهات تُعطَّل الحدود والأمور الأخرىٰ؟! فالحدود لا تُعطَّل بالشبهات وإنما تدرأ بها، وَلَإن أخطأنا فيها بالعفو خير لنا من أن نخطأ فيها بالعقوبة، لكن هذا لا يمنع من تحكيم الشَّرع، وإقامة الحدّ فيمن لم تقم به شبهة؛ وبذلك نتعبَّد.

أيقول هذا الشَّنيع من القول رجلٌ خالج الإيمان قلبه؟!

فلما كان شعار هذا الصَّرح الباطل الذي تخرَّج منه المفتي أنَّ

الإيمان هو «المعرفة» فقط، فلا مانع عندهم من ٱطلاق هذه الكفريات ـ والعياذ باللَّه ـ .

أقول: لا يجتمع هذا القول وتنزيه اللَّه ـ تعالىٰ ـ والانقياد له في الظاهر والباطن في قلبٍ واحدٍ، وهل يعذر بالجهل المفتي «علي جمعة» علىٰ قوله هذا؟!! **أترك الجواب لمن عرف التوحيد وحقَّق مقتضاه وعرف نواقضه.**

فرحم اللَّه علماء السلف؛ فلقد نبَّهوا من هذا الفصيل مدَّعي العلم، فقال محمد بن الحاج أبو عبداللَّه العبدري المالكي الفاسي نزيل مصر رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ ما معناه : «كان في عهد السلف إذا ٱبتدعت العامة بدعة قام العلماء في إبطالها، **وأما علماء الخلف فإنهم إذا ٱبتدع أحد من العامة والأمراء والأغنياء بدعة قام العلماء في الترغيب فيها، والانتصار لها وتوجيهها**».

فعلَّق علىٰ هذا النَّفيس من القول، العلاَّمة المحقق الهمام «عبدالرحمن بن يحيىٰ المَعْلَمي» اليماني رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ ؛ الذي أبكىٰ تواضعه العلاَّمة «أحمد بن محمد شاكر» رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ لما رغب في رؤيته والتَّعرف عليه، دخل مكتبة الحَرم المكي وٱتَّجه صوب مديرها، الشيخ «سليمان الصنيع» رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ وأثناء محادثته له جاء العلاَّمة «المعلمي» بالماء والشاي، ووضعهما أمام العلاَّمة «أحمد شاكر» والشيخ «الصنيع»؛ وٱنصرف للقراءة، ثم قال العلاَّمة «أحمد شاكر» ـ باللهجة المصرية ـ : «عاوز أشوف الشيخ المعلمي». فقال له الصنيع ـ مدير المكتبة ـ : «الذي أحضر لك الشاي والماء هو المعلمي»، وما هي إلَّا

دقائق معدودة حتَّىٰ أخذ العلاَّمة «أحمد شاكر» في البكاء؛ وكذلك هو تواضع الأوفياء، الذي يُبكي كُنهه الأتقياء، علىٰ خلاف تصنع، وتكبر، وقسوة قلوب الأدعياء.

فقال العلاَّمة عبدالرحمن المعلمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ ما لفظه: «أقول: وقد صدق وبرَّ، ومن أراد من أمرائنا وأغنيائنا فليُجرِّب بأن يُحدثَ بدعة، ثم يستعين بالعلماء والمتصوّفين: **فسَيَجِدَهُم أسرع ما يكون إلىٰ الترغيب فيها، وتحريف الكتاب والسنَّة في سبيل تحسينها، وتضليل أو تكفير من قد يتعرض لردها، ولعل الأعلم الأتقىٰ منهم هو الذي يلزم نفسه السكوت، فإنا للَّه وإنا إليه راجعون.**» [رفع الاشتباه عن معنىٰ العبادة والإله ص ٩١].

فالمغزىٰ من سرد هذه الأحداث؛ يكمن في العدو الصائل ـ القبوري الشّركي ـ أنه كان يصلي ويصوم ويجاهد ما وراءه من نصارىٰ الصلبان، **ويكفي أنَّ هذه شبهة دخلت علىٰ رؤساء مزيّفة الاعتقاد فضلاً عن عامتهم، ومازالت هذه الشبهة وغيرها إلىٰ الآن تحملها «المرجئة» وطائفتهم الجدد.**

ولهذا لما ٱدَّعىٰ «سليمان باشا» أنه مازال علىٰ الفطرة الإسلامية، والاعتقادات الصحيحة، يحيا عليها، أجابه في رسالة الأمير سعود ٱبن عبدالعزيز بن محمد بن سعود فقال ما لفظه؛ بعدما أبطل دعواه ذلك: «وأما قولكم: فنحن مسلمون حقًا، وأجمع علىٰ ذلك، أئمتنا أئمة المذاهب الأربعة، ومجتهدو الدّين والملَّة المحمدية.

فنقول: قد بينَّا من كلام اللَّه، وكلام رسوله، وكلام أتباع الأئمة

الأربعة، ما يدحض حجتكم الواهية، ويبطل دعواكم الباطلة، وليس: كل من ٱدَّعىٰ دعوىٰ، صدَّقها بفعله؛ فما ٱستغنىٰ فقير بقوله: ألف دينار، وما ٱحترق لسان، بقوله: نار،... وحالكم، وحال أئمتكم، وسلاطينكم تشهد بكذبكم، وٱفترائكم في ذلك؛ وقد رأينا لما فتحنا الحجرة الشريفة، علىٰ ساكنها أفضل الصلاة والسلام، عام ٱثنين وعشرين، رسالة سلطانكم «سليم»، أرسلها ٱبن عمه إلىٰ رسول اللَّه ﷺ يستغيث به، ويدعوه، ويسأله النصر علىٰ الأعداء، من النصارىٰ وغيرهم، وفيها من الذل، والخضوع، والعبادة، والخشوع، ما يشهد بكذبكم.

وأولها: من عبيدك السلطان سليم، وبعد: يا رسول اللَّه، قد نالنا الضر، ونزل بنا المكروه، ما لا نقدر علىٰ دفعه، وٱستولىٰ عبَّاد الصلبان علىٰ عباد الرحمن، نسألك النصر عليهم، والعون عليهم، وأن تكسرهم عنا، وذكر كلامًا كثيرًا هذا معناه، وحاصله.

فٱنظر إلىٰ هذا الشّرك العظيم، والكفر باللَّه الواحد العليم، فما سأله المشركون من آلهتهم، «العزّىٰ»، و«اللاَّت»، فإنهم إذا نزلت بهم الشدائد، أخلصوا لخالق البريَّات.

فإذا كان هذا حال خاصتكم، فما الظن بفعل عامتكم، وقد رأينا من جنس كلام سلطانكم، كتبًا كثيرة، في الحجرة للعامة، والخاصة، فيها من سؤال الحاجات، وتفريج الكربات ما لا نقدر علىٰ ضبطه» [الدُّرر السَّنيَّة في الأجوبة النَّجدية ١/ ٣٠٣، ٣٠٤].

أما مقارعتهم لعبَّاد الصليب، والتَّفطن لمكرهم أشهر من أن تخفىٰ، وسأذكر طرفًا من رسالة «الشريف غالب» ـ صاحب «مكة» ـ

القبوري ـ التي يُعلم فيها ما جرىٰ لأمير زيدية اليمن ـ «المنصور باللّه» ـ ؛ لما ٱستولىٰ «الفرنسيون» علىٰ «مصر» فيقول فيها ما لفظه؛ بعدما أثنىٰ علىٰ اللّه وحمده بما هو أهل: «... والذي نبديه إلىٰ مسامعكم العلية، وأفهامكم الزكية، من الأمور الحادثة في الوجود، وجزيل أحكام الملك المعبود، لموجب ٱحتياج أهل الإسلام، إلىٰ الترفهات عن نهج المهام، وترك حزم الأمور، وغفلتهم عن حفظ الثغور.

حتَّىٰ صار ما صار، من شرذمة أهل البغي والإنكار، من التهجم علىٰ بلاد «الإسكندرية» و«مصر» و«القاهرة»، بجنود من البحر علىٰ سفاين متواترة، وهم طائفة من جمهور «الفرانسة»، والملة الباغية، التي بفضل اللّه أعلامهم ناكسة لمشاهدتهم في أحوال المسلمين، ترك الثغور عن التحصين ـ إلىٰ أن قال ـ : فجرىٰ قدر ربنا ـ سبحانه ـ بٱستدراج جند الشيطان أرباب الخيانة، بتملكهم للقاهرة، ودخولهم إلىٰ «مصر» بحكمته الباهرة، فلا راد لقضائه، ولا محيص عما ٱرتضاه؛ فهو الملك المختار، وله المشيئة فيما يختار، فحينئذ بلغ ذلك الخبر، حضرة سلطان الإسلام، أدحض اللّه بصوارم سطوته جنود اللئام، فجهز عليهم من أبطال الأجناد، ما يعجز عن حصره جموع الأعداد، وسير عليهم من جيوش الإسلام، ووزرائه العظام، وجعل مقدمهم الوزير الشهير الجزار «أحمد باشا» ـ بلّغه اللّه من الخير ما شاء ـ ، فٱجتمعت عليه طوائف العربان، وتحشدت تحت رايته كافة أهل الإيمان، وهرع إلىٰ جهادهم المسلمون من كل مكان، **حتَّىٰ أقطارنا «الحرمية» ظهرت منا للجهاد «سبعة آلاف»، يريدون في طاعة اللّه موارد الموت والإتلاف،**

ونرجو العظيم من فضله العميم، أن يؤيد بالنصر أجناد الموحدين[(١)]، ويبدد شملة الكفرة الملحدين...» [البدر الطالع ١/ ٣٦٢، ٣٦٣].

أما معاملته مع الموحدين الحقيقيين، يوضحها العلاَّمة الشوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ ـ تعالىٰ ـ فيقول ما لفظه: «**... وله شغلة عظيمة بصاحب نجد «عبدالعزيز بن سعود»؛ المستولي الآن علىٰ البلاد «النجدية»[(٢)] وغيرها مما هو مجاور لها، وكثيرًا ما يجمع صاحب الترجمة،** ـ يعني: القبوري «الشريف غالب» صاحب «مكة» ـ **الجيوش ثم يغزو أرض «نجد»**

(١) يقول ذلك؛ وهو مشركٌ قبوريٌّ يستغيث بالأموات، ويبني المشاهد على القبور والأضرحة؛ ويعدل بها.

(٢) ٱستولى عليها؛ وطهَّرها من عبَّاد القبور، وخرج على أميرها، فحمد العلماء فعله، وباركوه، ولم يُوسم بالخروج، بل قال أحد علمائهم البارزين، عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب ـ والد صاحب «الدلائل في حكم موالاة أهل الإشراك» ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ما لفظه: «...فكيف بمن أنكر إخلاص العبادة لله وحده، وإخلاص الدَّعوة والاستغاثة، والنذر والتوكل، وغير ذلك من أنواع العبادة،... فمن أنكر ذلك وأبغضه، وسبّه وسبَّ أهله، **وسماهم خوارج، فهو الكافر حقًّا**، الذي يجب قتاله، حتَّى يكون الدّين كله لله، بإجماع المسلمين كلهم.» [الدُّرر السَّنيَّة في الأجوبة النَّجدية ١٠/ ١٨١، ١٨٢].

أما من أراد أن يطهّر بلاد المسلمين اليوم؛ من «شرك القبور» و«الشّرك المستشرى من القصور»، سمَّوه «خارجيًا»، بل وسَمُوا به دافع صائل الصليب في« العراق» و«أفغانستان» و«الصومال»، بل بلغ بهم الأمر أن تحالفوا معه على حساب الموحدين، اللَّهم إنا نشكو لك ضعف قوتنا، وقلَّة حيلتنا مع هؤلاء؛ الذين تشبهوا بأهل العلم، فأفسدوا العقول، وتزلَّفوا للذين ﴿كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَـٰلَهُمْ ۝٩﴾ [محمد] ؛ بالفتاوى الكاذبة.

أقول: قد صدق وبرَّ من قال: «من فسد من علمائنا ففيه شبه اليهود، ومن فسد من عبَّادنا ففيه شبه النصارى». وما من فتنة ومحنة على الموَّحدة إلى قيام الساعة، إلَّا من هذا الصنف ـ قطع الله دابره وأراح الأمة من تزلُّفه ـ الذي يضيِّع الحق في الهوى.

وَهَلْ أَفْسَدَ الدِّينَ إِلَّا المُلُوكُ ... وَأَحْبَارُ سُوءٍ وَرُهْبَانُهَا

فيصل أطرافها، فيبلغنا أنه يقوم لحربه طائفةٌ يسيرةٌ من أطراف البلاد فيهزمونه ويعود إلىٰ «مكة».

وآخر ما وقع منه ذلك سنة «١٢١٢هـ» فإنه جمع جيشًا كثيرًا وغزا نجدًا، وأوقع ببعض البلاد الراجعة إلىٰ سلطان «نجد» المذكور؛ فلم يشعر إلَّا وقد دهمه جيش لا طاقة له به، أرسله صاحب «نجد» فهزمه، وٱستولىٰ علىٰ غالب جيشه قتلاً وأسرًا بل جاءت الأخبار بأنه لم يسلم من جيش صاحب «الترجمة» إلَّا طائفة يسيرة، وقتل جماعة من أشراف «مكة» في المعركة، وتمت الهزيمة إلىٰ «مكة»...» [البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ١/ ٣٥٥، ٣٥٦].

فإذا كان حكم «الدَّلائل»؛ القاسي في من تولَّىٰ هذا الصّنف ـ مدَّعي أنه مازال علىٰ الفطرة يحيا عليها ويشهد له بذلك علماء السُّوء ـ ؛ فكيف يكون حكم «الدَّلائل» في الموالي إذا كان العدو كافرًا أصليًا تقليديًا ـ يهوديًا أو نصرانيًا ـ؟!!

وآيم اللَّه، لقد سمعنا من مدَّعين العلم كـ«العبيكان» ومن نحا منحاه، لما ٱجتاحت جحافل الصليب «العراق»، ونصَّب طائفة الزنادقة؛ الرافضية الباطنية، التي هي ٱمتداد لسلالة «ٱبن العلقمي» الزنديق؛ يقول عنهم: «أنهم ولاة أمور ولا يجوز الخروج عليهم»، بل سمَّىٰ دافع صائل ذاك الحلف الصليبي وأعوانه الرافضة الباطنية ـ إخوان اليهود من الرَّضاعة ـ «خارجيًا» اللَّهم إنَّا برآء ممَّن يقول بهذا القول إلىٰ يوم الدّين. **بل إنَّ كفره متعيّن؛ وبدون إقامة الحجة عليه إذا كان ممَّن يدَّعي العلم، لأنَّ ذلك من أصل الدّين المعلوم بالاضطرار ـ تكفير الكافر،**

وتكفير من أعانه، ووجوب مقاتلته إذا جاسىٰ خلال الديار ـ .

فقد علمت ـ رحمك اللَّه ـ وتوضَّح لك؛ أنَّ المأمول من سردنا لهذه الأحداث في سبب تأليف «**الدَّلائِل فِي حُكْم مُوَالاة أَهْل الإِشْرَاك**» **أنَّ حكمها كان في الموالي لقومٍ ٱدَّعوا أنهم علىٰ الفطرة المكمَّلة متَّبعون الشِّرعة المنزَّهة، وهم مقارعون لأعداء الملَّة الحنيفية؛ ليسهل عليك وضع هذا الحكم وأقساه؛ إن وجد، علىٰ قومٍ والوا الحلف اللَّدود ـ «اليهوصليبي» ـ ولا تتحرج من ذلك.**

بل تكفير هؤلاء والبراء منهم، وحِلّ دمائهم وأموالهم، حِلّ وَبِل من شرب العسل، لأنَّ ٱجتمع فيه أجران؛ أجر دمائهم وأموالهم، وهذا من البراء الذي يرتكز عليه أصل الدّين، وأجر صيانة الدّين من عبثهم، فٱحفظ هذا يا صاحب البصر؛ ولا يستخفنَّك قاصر النظر. فهذا مفتاح بين يديك لمعرفة «**الدَّلائل**» وما ستجده ـ إن شاء اللَّه تعالىٰ ـ في هذا الشرح؛ والفضل والمنَّة للَّه وحده من قبل ومن بعد علىٰ ما أنعم؛ هو القائلُ: ﴿وَإِن تَشْكُرُواْ يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر: ٧].

«بَدْأ الشَّرح»

نَسْأل المَوْلَى ـ سُبْحَانه ـ
الفَعَّال لِمَا يُرِيد
أَنْ نُحْسِن إِخْرَاج دُرّ الدَّلاَئِل
النَّضِيد

إرشادات قبل الشرح

ٱعلم ـ رحمك اللَّه ـ أنَّ رسالة «**الدَّلائل في حُكْم مُوالاة أَهْل الإِشْراك**» مشتملة علىٰ لوحتين وإحدىٰ وعشرين دليل، كلّها متشابهة في الفحوىٰ والمضمون، بل ٱتفقت في «المبنىٰ» و«المعنىٰ»؛ وما يقال ويذكر في حقّ «اللَّوحة الأولىٰ»، يقال ويذكر في حقّ «آخر دليلٍ». إلَّا أني حرصت وأعملت همَّتي؛ أنَّ ما أذكره، وأصنعه، وأسطِّره في دليلٍ لا أذكره أبدًا في الدَّليل الذي يليه ـ مع أنَّ الأدلة كلّها متشابهة ـ؛ فدعوت المولىٰ ـ سبحانه وتعالىٰ ـ أن يوفقني لذلك؛ وفي مثل هذه الرسائل ـ وأعني بها: المتَّفقة في «المبنىٰ» و«المعنىٰ» و«المتشابهة»؛ من حيث المضمون في أدلتها ـ تظهر بضاعة وبراعة الصانع ـ المتصدر للشَّرح ـ، ويعلم ممَّا يسطِّره في الشَّرح بضاعته وهمّته، فما صنعته وسطَّرته في شرح هذه الدُّرَّة النَّضيدة؛ أترك الحكم فيه للقارىء ـ البصير والملمّ عند قراءته ـ الذي يعلم «الإشراقة» و«البهجة» علىٰ القول المتين ـ؛ بدون أن يدلَّ عليهما، وإنما تجذبه «الإشراقة» و«البهجة» المودَعَة في متانة القول؛ فإذا ٱحتجَّ لها ـ قبل أن يحتجَّ بها ـ وجد سيل الأدلة يدل علىٰ متانتها.

وأحيطك علمًا أيها القارىء الكريم، أنَّ الشيخ «حمد بن علي بن عتيق» ـ تلميذ العلاَّمة «عبداللَّطيف بن عبدالرحمن بن حسن بن محمد ٱبن عبدالوهاب»؛ صاحب العلم الغزير والانتقاء والنقاء في التحرير

ـ رَحِمَهُمَا اللَّهُ ؛ قد ألَّف رسالة في هذا الباب ـ وأعني به: التحذير من موالاة الكفَّار والمرتدين ـ سمَّاها «**سَبِيلُ النَّجَاةِ وَالفِكَاكِ مِنْ مُوَالَاةِ المُرْتَدِينَ وَالأَتْرَاكِ**»؛ لم يأت فيها بشيءٍ جديدٍ عَزُبَ عن صاحب الدُّرَّة النَّضيدة ـ التي أعملت فيها ما آتاني اللَّه ـ تعالىٰ ـ من نعمة بصارةٍ وفهمٍ وهمَّةٍ ولم آلُ ـ وإنما هي: عيلٌ عليها؛ وتصب في خانة التذكير، بل قد شهد بذلك المؤلف وقال ما لفظه: «وقد ذكر الشيخ سليمان بن الشيخ عبداللَّه بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب في هذه المسألة ـ ويعني بها: موالاة الكفَّار والمرتدين ـ عشرين آية من كتاب اللَّه وحديثًا عن رسول اللَّه ﷺ ٱستدل بها **علىٰ أنَّ المسلم إذا أظهر الطَّاعة والموافقة للمشركين من غير إكراهٍ، إنه يكون بذلك مرتدًا خارجًا من الإسلام، وإن كان يشهد أن لا إله إلَّا اللَّه، ويفعل الأركان الخمسة، فإنَّ ذلك لا ينفعه.**» [سبيل النجاة والفكاك ص ٢٦]. فجزىٰ اللَّه ـ تعالىٰ ـ الشيخ «حمد بن علي بن عتيق» علىٰ تذكيره.

عملي في هذا الشَّرح ـ الذي أسأل المولىٰ ـ سبحانه وتعالىٰ ـ أن يبارك فيه وينفع به ـ هو: وضع «اللَّوحة» و«الدَّليل» ـ وبالخط العريض ـ داخل إطارٍ، ثم أضع بعد الإطار كلمة «الشَّرْح». ثم أعمد إلىٰ «اللَّوحة»؛ فأفقّرها وإلىٰ «الدَّليل» أفقّره. وكل فقرة أضع أمامها مربعًا «■» وبعده أقول: «فقوله رَحِمَهُ اللَّهُ ـ تعالىٰ ـ : ...» أو «وقوله رَحِمَهُ اللَّهُ ـ تعالى ـ : ...» أو «أما قوله رَحِمَهُ اللَّهُ ـ تعالىٰ ـ ...» وأذكر الفقرة ـ وبالخط العريض ـ بين قوسين التَّنصيص«»؛ ثم أبدأ الشَّرح؛ وقد ٱحتج أحيانًا لفقرةٍ أسهبها بشرحٍ ممتعٍ، فأذهب أقيم لها أدلة تُحتج لها؛ وبعد الفراغ من ذلك،

أقول: وذلك هو قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ : «...» بدون مربع الفقرة.

ٱعمدت في هذا السفر علىٰ ما حقّقه العلاَّمة «الألباني» رَحِمَهُ ٱللَّهُ من الأحاديث وجزم بصحّتها؛ لتعلم «طائفة المرجئة الجدد» ـ الأثرية بين المعكوفتين ـ أنَّ العلاَّمة «الألباني» يصحّح «السند» ولا يفقه «المتن»؛ لأنَّ الأحاديث المعتمدة عليها ـ في هذا السفر ـ لها وجه واحد في «التدليل» و«الاستدلال» علىٰ من ٱقترف النَّاقض في أصل الدّين في دعامة «الولاء والبراء».

فأوصي المقلدة للعلاَّمة «الألباني» في إرجائه؛ الأخذ بما صحّحه إمامهم وحمله علىٰ وجهه الواحد؛ الذي ليس له غيره في «الاستدلال»، ليظهر فرط جهلكم في هذا الباب، مع ما لكم من زجوة البضاعة في أصول العلم كلّها. ثم إنَّ ما صحّحه العلاَّمة «الألباني» عندنا لا يخلو من ضعفٍ بيّنٍ ـ لمن دخل في هذا العلم من بابه وليس من ظهره ـ ؛ لأنَّ الدخول الظهري هو لأجل الاختلاس أو الانتحال والإلباس، وما ضعّفه لا يخلو من الصحَّة، وما رفعه كثيره الصحَّة فيه الوفق، فلم نريد أن نتطرّق لذلك لما أشرنا إليه أنفًا، لأنَّ لو فعلنا لقالت طائفته ـ المدّعية الحبّ الكاذب ـ : من هذا النكرة الذي يريد أن يتقحّم علىٰ العلاَّمة «الألباني» مكانته؟!!

فحرصنا علىٰ ترك المكانة كما هي، وٱستدلينا بما صحّحه ـ لوجهه الواحد فقط ـ لننظر هل لهم الشهامة في الأخذ بما صحَّحه في باب «الولاء والبراء» أم يضربوه عرض الحائط؟!!

هذا ما كان وراء القصد في الاعتماد علىٰ ما صحّحه العلاَّمة

«الألباني» رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ لا غير، فلينصف بعد ذلك المنصف.

ثم ليعلم القارىء الكريم أنَّ حرصي علىٰ أن يخرج هذا الشَّرح في ثوبه الصافي لما تجلَّىٰ من ٱنحرافٍ في هذه الدعامة الإيمانية ـ دعامة «الولاء والبراء» ـ اليوم، علىٰ أيدي من تربَّىٰ في أحضان الدَّعوة التجديدية التي قام بها العلاَّمة «محمد بن عبدالوهاب» وأولاده وسبطه رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ ثم تربَّص بها ريب المنون، بالإلحاد والتَّلبيس فيها علنًا؛ لهذا تطرّقنا في هذا السفر لٱنحرافات «الفوزان» ـ عضو اللجنة الدائمة ـ لما تطرَّق لشرح ما سطَّره الشيخ «سليمان بن عبداللَّه بن محمد ٱبن عبدالوهاب» من بيان في دلائله النَّضيدة.

ومن نظر وبصر ـ ولم يكن طريّ العود في هذه الدعامة ـ وجد الانحراف بدأ جهلاً، ثم ٱستقر ـ لِمَ هو عليه اليوم ـ قصدًا، فقد نظرت لأرىٰ متىٰ بدأ الانحراف «الجهلي» ـ لمقاصد الأئمة الذين كتبوا وسطَّروا الدُّر النضيد في هذا الباب ـ ؛ خاصة العلاَّمة «سليمان بن عبداللَّه» والعلاَّمة «عبداللَّطيف بن عبدالرحمن» والعلاَّمة «حمد بن علي بن عتيق» رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ، فوجدته قد بدأ في عهد الشيخ «عبداللَّه بن عبدالعزيز العنقري»[1]؛ لما جهل مقاصد هؤلاء الأئمة وٱدَّعىٰ عليهم دعوىٰ

---

(١) هو الشيخ «عبدالله بن عبدالعزيز بن عبدالرحمن العنقري»، ولد في بلد «ثرمداء» ـ بلد العناقر ـ عام «١٢٨٨هـ» وقيل «١٢٩٠هـ» الموافق لعام «١٨٧٣م» ولقد تربى في حجر والدته وأعمامه بعد مقتل والده؛ وله من العمر سنتان إذ ذاك.

حفظ القرآن في صغره، وطلب العلم، وعكف على دراسة رسائل إمام الدَّعوة «النجدية».

عين إمامًا لجامع «ثرمداء» خلفًا لشيخه «حمد بن شعيل» الذي وافاه الأجل، كان ذلك عام «١٣٢١هـ» الموافق لعام «١٩٠٣م»، ثم في عام «١٣٢٤هـ» الموافق لعام «١٩٠٦م» ولاَّه الملك «عبدالعزيز» القضاء في «سدير» وما جاورها من المدن كـ«المجمعة» و«الروضة» و«الحوطة»←

باطلة، وحصر ما حرَّروه من نظرٍ رائقٍ ونظمٍ فائقٍ في دعامة «الولاء والبراء» في صورةٍ واحدةٍ من الصور العديدة التي ذكروها في باب «الولاء» المكفّر، ولولا أني رأيت بعض السَّاقطين ـ خلقًا وعقيدةً ـ في وحل «الإرجاء»، ـ الذين ٱتخذوا الإرجاء دينًا، والدَّعوة إلىٰ الانحلال والفسق العلني منهجًا، والانتحال والسَّرقة لجهد الآخرين ـ جهرة ـ خلقًا وسجيَّة وطبعًا، ما كنت لأعرّج علىٰ هذا قطّ؛ فلما رأيت هذا البلاء قد ٱنتشر، والدَّاء قد ٱستعصر، وقد بسط له وأعطي العناية الكبرىٰ لنشره قصدًا، توجب علينا حينها تبيين ما في كلام الشيخ «العنقري» رَحِمَهُ ٱللَّهُ من جهل للصور العديدة المذكورة في «الولاء» المكفّر.

يقول الشيخ عبداللَّه بن عبدالعزيز العنقري رَحِمَهُ ٱللَّهُ ما لفظه: «من عبداللَّه ٱبن عبدالعزيز العنقري، إلىٰ من تصل إليه هذه النَّصيحة من إخواننا المسلمين، جعلهم اللَّه علىٰ الحقّ متعاونين، ولطريقة أهل الزيغ والبدع مجانبين آمين! السلام عليكم ورحمة اللَّه وبركاته.

والموجب للنصيحة، هو ما أخذ اللَّه علينا من الميثاق، في بيان ما

و«الجلاجل» إلى أن ٱستقر به الحال في «المجمعة». وفي عام «١٣٤٠هـ» الموافق لعام «١٩٢١م» ٱنتدبه الملك «عبدالعزيز» برفقة الشيخ «محمد بن عبداللطيف» لمناصحة «فيصل بن سلطان الدويش»؛ لما كان يغير على قبائل «آل صباح»، فهو كان من بعض المستشرين للملك، وفي عام «١٣٤٧هـ» الموافق لعام «١٩٢٧م» ٱشتدت صولة «الإخوان» وحصل منهم ما حصل، ٱنتدبه الملك «عبدالعزيز» للقيام بدور المناصحة والوساطة فقام بتلك المهمة ـ وما ٱعتمد عليه «طائفة المرجئة الجدد» ـ الأثرية بين المعكوفتين ـ من قوله ـ؛ الذي حصر فيه «الولاء» المكفّر في صورة واحدةٍ، كان من ضمن ما كتبه في تلك المناصحة لهؤلاء «الإخوان».

توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في اليوم السادس من صفر عام «١٣٧٣هـ» الموافق لـ: «١٣ أكتوبر ١٩٥٣م».
فهو ليس من أعيان العلماء في وقته؛ الذين يعتمد عليهم فيما يطرحونه من تحقيقٍ علميٍّ، وما قوله الذي ٱعتمد عليه «طائفة المرجئة الجدد» إلا أكبر دليلٍ على ذلك.

علمناه من الحقّ، وخفي علىٰ غيرنا... ـ إلىٰ أن قال ـ : وأيضًا ما بلغني عن بعض الإخوان، من خوض بعضهم في بعضٍ، وكذا في وليّ أمرهم، فعنَّ لي أن أذكر كلمات، لعل اللَّه ينفع بها... ـ إلىٰ أن قال ـ : وقد بلغنا أنَّ الذي أشكل عليكم، أنَّ مجرد مخالطة الكفّار ومعاملتهم، بمصالحة ونحوها، وقدومهم علىٰ «ولي الأمر» لأجل ذلك، أنها هي موالاة المشكرين المنهي عنها في الآيات والأحاديث، وربما فهمتم ذلك من «**الدَّلائل**» التي صنفها الشيخ «سليمان بن عبداللَّه بن الشيخ»، ومن «**سبيل النَّجاة**» للشيخ «حمد بن عتيق».

فأولاً: نبيّن لكم سبب تصنيف «**الدَّلائل**»، فإنَّ الشيخ «سليمان» صنفها لما هجمت العساكر «التركية» علىٰ «نجد» في وقته، وأرادوا ٱجتثاث الدّين من أصله، وساعدهم جماعة من أهل «نجد» من «البادية» و«الحاضرة»، وأحبوا ظهورهم.

وكذلك سبب تصنيف الشيخ «حمد بن عتيق» «**سبيل النَّجاة**» هو لما هجمت العساكر «التركية» علىٰ بلاد المسلمين، وساعدهم من ساعدهم، حتَّىٰ ٱستولوا علىٰ كثير من بلاد «نجد»، فمعرفة سبب التصنيف مما يعين علىٰ فهم كلام العلماء، فإنه بحمد اللَّه ظاهر المعنىٰ، فإنَّ المراد موافقة الكفّار علىٰ كفرهم، وإظهار مودتهم، ومعاونتهم علىٰ المسلمين، وتحسين أفعالهم، وإظهار الطاعة والانقياد لهم علىٰ كفرهم.

والإمام ـ وفّقه اللَّه ـ لم يقع في شيءٍ مما ذكر، فإنه إمام المسلمين، والناظر في مصالحهم، ولابدّ له من التَّحفظ علىٰ رعاياه وولايته من

الدول الأجانب، والمشايخ كالشيخ «سليمان بن عبداللَّه» والشيخ «عبداللطيف» والشيخ «حمد بن عتيق»، إذا ذكروا موالاة المشركين فسّروها بالموافقة والنصرة، والمعاونة والرضا بأفعالهم؛ فأنتم ـ وفّقكم اللَّه ـ راجعوا كلامهم، تجدوا ذلك كما ذكرنا.

قال الشيخ حمد بن عتيق ـ فيما نقله عن الشيخ «سليمان بن عبداللَّه آل الشيخ» رَحِمَهُمَاللهُ ـ : «وكذلك قوله ﷺ في الحديث «**مَن جَامع المشرك وسَكن معه فإنه مثْله**» علىٰ ظاهره، وهو: الذي يدَّعي الإسلام، ويكون مع المشركين في الاجتماع والنصرة والمنزل، بحيث يعدّه المشركون منهم، فهو كافر مثلهم وإن ٱدَّعىٰ الإسلام، إلَّا أن يكون يظهر دينه ولا يتولّىٰ المشركين» ٱنتهىٰ.

فٱنظر ـ وفّقك اللَّه ـ إلىٰ قوله في هذه العبارة «وكون المشركين يعدونه منهم»، يتبيّن لك أنَّ هذا هو الذي أوجب كفره، وأما مجرد الاجتماع معهم في المنزل، فإنَّ ذلك بدون إظهار الدّين معصية.

وقال ٱبن كثير في تفسير قوله ـ تعالىٰ ـ : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء: ١٤٤]: «يعني: معهم في الحقيقة، يوالونهم ويسرّون إليهم بالمودة، ويقولون لهم إذا خلوا بهم إنا معكم[١]» فهذا هو الذي أوجب كفره لا مجرد المخالطة.

---

(١) قلت: لقد رجعت إلى تفسير «ٱبن كثير» رَحِمَهُ اللهُ فلم أجد ما قاله بلفظه، بل بعبارة أخرى أسيقها بلفظها لتعلم أيها القارىء الكريم الفرق الشاسع بين القولين.

يقول ٱبن كثير رَحِمَهُ اللهُ ـ تعالى ـ في تفسير قوله تعالى ـ : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء: ١٤٤]: ما لفظه: «ينهى الله عباده المؤمنين عن ٱتخاذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين. يعني: مصاحبتهم ومصادقتهم، ومناصحتهم، وإسرار المودة إليهم،←

فأنتم ـ وفّقكم اللَّه ـ الواجب عليكم التّبصر، وأخذ العلم عن أهله، وأما أخذكم العلم من مجرد أفهامكم، أو من الكتب، فهذا غير نافعٍ، ولأنَّ العلم لا يتلقّىٰ إلَّا من مظانه وأهله...» [الدُّرر السَّنيَّة في الأجوبة النجدية ٩/ ١٥٦ ـ ١٥٩].

هذا هو كلامه بتمامه الذي ٱتخذه «طائفة المرجئة الجدد» عكازًا لدفع النصوص والصور الجلية الأخرىٰ في الولاء المكفّر، ومن أمعن النظر في كلام الشيخ «العنقري»، وجد الاضطراب الواضح والجهل الناطح للنصوص الجلية؛ التي ٱعتمدها المشايخ الفضلاء؛ «سليمان ٱبن عبداللَّه» و«عبداللطيف بن عبدالرحمن» و«حمد بن علي بن عتيق» لبيان مناط نقض أصل الدّين في هذه الدعامة الإيمانية.

فقوله: «فإنَّ المراد موافقة الكفّار علىٰ كفرهم، وإظهار مودتهم، ومعاونتهم علىٰ المسلمين، وتحسين أفعالهم، وإظهار الطاعة والانقياد لهم علىٰ كفرهم» هي صورة واحد من الصور العديدة في «الولاء» المكفّر، ثم إنَّ ٱدعاءه هذا خالجه الباطل والقول العاطل، فموافقة الكفّار علىٰ كفرهم توجب الانتقال إلىٰ نحلة الكفر، لأنَّ هذا هو اللاَّزم في «الموافقة»؛ والامتناع في مخالفة اللاَّزم للملزوم ظاهر، ولا يقول به عاقلٌ، ثم إنَّ الجناية علىٰ الشيخ «سليمان بن عبداللَّه» والشيخ «حمد ٱبن علي بن عتيق» واضحة؛ لما جعل هو سبب تصنيف «**الدَّلائل**»

وإفشاء أحوال المؤمنين الباطنة إليهم.» [تفسير ٱبن كثير ١/ ٧٥٨].

فأين في كلامه «معهم في الحقيقة»؟! وأين كلمة «يوالونهم»؟! وأين في كلامه «ويقولون لهم إذا خلوا بهم إنا معكم»؟!

و«**سبيل النَّجاة والفكاك**» مناطه علىٰ المساعدة فقط؛ وهذا هو الحقّ لا غيره، في الرسالتين الواضحتين الممتعتين للسلفية الشَّرعية.

فالمشايخ الفضلاء كفّروا المساعد لهؤلاء العساكر «التركية» وإن كان يبغض ما هم عليه من الباطل؛ فهم بيّنوا حكم من يفعل هذه المساعدة، وبعض صور المساعدة، وحكموا علىٰ صاحبها بالكفر والردَّة بغير النظر إلىٰ الاعتقاد، والشيخ «عبداللَّه العنقري» لم يبيّن لنا ذلك، بل ٱضطرب وٱدَّعىٰ ٱدعاءً أقوال المشايخ الفضلاء تردّه. ثم من قال من أصحاب البدع أنَّ مجرد مخالطة الكفّار؛ كٱستقبال الوفود الكافرة وتأمين ذهابهم وإيابهم موالاة؛ حتَّىٰ تجعل هذا هو سبب كتابتك هذه النصيحة؟! فإذا بك طمّيت الوادي علىٰ القرىٰ.

ثم إنَّ تركك لعشرين دليلٍ، والاعتضاد بدليلٍ واحدٍ في مجامعة المشرك والسكنىٰ معه وتجعل مناط «الولاء» المكفّر يدور عليه فقط، لهو الجهل بعينه لكلام الفضلاء. ومودة الكفّار تحصل مع وجود البغض للكفّار، كما حصل من «حاطب بن أبي بلتعة»؛ كما سوف نبيّنه في بابه، **فلا يشترط في وجود المودة بغض الحقّ وأهله، وإنما سببها مظنة دفع المضرة أو كسب المنفعة من تلك المودة.** فتعالَ معي أريك كيف يكون النصح لولاَّة الأمر إن هم همّوا بٱقتراف ناقض «الولاء».

كما تعلم ـ يرحمك اللَّه ـ أنَّ فتنة وقعت في عهد الشيخ «عبداللَّطيف بن عبدالرحمن» في الأسرة المالكة؛ لما خرج «سعود ٱبن فيصل بن تركي» علىٰ أخيه «عبداللَّه بن فيصل بن تركي» وسلبه الملك، ٱستعان «عبداللَّه» بوالي «بغداد»؛ الذين كان تحت سلطة الدولة

«العثمانية»؛ لرد ما سلب له من الملك، ولقد أفتاه بالجواز عبَّاد الدرهم والدينار، والجهل والتَّبار، فلقد ٱعتمد علىٰ فتوة «محمد بن عجلان» سمَّىٰ العلاَّمة «عبداللَّطيف» فتوته بـ«حبالة الشيطان» وبيّن بطلان ما فيها من الزيغ والانحراف والخذلان.

يقول العلاَّمة عبداللَّطيف بن عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ في رسالة «ٱبن عجلان» ـ ما لفظه: «... وهذا من جنس ما حصل من هؤلاء الجهلة، في رسالة «ٱبن عجلان»، وما فيها من الاستدلال علىٰ جواز خيانة اللَّه ورسوله، وتخلية بلاد المسلمين، وتسليط أهل الشرك عليها، وأهل التعطيل والكفر بآيات اللَّه، وغير ذلك من ظهور سلطانهم، وإبطال الشرع بالكلية، بمسألة خلافية في جواز الاستعانة بمشركٍ ليس له دولة، ولا صولة، ولا دخل له في الرأي...»

[«الرسالة الرابعة» من عيون الرسائل والأجوبة عن المسائل ١/ ٢٣٩].

فلقد ٱستعان «عبداللَّه بن فيصل بن تركي»؛ بـ«حبالة الشيطان» «لابن عجلان»، لما تمت هزيمته علىٰ يد أخيه «سعود»؛ هرب إلىٰ «مدحت باشا» في «بغداد»، وٱستنصره، فأرسل معه جيشًا بقيادة «نافذ باشا» إلىٰ «الإحساء» فٱحتلها في آخر عام «١٢٨٨هـ» الموافق لعام «١٨٧١م» فجعلها تابعة للبصرة، فخسرها هو أيضًا لصالح الدولة «العثمانية» ـ القبورية الشركية ـ.

لكن العلاَّمة «عبداللَّطيف» وضَّح خطورة هذه الاستعانة علىٰ معتقده، وبيّن له فيها أنَّ هذا النقض الصراح للإسلام، مع أنَّ الاستعانة كانت بالمشرك الشرك الطارىء مدّعي الإسلام ومبانيه؛ الذي لم يظهر

شركه لكثيرٍ من الجهال، ومع هذا بيّن الحكم في ذلك.

يقول العلاَّمة عبداللَّطيف بن عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ ما لفظه: «... والقصد بيان ما أشكل علىٰ الخواص، والمنتسبين من طريقتي في هذه الفتنة العمياء الصماء. فأول ذلك مفارقة «سعود» لجماعة المسلمين وخروجه علىٰ أخيه، وقد صدر منا من الرد عليه، وتسفيه رأيه، ونصيحة ولد «عايض» وأمثاله من الرؤساء، عن متابعته والإصغاء إليه، ونصرته، .... ـ إلىٰ أن قال ـ : إلىٰ أن وقعت وقعة «جودة» فثل عرش الولاية، وٱنتثر نظامها وحبس «محمد بن فيصل». وخرج الإمام «عبداللَّه» شاردًا، وفارقه أقاربه وأنصاره، وعند وداعه وصيته بالاعتصام باللَّه، وطلب النصر منه وحده، وعدم الركون إلىٰ الدولة الخاسرة ـ يعني: الدولة «التركية العثمانية»؛ لأنها كانت تدين بالشرك والبدع ـ .

ثم قدم علينا «سعود» بمن معه من «العجمان» و«الدَّواسر»، وأهل «الفرع»، وأهل «الحريق»، وأهل «الأفلاج»، وأهل «الوادي»، ونحن في قلةٍ وضعفٍ، وليس في بلدنا من يبلغ الأربعين مقاتلاً.

فخرجت إليه، وبذلت جهدي، ودافعت عن المسلمين ما ٱستطعت؛ خشية ٱستباحة البلدة، ومعه من الأشرار **وفجّار القراء**، من يحُثّه علىٰ ذلك، ويتفوّه بتكفير بعض رؤساء بلدتنا، وبعض الأعراب يطلقه بٱنتسابهم إلىٰ «عبداللَّه بن فيصل» فوقّىٰ اللَّه شرّ ذلك الفتنة، ولطف بنا، ودخلها بعد صلحٍ وعقدٍ، وما جرىٰ من المظلم والنّكث دون ما كنّا نتوقّع، وليس الكلام بصدده، وإنما الكلام في بيان ما نراه

ونعتقده... ـ إلىٰ أن قال ـ : وأما الإمام «عبداللَّه» فقد نصحت له ـ كما تقدم ـ أشدّ النصح، وبعد مجيئه؛ لما أخرج شيعة «عبداللَّه» «سعودًا»، وقدم «الإحساء» ذاكرته في النصيحة وتذكيره بآيات اللَّه وحقّه، وإيثار مرضاته، والتباعد عن أعدائه وأعداء دينه، أهل التعطيل والشرك والكفر البواح؛ وأظهر التوبة والنّدم... ـ إلىٰ أن قال ـ : وتحقق عندي دعوىٰ التوبة، فأظهر لديَّ الاستغفار والتوبة والندم، وبايعته علىٰ كتاب اللَّه، وسنَّة رسوله ﷺ.» [«الرسالة الرابعة والثمانون» من عيون الرسائل والأجوبة عن المسائل ٢/ ٨٨٣ ـ ٨٨٦].

فقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأظهر التوبة والنّدم»؛ من ٱستجلاب الدولة «التركية» المشركة، وٱستنصاره بها علىٰ أخيه الغاصب «سعود»، وتخلية بلاد المسلمين وتسليط أهل الشرك عليها، وإبطال شرع اللَّه.

ويقول العلاَّمة عبداللَّطيف رَحِمَهُ ٱللَّهُ **أيضًا** ما لفظه: «وعبداللَّه» له بيعة، وله ولاية شرعية في الجملة، ثم بعد ذلك بدا لي منه، **أنه كاتب الدولة الكافرة الفاجرة، وٱستنصرها وٱستجلبها علىٰ ديار المسلمين،** فصار كما قيل:

وَالمُسْتَجِيرِ بِعَمْرٍو عِنْدَ كُرْبَتِهِ كَالمُسْتَجِيرِ مِنَ الرَّمْضَاءِ بِالنَّارِ

فخاطبته شفاها، بالإنكار والبراءة، وأغلظت له؛ بالقول **أنَّ هذا هدمٌ لأصول الإسلام، وقلعٌ لقواعده، وفيه وفيه** وفيه مما لا يحضرني تفصيله الآن، فأظهر التوبة والندم، وأكثر الاستغفار. وكتبت علىٰ لسانه، لوالي «بغداد»، أنَّ اللَّه قد أغنىٰ ويسَّر، وٱنقاد لنا من أهل «نجد» والبوادي ما يحصل به المقصود ـ إن شاء اللَّه ـ ، ولا حاجة لنا بعساكر

الدَّولة؛ وكلام من هذا الجنس.

وأرسل الخط فيما أرىٰ، وتبرَّأ مما جرىٰ، **فٱشتبه عليَّ أمره، وتعارض عندي موجب إمامته، ومبيح خلعه.»** [«الرسالة التسعون» من عيون الرسائل والأجوبة عن المسائل ٢/ ٩٢٠، ٩٢١].

هكذا هو النصح لولاَّة الأمر لما ينحرفون عن المقاصد، فما قاله «عبداللَّه بن عبدالعزيز العنقري» ـ من حصره للولاء المكفّر فيما قال؛ وقد ٱتضح بطلانه ـ هو التكاة لمذهب «الإرجاء» المعاصر، فقد ٱعتمد «طائفة المرجئة الجدد» ـ الأثرية بين المعكوفتين ـ قوله هذا ليصبح هو العمدة، وما قاله المحققون البارزون ـ أصحاب الكعب العالي فيه ـ هو اللُّدَّة.

ومن نظر فيما قاله «عبداللَّه بن عبدالعزيز العنقري» رَحِمَهُ ٱللَّهُ بإبصارٍ، وجده هو بداية عهد «الانحراف الجهلي»؛ في مفهوم «الولاء والبراء»؛ الذي ورثناه عن الأئمة الأعلام، إلىٰ ما ٱستقر ما هو عليه اليوم من «الانحراف القصدي».

فما هو حاصلٌ اليوم ـ من «الانحراف القصدي» ـ أوجب علينا مشاركة متواضعة في شرح رسالة «**الدَّلائل فِي حُكم مُوالاة أهل الإشراك**» لتجديد هذه الدعامة الإيمانية مما طرأ عليها من التلبيس والتدليس «القصدي»؛ ببيان التَّلفيق بالتحقيق عند المنحرفين، وستجد ذلك أيها القارىء الكريم ـ إن شاء اللَّه ـ في «الجزء الثالث» بعد الشَّرح، فلا أستطرد كثيرًا في ذلك.

فهذه إرشادات قبل الشَّرح تسهّل علىٰ القارىء الأخذ بحجزه؛

فلا أطيل عليك أيها القارىء الكريم، وأتركك مع ما صنعته وسطَّرته ـ لتنظر ولتحكم أنت فيه ـ؛ بإسهابٍ ونظرة إثقابٍ.

أسأل الله ـ سبحانه وتعالى ـ أن يعين
ويلهمنا النظر الثاقب في دقيق المسائل وجليّها
وذلك هو الفوز المبين.

تَوْطِئَة:

اعلم ـ أرشدك اللَّه ـ، أنَّ رسالة «**الدَّلائِل فِي حُكْم مُوَلاة أَهْل الإِشْرَاك**» مرتبطةٌ بأصلٍ عظيمٍ يرتكز عليه أصل الدّين، وثالث أصلٍ من أصول قول «لا إله إلَّا اللَّه»، فهذه الكلمة الطَّيبة غير نافعة؛ إن لم يُعلم معناها، ويُعمل بمقتضاها، وذروة سنام هذا العمل، **تكفير من دان بغيرها، والبراء منه، والنَّصب له العداء، ولو كان أقرب القريب.**

قَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ أَوۡلِيَآءَ إِنِ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡكُفۡرَ عَلَى ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [التوبة].

لأنَّ الولاية تقتضي الموافقة والنُّصرة، وهذه محرَّمةٌ في الكافر، ولو كان أبًا، أو ابنًا، أو أخًا، أو صاحبةً، أو بطنًا لعشيرةٍ، حتَّىٰ النُّصح ـ الذي هو دون ذلك بكثيرٍ ـ محرَّم في هذا الصّنف؛ لعموم قوله ﷺ: «**الدّين النَّصيحة** قلنا لمن؟ قال: **للَّه ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامَّتهم**» [مسلم رقم ١٩٤ باب: بيان أنَّ الدّين النَّصيحة]، ولإقراره ـ صلوات اللَّه وسلامه عليه ـ بيعة جرير رضي الله عنه لما قال: «بايعت رسول اللَّه ﷺ علىٰ النُّصح لكل مسلم» [صحيح سنن النسائي رقم ٤١٦٧].

وفي رواية: «بايعت النبي ﷺ علىٰ السَّمع والطَّاعة، وأن أنصح

لكل مسلم» [صحيح سنن النسائي رقم ٤١٦٨].

والفرقُ بين نصح الكافر ومشورته وٱتخاذه وليجة، وبين دعوته إلىٰ الخير، والرّفق به إن كان من المعاهدين واضحٌ.

والأسوة في هذه المفاصلة؛ إبراهيم عليه السلام ـ مقرّر قواعد الملَّة الإسلامية ـ لما قال لقومه: ﴿إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرۡنَا بِكُمۡ وَبَدَا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةُ وَٱلۡبَغۡضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة: ٤]، لأنَّ ذلك لبّ الإيمان الذي يرتكز عليه أصل الدّين. والمولىٰ ـ سبحانه وتعالىٰ ـ أقرَّ هذه الأسوة، بل طلب تحقيقها والتَّفاني فيها؛ لقوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذۡ قَالُواْ لِقَوۡمِهِمۡ﴾ [الممتحنة: ٤]، ولم يستثن من الأسوة في قاعدة أصل الدّين؛ ﴿إِلَّا قَوۡلَ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسۡتَغۡفِرَنَّ لَكَ﴾ [الممتحنة: ٤].

فهذا لا أسوة لنا فيه؛ **لأنَّ وجود البراء ونصب العداء، هو وجود الإيمان في القلب، وٱنتفاؤه يدل علىٰ ٱنتفاء الإيمان**، لأنَّ اللاَّزم منتفٍ، وهو عمل القلب الذي يدفع بالجوارح إلىٰ إظهار ذلك، فعدم وجود الملزوم وضَّح هذا التَّرابط الذي لا ينفك أبدًا، ـ تأثير الباطن في الظَّاهر وعدم الخروج عن تأثيره طرفة عين ـ **وٱنتفاء اللاَّزم الذي يوجِد الملزوم؛ لا يستلزم ٱنتفاؤه ٱنتفاء «التصديق» الذي هو من ضمن «قول القلب»**، بل حلول الكفر بٱنتفاء «عمل القلب» المؤثر في الجوارح؛ لأنه الملك والأعضاء جنوده، وإذا خبث الملك خبثت الجنود ولابد؛ **للتَّرابط والتأثير الذي بينهما**، وهذه العروة تسمَّىٰ **«إنشاء الالتزام»**.

فإذا ثبت هذا في القلب؛ نطقت الجوارح بذلك، وهنا المفارقة

بيننا وبين «المرجئة» وطائفتهم الجدد، فالسلفية الشَّرعية مجمعة علىٰ أنه إذا ٱنتفىٰ هذا «الإنشاء»، ٱنتفىٰ الإيمان وإن كان «التصديق» باقيًا، **أما الطَّائفة النَّاشزة والشَّانئة فعلَّقته علىٰ التصديق الذي هو من ضمن «قول القلب»، وأوجبت الأعمال، وعلَّقتها عليه بشرط الكمال، وسمَّت ذلك «شرائع الإيمان»**.

ولها أن تفعل ما تشاء، فكل قولٍ يُنسب إلىٰ صاحبه، والعيار علىٰ ذلك الكتاب والسنَّة وفهم سلف الأمة، فأرباب هذا الاعتقاد، وأصحاب هذه المقولات، ما ٱدَّعوا يومًا ما أنهم سلفيون، **لهذا أُكتفي معهم بحصر أقوالهم وتفنيدها، ونسبتها إليهم، مع التَّحذير منها لأنها مخالفةٌ لقول وفهم السلف.**

لكن الرزيئة كل الرزيئة مكنونة في أنَّ هذا القول والاعتقاد ٱنتحلته الطائفة النَّاشزة والشَّانئة ـ المرجئة الجلدة ـ وألقت عليه ثوب السلفية، ووالت علىٰ ذلك وعادت، بل وسمت «السلفية الشَّرعية» بالخروج عن معتقد السلف، وأدخلتها في خانة المبتدعة، ولم تكتف بذلك، بل بالغت في التَّحذير منها، حتَّىٰ ظُنَّ أنَّ مسلكها صحيحٌ.

لهذا ٱضطر حماة الشريعة؛ الذين لولاهم لطمست معالم الدّين، أن يقذفوهم بشهب الوحي، وهذه التي تقذف علىٰ كل أفَّاك أثيم؛ يحسن ٱستعمالها أصحاب الاعتقاد المتين، ـ **الذين لا يعيقهم زلل الكبار، ولا شبه الصِّغار، ولا ٱنتحال أصحاب الصَّغار، ولا تزييف الذين غيَّروا وبدَّلوا ليرضوا الشّرار** ـ الذين ﴿ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٢٨﴾﴾ [محمد].

وهؤلاء هم حكَّام القوانين الوضعية الكفرية؛ المعطلة للشرائع والمناهج النبوية، وهذا الصنف من الناس هم شرّ الخليقة؛ كما قال النبي ﷺ: «**شركم من لا يرجىٰ خيره ولا يؤمن شره**» [مسند أحمد ٢/ ٣٧٨].

وهؤلاء لا يرجىٰ خيرهم ألبتة، وشرّهم مستطير؛ علىٰ الإسلام والأنام، وما يحصل للأمة من هناتٍ اليوم، إلَّا من قبل هذا الصّنف الذي عثىٰ في الأرض الفساد، وأيُّ فسادٍ أعظم من تغيير قواعد الملَّة والارتماء في أحضان الذين وصفهم ـ تعالىٰ ـ بقوله: ﴿**وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمۡ عَن دِينِكُمۡ إِنِ ٱسۡتَطَٰعُواْۚ**﴾ [البقرة: ٢١٧]. وقوله: ﴿وَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءٗۖ﴾ [النساء: ٨٩]. وقوله: ﴿**وَدَّ كَثِيرٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَوۡ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِكُمۡ كُفَّارًا حَسَدٗا مِّنۡ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡحَقُّۖ**﴾ [البقرة: ١٠٩].

ألا يتقي هؤلاء الذين جمعوا ولم ينتفعوا بما جمعوا، أن تقوىٰ الحجَّة عليهم، ويزداد غضب اللَّه عليهم، يسمَّون شرّ الناس «ولاة الأمور»، **وهم عن أمر اللَّه خرجوا، ولقواعد الملَّة بدَّلوا**، فإلىٰ اللَّه المشتكىٰ من عدم المعين والنصير، وغلبت الجهل والكثير.

ولقد لبَّس عليهم إبليس ظنّه لما سمَّوْا ذلك «مدارةً»، وهم في حوض «المداهنة» يسبحون، ولقد علم أحبار السُّوء، أنَّ بينهما مفاوز تنقطع فيها أعناق الإبل.

فالأولىٰ: هي درأ الشيء المفسد بالقول اللَّين، وترك الغلظة والإعراض عن هذا الصّنف مخافة شرّه، أو حصول أكبر مما هو ملابس للملَّة، وليس للناس، لأنَّ إذا حفظت الملَّة حفظ الناس؛ ولا

يستقيم أمرهم إلَّا بها، وهذه غيِّرت فماذا تبقىٰ بعد؟!

والثَّانية: ترك ما يجب للَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ، من الغيرة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتغافل والابتعاد عن ذلك لغرض دنيوي، كفتات موائد الصّنف الشّرير، أو هوىٰ نفساني؛ كالبدعة والحنق علىٰ السنَّة.

فالحقّ لابدَّ أن يقيم اللَّه ـ تعالىٰ ـ له من يظهره ويوضّحه؛ لدوام خطابه ﴿**لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكۡتُمُونَهُۥ**﴾ [آل عمران: ١٨٧]. وليعلم الملبّسون المدلسون؛ السَّالكون في عمياء، أنهم لا يُؤْبَهْ لهم عند أصحاب التوحيد، **الذين قاوموا بالحجة وأوضحوا المحجة، وركنوا للدليل والبرهان، وأنفوا عن قول فلانٍ أو فلتانٍ أو علاَّنٍ، فالحقّ أبلج، وسلوكه أثلج.**

فالشِّرعة المنزَّهة محفوظة بحفظ اللَّه ـ تعالىٰ ـ، لها روَّادها علىٰ كل مَعْلَم بالمرصاد؛ يذبون عنها ما ٱنتحله كلّ «متصنع» أو «ناشز» أو «شانىء» أو «متزلّف» لكلّ كارهٍ، لذا شمَّرنا عن سواعدنا ونصبنا المنجنيق علىٰ الطريق، نقذف به كل من أراد المشي عليه بغير عهدة الفريق ـ السلف الصَّالح الذي تعيَّن وجوبًا سلوك مسلكه ـ، لهذا أنتجنا كتابنا «**مَسْأَلَة الإِيمَان فِي كَفَتَي المِيزَان**» عملاً بقوله ـ تعالىٰ ـ ﴿**وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ**﴾ [الحج: ٧٧]؛ لنعرّي هذه الطائفة الجديدة ـ المرجئة الجلدة ـ المتمثلة في «الجامية» و«السَّدلانية» و«النَّجمية» و«الربيعية» و«الفلاحية» و«الحلبية» و«الهلالية» ـ الأثرية عمومًا ـ، **وهذه الأخيرة لقد جمعت بين المعتقد الرَّديء، ونُهبة البديع للشُّهرة**، وما أبعد دعوتها

عن الصواب! لهذا قال الشاعر:

مَنْ تَحَلَّى بِغَيْرِ مَا فِيهِ فَضَحَتْهُ شَوَاهِدُ الزَّمَانِ
وَجَرَى فِي السِّبَاقِ جَرْيَ سُكَيْتٍ خَلَّفَتْهُ الجِيَادُ يَوْمَ الرِّهَانِ

وكوننا نصرّح بهذه الأسماء؛ فذلك من باب الواجب الشرعيِّ، فلقد ذكر أهل العلم والفضل والسبق، «**أنَّ الرجل إذا خيف أن يفتتن به الجهال، ومن لا تمييز عندهم في نقد أقاويل الرجال، فحينئذٍ يتعيَّن الإعلان بالإنكار، والدَّعوة إلىٰ اللَّه في السِّر والجهار، ليعرف الباطل فيتجنب، وتهجر مواقع التّهم والريب.**» [عيون الرسائل والأجوبة عن المسائل ٢/ ٥٩١].

فالسُّكوت عن هؤلاء الأدعياء المحتبين في ثوب أهل العلم، فتح باب ضلالة للعامة، فضلاً أن يتزلَّف لهم ويوصفون بالعلم، وهل الفتنة العمياء، التي تضل فيها الدهماء فوقها فتنة؟!!

وإذا كان اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ ذكر أنَّ أهل العمىٰ الذين أثاروه علىٰ الهدىٰ بعدما تبيَّن لهم بقوله: ﴿فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ [فُصِّلَت: ١٧]؛ أنَّ عقوبتهم «الصَّاعقة» أو «الران» علىٰ القلب، أو «تزيين العمل»؛ كما قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا﴾ [فاطر: ٨]. فما بالك في الذين يسهلون العمىٰ ويزيدونه ٱنتشارًا، هذا بعدما أتاهم اللَّه الخير من ميراث الأنبياء!، لكن ماذا نقول للذي ٱستحب الدُّنيا علىٰ الآخرة؟! إلَّا كما قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ﴾ [النمل: ٨١]، فالحمد للَّه وحده علىٰ نعمة الصَّون من هذا الدَّرن.

وها نحن نتمم ذلك بشرحنا هذه الدُّرَّة البديعة، **وما مررنا علىٰ رداءة الأقوال، وزيف الانتحال لهذه الطَّائفة، إلَّا نبَّهنا علىٰ ذلك عملاً بواجب النُّصح** ـ يسَّر لنا اللَّه تعالىٰ ذلك ـ إنه سميع الدُّعاء، وهذا عارضٌ من القول ٱستلزم ذكره بين يدي هذه التوطئة؛ لا يتَّضح المقام إلَّا بذكره، فلنرجع إلىٰ المقصود.

فالفرقُ بين وجود البراء ونصب العداء وإظهاره واضحٌ، فالأول: وجوبيٌّ، وإلَّا دلَّ علىٰ ٱنتفاء الإيمان، والثاني: قدرويٌّ، مرتبطٌ بمرحلة الضعف والقوة، وهذا لنا عودة إليه؛ لبسطه في موضعه.

يقول العلاَّمة عبداللَّطيف بن عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ ما لفظه: «والمرء قد يكره الشّرك ويحب التوحيد، **ولكن يأتيه الخلل من جهة عدم البراءة من أهل الشّرك، وترك موالاة أهل التوحيد ونصرتهم، فيكون متبعًا لهواه داخلاً من الشّرك في شعب تهدم وما بناه، تاركًا من التوحيد أصولاً وشعبًا، لا يستقيم معها إيمانه الذي ٱرتضاه مولاه**، ولا يحب ولا يبغض للَّه، ولا يعادي ولا يوالي لجلال من أنشأه وسوَّاه. وكل هذا يؤخذ من شهادة أن لا إله إلَّا اللَّه.»

[عيون الرسائل والأجوبة عن المسائل ٢/ ٧٥٧].

فمن عرف ما تعيَّن من قول «لا إله إلَّا اللَّه» نجا، بل علّقت النّجاة علىٰ البراءة من الشّرك وأهله، وتكفيرهم ونصب العداء لهم، حتَّىٰ تتحقق الغاية التي خلقوا لها، وهي: الإيمان باللَّه وحده، ومعناه: «النفي» و«الإثبات» و«وجوب الاتباع»، فلا قبول لعملٍ إلَّا بهذه الثلاث، ولا توبة من الشّرك إلَّا بهذه الثلاث، **قَالَ تَعَالَىٰ**: ﴿ **وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ**

وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ ﴿٨٢﴾ [طه].

فشرطُ البراءة من الشّرك وأهله ومعادتهم، أصل الشروط الثلاثة، وعدمه يدل علىٰ أنَّ الباقي تخلخل وتهدم، فلا يستقيم الأمر إلَّا به، فقول «لا إله إلَّا اللَّه» متوقفٌ علىٰ معرفة هذا الأصل وتحقيقه، لهذا قال العلاَّمة المحقّق شيخ الإسلام الثاني ٱبن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وما نجا من شَرَك هذا الشّرك الأكبر، إلَّا من جرد توحيده للَّه، **وعادىٰ المشركين في اللَّه، وتقرب بمقتهم إلىٰ اللَّه،** وٱتخذ اللَّه وحده وليّه وإلـٰهه ومعبوده.» [مدارج السالكين ١/ ٣٧٦].

فعلَّق النّجاة علىٰ **المقت والمعاداة، والتَّحيّز إلىٰ أهل التوحيد ونصرتهم بالنَّفس والنَّفيس،** لتتحقق غاية الاستخلاف في الأرض، من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأعظم المنكر الشّرك وأهله، ولا يستقيم النهي إلَّا بالبراءة والمعاداة، والسعي في تجفيف منابعه، فٱحفظ هذا ـ يرعاك اللَّه ـ ، فإنه يشفي العلَّة ويقنع الغُلَّة ويهدي إلىٰ أقوم الملَّة.

❖ ❖ ❖ ❖

«اللَّوحة الأُولىٰ»

يقول المؤلف سُلَيْمَانُ بْن عَبْدِاللهِ بْن مُحَمَّدِ بْن عَبْدِالوَهَّاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **«بسم اللَّه الرحمن الرحيم، الحمد للَّه رب العالمين. ٱعلم ـ رحمك اللَّه ـ : أنَّ الإنسان إذا أظهر للمشركين الموافقة علىٰ دينهم: خوفًا منهم، ومُدارة لهم ومُداهنة؛ لدفع شرّهم. فإنه كافرٌ مثلهم، وإن كان يكره دينَهم ويبغضهم، ويحبُّ الإسلام والمسلمين. هذا إذا لم يقع منه إلَّا ذلك. فكيف إذا كان في دار منعةٍ، وٱستدعىٰ بهم، ودخل في طاعتهم، وأظهر الموافقة علىٰ دينهم الباطل؟**

الشَّرح :

ٱبتدأ المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ كتابه بالبسملة ٱقتداء بكتاب اللَّه ـ عزَّ وجلَّ ـ كما هو عادة المؤلفين، وٱقتداء برسول اللَّه ﷺ، فإنه كان يبدأ كتبه بالبسملة، ولا أظن أنَّ المؤلف جاء ذلك منه ٱتباعًا لحديث: «كلُّ أمرٍ ذي بال لا يُبدأ فيه بـ«بسم اللَّه الرحمن الرحيم» أقطع ـ وفي رواية ـ فهو أقطع، أبتر، ممحوقٌ من كل بركة»، فكل ما ورد من أحاديث في البسملة ضعيفة، لا ترقىٰ إلىٰ درجة الحسن، فضلاً عن الصحة، والمؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ من أئمة هذا الشأن كما ذكرنا في ترجمته.

ثم حمد اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ ، وهذا دعاء عبادة علىٰ ما أنعم، ونعم اللَّه المبسوطة علىٰ المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ كثيرة، ولو ذكرنا منها نعمة النظر الثاقب في التوحيد، ونعمة سنوح المجال لكتابة رسالة «**الدَّلائِل فِي حُكْم مُوَالاَة أَهْل الإِشْرَاك**» والعدو يداهم الدِّيار لكفىٰ بها نعمة.

■ وقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ : «**أعلم رحمك اللَّه**».

بدأ بالعلم، وهو: إدراك الشيء علىٰ ما هو عليه إدراكًا جازمًا، وهو مطلوبٌ شرعًا، خاصة في «التوحيد» و«الرسالة» اللَّذين لا يجوز التقليد فيهما أبدًا، **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ **فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ** ﴾ [محمد: ١٩].
ففهم من ذلك أئمة الهدىٰ رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ، أنَّ العلم واجبٌ قبل القول والعمل، وشرطُ صحةٍ فيهما، حتَّىٰ يقع صحيحين، لذا بوَّب «البخاري» رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صحيحه باب: «العلم قبل القول العمل».

ثم ثنىٰ بالرحمة، علىٰ من قرأ كلامه أو ٱستمع إليه، وهي التي يحصل بها المطلوب، وينجىٰ بها من المحذور، وكأنه يقول: غفر اللَّه لك ما مضىٰ من ذنوبك، وعصمك فيما يستقبل منها؛ من منكرات «الأقوال» و«الأعمال»، فالنبي ﷺ كان كثير الاستعاذة منهما.

■ وقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ : «**أنَّ الإنسانَ**».

فيقصد به المسلم الحنيف، لا جنس الإنسان، فالسِّياق الآتي من القول يظهر ذلك، فالإنسان لا يخرج عن الإيمان أو الكفر، **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ **هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ فَمِنكُمۡ كَافِرٞ وَمِنكُم مُّؤۡمِنٞۚ** ﴾ [التغابن: ٢].

■ وأما قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ : «**إذا أظهر للمشركين الموافقة علىٰ دينهم: خوفًا منهم، ومُدارة لهم ومُداهنة؛ لدفع شرّهم. فإنه كافرٌ مثلهم**».

فقد جمع رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ بين «المدارة» و«المداهنة» ولم يفرق بينهما؛ لعلمه وقوة نظرته، والسبب أوضحناه في «سبب التأليف»؛ أنَّ موضوع الرسالة فيمن ٱستولىٰ الكفار علىٰ بلده ماذا يصنع؟ هل يوافق

الكفار أو يثبت علىٰ دينه ويدفع صائلهم؟ وفيها كذلك حكم من يجر العدوّ الكافر الصائل إلىٰ ديار المسلمين ويمكنهم من الاستلاء عليها، ومن يظاهرهم ويؤيدهم إذا دخلوا الدّيار.

فمعرفة سبب التأليف يوضّح مبهم التعريف، ويعرّف مدلول اللفظ وموقعه، ولقد أوضحنا معنىٰ «المداهنة»؛ أنها صفة أهل «النفاق الأكبر» إذا كانت مع العدو الكافر الصائل، وصفة أهل «النفاق الأصغر» إذا كانت مع الباغي المسلم المتحكم، وقد ترقىٰ إلىٰ درجة النفاق «الأكبر» المخرج من الملَّة إذا كانت علىٰ حساب النصوص الواضحة.

يقول شيخ الإسلام ٱبن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ ما لفظه: «ومتىٰ ترك العالم ما عَلِمَه من كتاب اللَّه وسنَّة رسوله وٱتبع حكم الحاكم المخالف لحكم اللَّه ورسوله **كان مرتدًا كافرًا**، يستحق العقوبة في الدُّنيا والآخرة، **قَالَ تَعَالَىٰ**: ﴿الٓمٓصٓ ﴿١﴾ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٞ مِّنۡهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [الأعراف].

ولو ضرب وحبس وأوذي بأنواع الأذىٰ ليدع ما علمه من شرع اللَّه ورسوله الذي يجب ٱتباعه وٱتبع حكم غيره، كان مستحقًا لعذاب اللَّه بل عليه أن يصبر، وإن أوذي في اللَّه فهذه سنَّة اللَّه في الأنبياء وأتباعهم.

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾﴾ [العنكبوت]، **وقَالَ تَعَالَىٰ**: ﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُمۡ حَتَّىٰ نَعۡلَمَ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبۡلُوَاْ أَخۡبَارَكُمۡ ﴿٣١﴾﴾ [محمد]، **وقَالَ تَعَالَىٰ**: ﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن

تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَأۡتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُمۖ مَّسَّتۡهُمُ ٱلۡبَأۡسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلۡزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِۗ أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ ﴿٢١٤﴾﴾ [البقرة].

وهذا إذا كان الحاكم قد حكم في مسألةٍ ٱجتهادية قد تنازع فيها الصحابة والتابعون فحكم الحاكم بقول بعضهم وعند بعضهم سنَّة لرسول اللَّه ﷺ تخالف ما حكم به، فعلىٰ هذا أن يتبع ما علم من سنَّة رسول اللَّه ﷺ، ويأمر بذلك، ويفتي به ويدعو إليه، ولا يقلد الحاكم. هذا كله بٱتفاق المسلمين.» [مجموعة الفتاوىٰ ٣٥/٢١٨، ٢١٩ ط/ جـ ٣٧٢ ـ ٣٧٤ ط/ ق].

فالحكم الذي وضَّحه شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ كان في العالم الموافق للحاكم المخالف لجزئيات الشريعة بٱجتهاد السلف، علىٰ ما علمه من السنَّة النبوية، **فكيف يكون حكمه رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ في العالم الموافق للحاكم المخالف لكليات الشريعة؛ الساعي لطمس الملَّة الإسلامية بالقوانين الوضعية، كما هو حاصلٌ اليوم؟!، فإذا كان الأول مرتدًا، فالثاني ردَّته مغلظة،** أفبعد هذا الوضوح والبيان من هذا الجهبذ وضوحٌ وبيانٌ؟!!. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿**فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ** ﴿٤٦﴾﴾ [الحج]؛ فهذه عقوبةٌ قدريةٌ تفضي بالقلب إلىٰ عدم الإحساس بالشَّر، نعوذ باللَّه من الحَوْر بعد الكور.

أما «المدارة» فهي صفة مدحٍ، وهي لأهل الإيمان إلَّا في موطنٍ واحدٍ؛ إذا كانت مع الباغي المسلم، أو الحاكم الجائر، ولقد عرَّفناها أنها: درأ الشيء المفسد بالقول اللَّين، وترك الغلظة والإعراض عن

الباغي المسلم أو الحاكم الجائر إذا خيف شرّه، أو حصل منه أكبر ما هو ملابسٌ للشريعة.

فالباغي المسلم مهما أفسد لا يصل إلىٰ درجة إفساد الكافر، فهو مؤمنٌ بالنصوص التي تمنعه من هتك الحرومات، وإن كان يهتك بعضها ٱتباعًا لهواه وما بغىٰ لأجله وصال، لكن تبقىٰ حرمة أشد من حرمةٍ.

أما إذا كان الصائل كافرًا أو مرتدًا، فالمدارة معه كفرٌ مثل المداهنة بٱتفاق المعتدّ بقولهم، فهو جاسىٰ خلال الدِّيار ليشوِّه الخلقة، ويطمس الملَّة كما هو واقعٌ اليوم في «العراق» و«أفغانستان» و«الشيشان» و«الفلبين» و«جنوب تيلندا» و«فلسطين». قال ـ تعالىٰ ـ حاكيًا قول بلقيس ملكة سبأ: ﴿ قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [سبأ].

والحلف اللَّدود ـ عبَّاد الصليب واليهود ـ فعل الأفاعيل بالمسلمين اليوم: هتكَ الأعراض، وفحشَ بالرجال، بل بالأموات، وهذا توفرت الهمم والدَّاعي علىٰ نقله، فأين المصلحة في مدارته؟! وما مقدار الفائدة في ذلك؟! بل الضَّرر أكبر، والدَّفع متعيِّنٌ مع القدرة بما أمكن، والنَّأيُ واجبٌ مع الاستضعاف، **فهل فوق ضرر الكفر والشّرك ضررٌ؟!** هذا ما لا يستجيز القول به عاقلٌ.

فمن ظنَّ أنَّ المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ يقصد بالمدارة المداهنة، فلنظرته القاصرة، وفهمه السَّقيم، وذلك خطأٌ جسيمٌ، فمن «دارَ» أو «داهنَ» العدو الكافر الصائل؛ فهو كافرٌ مرتدٌ حُكمه حكمَه.

وقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ : «**الموافقة علىٰ دينهم**».

يعني بها؛ التمكين والتسهيل لإقامة شعائرهم الكفرية؛ من كنائس وما شابهها من المعابد الكفرية في ديار المسلمين، كأن يقول: ٱتركوهم وما يفعلون، ٱعطوهم ما يطلبون، خلُّوا بينهم وبين ما يريدون، غضوا الطَّرف عنهم، لا تتعرضوا لهم في وادٍ ولا طريقٍ.

وقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ : «**خوفًا منهم،... لدفع شرّهم**».

فالشَّر هنا: مخافة سلب الملك، أو الرياسة، أو الجاه، أو المال، فشرّه حول الدُّنيا يحوم، لأنَّ الشَّرَّ الحقيقي حاصلٌ بدخول الكفر الدِّيار، وهو داره وداهنه لدنيا يصيبها، واللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ بيَّن حكم من فعل ذلك بقوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [النحل]، **فكفرهم تعيَّن بسبب دنيا قد يصيبوها، ذلك مع بغضهم للكفار وكره دينهم ومحبة الإسلام والمسلمين**.

يقول شيخ الإسلام ٱبن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ ما لفظه: «واللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ جعل ٱستحباب الدُّنيا علىٰ الآخرة هو الأصل الموجب للخسران، **وٱستحباب الدُّنيا علىٰ الآخرة قد يكون مع العلم والتصديق بأن الكفر يضر في الآخرة، وبأنه ما له في الآخرة من خلاق.** ـ إلىٰ أن قال ـ : وقوله ـ تعالىٰ ـ : ﴿وَلَـٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا﴾ [النحل: ١٠٦] أي: لاستحبابه الدُّنيا علىٰ الآخرة.» [مجموعة الفتاوىٰ ٧/ ٣٤٢ ط/ جـ ٥٦٠ ط/ ق].

وٱستحباب الدُّنيا المكفّر يكون بالقول أو الفعل، كـ«المدارة»

و«المداهنة» للعدو الصائل الكافر، لهذا قال ﷺ: «... **يصبح الرَّجلُ مؤمنًا ويُمسي كافرًا، ويُمسي مؤمنًا وُيصبح كافرًا، يبيعُ دينَه بعرضٍ من الدُّنيا**» [مسلم رقم ٣٠٩]، وبيع الدّين قد يقع مع بغض الكافر ودينه، فتنبه وٱحترس لدينك ـ يرحمك اللَّه ـ.

■ وأما قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ: «**وإن كان يكره دينهم ويبغضهم، ويحبُّ الإسلام والمسلمين**».

لأنَّ حبَّ دينهم مكفِّرٌ بذاته ولو لم يحصل به موالاة، فعلم أنَّ خاصية البغض لدينهم غير نافعة إذا حصلت الموافقة بالمدارة أو المداهنة لأجل حماية المصالح الدّنيوية، فمن فعل ذلك ٱرتد عن الإسلام.

■ وقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ: «**هذا إن لم يقع منه إلَّا ذلك**».

السببان اللَّذان صار بهما مرتدًا عن الإسلام؛ «المدارة» و«المداهنة» للكافر إذا تغلَّب علىٰ الدِّيار، أو ٱجتاحها، مع بغضه له ولدينه، لكن الخوف علىٰ الدُّنيا، والمحافظة علىٰ المكتسبات حملته علىٰ ذلك.

ولقد سجَّل لنا التاريخ، أنَّ من فعل ذلك كيف طمع العدو الكافر فيه؛ بأن يوافقه علىٰ دينه وإلَّا لا ينجو من الموت، **لأنَّ الاستضعاف غير مرخصٍ فيه «المدارة» أو «المداهنة»، وإنما النَّأي عن الدّيار وهجر الأوطان، إذا كان العدوُّ متغلبًا أو صائلاً،** لذا أفتىٰ العلاَّمة «أبو العباس أحمد بن يحيىٰ الونشريسيُّ» للأندلسيين لما تغلَّب عبَّاد الصليب علىٰ بلادهم أن يخلوا الدّيار وينحصرون إلىٰ أقربها؛ **فرارًا بالدّين، وتكثير**

سواد المؤمنين(١). لكن منهم من أبىٰ إلَّا البقاء مخافة ذهاب المال والأرض، وما حصل له في تلك الدّيار من بحبوحةٍ، فكيف كان الحال بعد ذلك؟ القتل والتنكيل، والفتنة علىٰ الدّين، ومحاكم التفتيش مما توفرت الهمم والدَّاعي علىٰ نقلها.

وأظهر ما ورد في كفر «المداري» أو «المداهن» ـ إذا صال الكافر وجاسَّ خلال الدّيار ـ ما رواه أبو بكرة عن رسول اللَّه ﷺ أنه قال: **«ينزل ناسٌ من أمتي بغائطٍ يسمُّونه «البصرة»؛ عند نهرٍ يقال له: «دجلة»، يكون عليه جسرٌ؛ يكثر أهلها، وتكون من أمصار المهاجرين ـ قال ٱبن يحيىٰ: قال أبو معمر: ـ وتكون من أمصار المسلمين ـ؛ فإذا كان في آخر الزَّمان جاء «بنو قنطوراء»؛ عراض الوجوه، صغار الأعين؛ حتَّىٰ ينزلوا**

(١) لقد سمَّى رَحِمَهُ اللَّهُ ـ تعالى ـ فتواه بـ«**أَسْنَى المَتَاجِر فِيمَن غَلَبَ عَلَى وَطَنِهِ النَّاصِرِيُّ وَلَمْ يُهَاجِرْ وَمَا يَتَرَتَب عَلَيْه مِن العُقُوبَاتِ وَالزَّوَاجِرِ**». وهي رسالة صغيرة جواب لسؤال ورده من الشيخ «أبي عبدالله بن قَطِية» عن قومٍ هاجروا من «الأندلس» إلى «المغرب» ثم ندموا على ذلك ولاموا من أشار عليهم بذلك؛ وقد كفَّر رَحِمَهُ اللَّهُ ـ تعالى ـ فيها من قام بقلبه ذلك وأظهره ـ أعني به: النَّدم من إخلاء الدّيار واللُّجوء إلى أقربها ـ. وقد أوردها المؤلف في «**المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب**». وكتبها «سنة ٨٩١ هـ»، وقد حققت هته الرسالة الماتعة من طرف د. «حسين مؤنس» ونشرها في صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في «مدريد»؛ في العدد الخاص، «المجلد الخامس» عام «١٣٧٢ هـ» الموافق لعام «١٩٥٣م»؛ ما بين «ص ١٢٩ ـ ١٩١»، وضمَّ إليها فتوى أخرى حول هذا الموضوع.

ولقد ٱعتمد العلاَّمة «الألباني» رَحِمَهُ اللَّهُ على هذه الفتوى في فتواه؛ التي خصَّها للفلسطينيين ـ ولم يوفَّق فيها ـ؛ لما غلب اليهود عليهم ـ لعائن الله ـ على الأرض المباركة؛ للفارق الموجود بين الحالتين. فالأندلسيون طوِّقوا بالأعداء؛ من الجوانب كلها زيادة على عائق البحر ـ فقطعت الصلة بينهم وبين الأخوة الدينية الموجودة في «المغرب» ـ، أما الفلسطينيون فالأخوة الدينية على كل الجوانب زيادة على العمق الاستراتيجي؛ إلَّا أنَّ العائق هو: الموالاة المكفِّرة ـ التي تبنَّاها كثيرٌ من حكام القوانين الوضعية ـ وسوف ينجلي بإذن الله؛ ولقد ظهر بوادره، وإنَّ غدًا ناظره لقريب. **قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:** ﴿فَتَرَبَّصُوٓاْ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [التوبة].

علىٰ شَطِّ النهر، فيتفرَّق أهلها ثلاث فرق: فرقةٌ يأخذون أذناب البقر والبرية؛ وهلكوا، وفرقةٌ يأخذون لأنفسهم؛ وكفروا، وفرقةٌ يجعلون ذراريَّهُم خلف ظهورهم ويقاتلونهم؛ وهم الشهداءُ» [صحيح سنن أبي داود رقم ٤٣٠٦].

فهلك الذي أعرض عن القتال وهرب منه طلبًا لخلاص نفسه وماشيته، ونأىٰ بنفسه عن العدو يهيم في البوادي كما تهيم السِّباع؛ وكفر الذي «دارَ» و«داهن»، فقوله ﷺ: «**يأخذون لأنفسهم**» يظهر أنهم أخذوا الأمان لما ألقوا السلم «مدارةً» و«مداهنةً» وتركوا الجهاد **لحماية دنياهم وذلك سبب كفرهم**، وسعد القسم الثالث ـ الأتقياء الشهداء ـ فتدبَّر الحديث ـ رحمك اللَّه من شرِّ القسمين ـ وٱعرضه علىٰ حالنا اليوم؛ ترىٰ الأقسام بثلاثها رأي العين، وتنقشع عنك سحب الغشاوة. وإن تأوَّل بعض العلماء الحديثَ في حادثة التتر، **فلا يمنع من دخول سواها في الخبر؛ ما الحال ٱستمر**، وإيَّاك وزيف المتعالم، وتلبيس الذي جمع ولم ينتفع بما جمع؛ فلقد عماه التدليس حتَّىٰ أصبح من حزب إبليس، ولقد علم أنه من فعل ذلك؛ ﴿**فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثۚ**﴾ [الأعراف: ١٧٦]. فهذا مثلُ عابدي الموائد، والمدَّخري المزاود، وبأس العبادة.

يقول العلاَّمة عبداللَّطيف بن عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ ما لفظه: «وأما التَّزيِّي بالملابس، والتَّحلي بالمظاهر، والانتصاب في المدارس، **من غير غيرة لدين اللَّه، ولا نصرة لأوليائه، ولا مراغمة لأعدائه، ولا دعوة إلىٰ سبيله، فما ذاك إلَّا حرفة الفارغين**

البطالين، الذين صحبوا الأماني، وقنعوا من الخلاق بالخسيس الفاني، وهذا لا يفيد إيمان الرَّجل، فضلاً عن كونه عالمًا.» [الدُّرر السَّنيَّة ١٢/ ٣٥٤ وعيون الرسائل والأجوبة عن المسائل ٢/ ٥٢٥، ٥٢٦].

■ وقوله رَحِمَهُ اللَّهُ ـ تعالىٰ ـ : «**فكيف إذا كان في دار منعةٍ، وٱستدعىٰ بهم، ودخل في طاعتهم، وأظهر الموافقة لهم علىٰ دينهم الباطل؟**».

فإذا تعيَّن كفر «المداري» أو «المداهن» للكافر الصائل لغرض الدُّنيا؛ من حفظ مالٍ أو جاهٍ؛ وحالته يمكن أن يتعذَّر بها، لأنَّ الكافر صائلٌ مجتاحٌ للدِّيار، لكن العذر أوهن من بيت العنكبوت، لأنه مطالبٌ بالدَّفع بما أمكن، ولا تشترط المثلية، أو النَّأي وذلك كبيرة مصدر الهلاك كما أوضح ذلك ﷺ بقوله: «... **فرقةٌ يأخذون أذناب البقر والبرية؛ وهلكوا** ...» [صحيح سنن أبي داود رقم ٤٣٠٦].

فكفر من كان في دار منعةٍ ودار إسلامٍ وجرَّ الكفار علىٰ ديار المسلمين وأتىٰ بجيوشهم لتغزو بلاد المسلمين، سواء المتاخمة له، أو النَّائية عنه أوضح وأبين ومغلظ؛ كما هو حاصلٌ اليوم في عدَّة بلدان، قواعد عسكرية للحلف اللَّدود ـ اليهوصليبي ـ ينطلق منها، ويموَّن منها لضرب المسلمين في عدَّة ديار، والعدو الجاثم في تلك القواعد وتلك الدِّيار؛ يصرح بملء فيه أنَّ الحرب صليبيةٌ، والحملة دينيةٌ علىٰ الموحدين؛ الذين يسميهم «إرهابيين» بزعمه، بل تحولت سفاراته في ديار المسلمين مراكز تعذيبٍ وٱستنطاقٍ للموحدين العزل؛ الذين أبوا عيش الذُّل والهوان.

أَفَيَشك في كفر من فعل هذا وردَّته المغلظة؟!! فهل ما نشاهده

اليوم من حكّام الحديد والنار موالاة أم غير موالاة؟!! وهل بعد أفعالهم هذه موالاة؟!! **فلا يشك في ذلك إلَّا فاسدُ العقيدة، جهميُّ السريرة.**

يقول العلاَّمة عبداللَّطيف بن عبدالرحمن بن حسن بن محمد ٱبن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ ما لفظه: «فمن كفَّر المسلمين أهل التوحيد، أو **فتنهم بالقتال أو التعذيب:** فهو من شرِّ أصناف الكفار، ومن ﴿ ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ كُفۡرٗا وَأَحَلُّواْ قَوۡمَهُمۡ دَارَ ٱلۡبَوَارِ ۝٢٨ جَهَنَّمَ يَصۡلَوۡنَهَاۖ وَبِئۡسَ ٱلۡقَرَارُ ۝٢٩ ﴾ [إبراهيم].» [الدُّرر السَّنيَّة في الأجوبة النَّجدية ١٢/ ٢٦٢].

سواء باشر القتال بنفسه مساعدة لذلك الكافر الصائل أو سهَّله، أو باشر الاستنطاق والتعذيب، أو أعان عليه، فالحكمُ واحدٌ؛ **الردَّة والخروج عن الإسلام، وبينونة المرأة، وحل المال والدَّم.**

ولا يصلح ضرب المثل في الموالاة المكفِّرة بـ«الرافضة»؛ كمن يقول: كما فعل ٱبن العلقمي مع الخلافة العباسية، أو نسله اليوم مع الدَّولة العراقية ـ إخوان اليهود من الرضاعة ـ ؛ الذين ظاهر مذهبهم الرفض، وباطنه الكفر المحض، وينسىٰ ما هو حاصلٌ اليوم من المرتدة الذين كانوا ينتمون إلىٰ السنَّة؛ **لأنَّ الرافضة ـ لعنهم اللَّه ـ ٱرتدوا بعقيدتهم التي ينتحلونها قبل ولايتهم لليهود والنصارىٰ، بل لكل مشرك، والمرتدة ـ الذين كانوا ينتمون إلىٰ السنَّة ـ ؛ ناقضهم الإيماني هو موالاتهم للكفار كما هو مشاهدٌ وعيانٌ؛ ولا ينكره إلَّا ذو تلبيس وعميان**، ولو كان المثل صحيحًا لما تركه المؤلف العلاَّمة «سليمان بن عبداللَّه بن محمد بن عبدالوهاب» رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ، كيف وموضوع الرسالة يدور علىٰ من والىٰ العساكر التركية ـ القبورية الشّركية ـ من أهل السنَّة لما ٱجتاحت الدِّيار

السلفية آنذاك؟

ولقد أسهمنا ذلك في «سبب التأليف» بما يقنع الغليل، ويشفي العليل، ويهدي إلىٰ أقوم سبيل، فلا يجوز القعقعة بعيدًا عن وقعة الميدان، لأنَّ تلك القعقعة تلبيس وخذلان، تزيد حالة العميان.

ويدخل في هذه «الموالاة المكفِّرة» دخولاً أوليًا الذي حكَّم قوانينهم الوضعية، أو سهَّلها، أو زيَّنها، أو أرغمها بالقوة ينفذها في الرعية، فالجرُّ يكون للجيش، أو للعقيدة، أو لنظامٍ يفسد الأنام، ويهدم أركان الإسلام.

وكما تعلم ـ رحمك اللَّه ـ أنَّ هذا العمل هو من أعلىٰ مراتب الموالاة، فهي ذات مراتب وشعب، فمنها المكفِّرة الموبقة، ومنها دون ذلك، **وإنفاذ في الرعية الحكم بقانون الإفرنج، أكبر ذنب وأضله وأعظمه منافاة لأصل الإسلام**، فهو مشتملٌ علىٰ ردِّ أحكام اللَّه المنزَّهة، ومسخ الفطرة المكمَّلة، وبقاء الإيمان لا يكون إلَّا بردِّها والأنافة والاشمئزاز منها، ومراغمة أصحابها بما تحصَّل من قوة، فاللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ يقول: ﴿ **فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴿٦٥﴾ ﴾ [النساء]. ولا نجاة ولا سلامة إلَّا بالوقوف في وجه تلك القبائح المبدية؛ لضمان المغفرة والسَّعادة الأبدية.

❖ ❖ ❖ ❖

«اللَّوْحَةُ الثَّانِيَةُ»

«وأعانهم عليه بالنصرة والمال، ووالاهم وقطع الموالاة بينه وبين المسلمين، وصار من جنود الشّرك والقباب وأهلها، بعدما كان من جنود الإخلاص والتوحيد وأهله. فإنَّ هذا لا يشك مسلمٌ أنه كافرٌ من أشد الناس عداوة للَّه ورسوله. ولا يستثنىٰ من ذلك إلَّا المكره: وهو الذي ٱستولىٰ عليه المشركون، فيقولون له: ٱكفر أو ٱفعل كذا وإلَّا فعلنا بك وقتلناك. أو يأخذونه، فيعذّبونه حتَّىٰ يوافقهم. فيجوز له الموافقةُ باللسان، مع طمأنينة القلب بالإيمان.

وقد أجمع العلماء علىٰ أنَّ من تكلَّم بالكفر هازلاً أنه يكفر. فكيف بمن أظهر الكفر خوفًا وطمعًا في الدُّنيا؟! وأنا أذكر بعض الأدلة علىٰ ذلك، بعون اللَّه وتأييده».

الشَّرْحُ:

■ فقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ: «**وأعانهم عليه بالنصرة والمال، ووالاهم وقطع الموالاة بينه وبين المسلمين**».

فإعانة الكفَّار علىٰ المسلمين بالنُّصرة والمال عملٌ مكفِّرٌ بذاته، حتَّىٰ ولو كانت الإعانة بالمشورة فقط، ولم يُباشر القتال، ولم تكن الإعانة بالمال، ومباشرة القتال والإعانة بالمال زيادة في الكفر، **قَالَ تَعَالَىٰ**: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٌ فِي ٱلۡكُفۡرِ﴾ [التوبة: ٣٧]. **فمن العمل ما يكون كفرًا، ومنه ما يكون زيادةً في الكفر**.

وكما ترىٰ ـ رحمك اللَّه ـ أنَّ المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ مما ذكره

في «النُّصرة» و«الإعانة» يظهر أنه علىٰ مذهب أهل السنَّة والجماعة في دعامة الدّين ـ أعني: مسألة الإيمان ـ، فما ذكره قبل وفي هذا الموطن؛ **أنَّ الأعمال وحدها دلت علىٰ الكفر بغير النَّظر إلىٰ الاعتقاد**، والسبب أنَّ الأعمال مترابطةٌ بين الظاهر والباطن، وأقصد بالباطن «عمل القلب» وليس قوله؛ الذي إذا ٱنتفىٰ حلَّ الكفر، وهذه الأعمال التي ذكرها المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ نفت عمل القلب ولم تبقيه وإن كان تصديق باقيًا، خلافًا لما تقوله المرجئة وطائفتهم الجدد اليوم؛ أنَّ كل عمل مكفّر ذكره الشارع الحكيم دلَّ علىٰ أنَّ التصديق منتفٍ من القلب. وبطلان القول، ورداءة هذا المذهب؛ ومخالفته لمنهج أهل السنَّة ظاهرٌ بالاعتبار، بل بالدّلالات الثلاثة؛ «الكتاب» و«السنَّة» و«الاعتبار».

ولا حاجة لنا لذكره هنا، لأنَّ قد ٱستوفينا المسألة في كتابنا «**مَسْأَلَة الإِيمَان فِي كَفَتَي المِيزَان**» الذي عالجنا فيه شبهات العلاَّمة الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ ، فلجهله المطبق في دعامة الدّين؛ ٱنتحل مذهب المرجئة وألقىٰ عليه ثوب السلفية، بل بالغ بجهله أن بدَّع مخالفيه، ووسمهم بالخروج، فظن لجهله أنَّ مذهب أهل السنَّة مبنيٌّ علىٰ أنَّ الأعمال شروط كمال، **وشرط الكمال لا يذهب أصل الإيمان**.

وهذه خزعبلة من الذي تأثر بمذهبه؛ الحافظ «ٱبن حجر العسقلاني» رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ فهو يعدّه معلّمه الأول، **وما علم أنَّ المعلم ليس حجة، وإنما وسيلة لمعرفة الحجة، وإذا ظفر بها أسقطت الوساطة؛ لأنَّ التعويل علىٰ الدَّليل، ومتىٰ وجد ٱكتفي به؛ مع شكر الدَّال، والاحتجاج لمدلوله؛ سواء نقصته الحجة أو كملت، وليس الاحتجاج به، هذا مذهب أهل**

السنَّة من قبل ومن بعد في تحقيق المسائل وتأصيلها.

ولو تأصَّل العلاَّمة الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ علىٰ ما حقَّقه إمام الوهابية ـ كما ينسبنا المخالفة ـ ؛ محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وما حققه أولاده من الوراء رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ لنجىٰ من بدعة «الإرجاء»، **فهو مرجىءٌ في مسألة «الاسم»، وجهميٌ في مسألة «الحكم» وإن أنف من ذلك الأنفون.**

ونحن لا نأنف من نسبتنا إلىٰ «الوهابية»، فالكلمةُ ممدوحةٌ مزكّيةٌ غير منقصةٍ، وإن كان نحن لا نحب ذلك ولا ننتسب إلىٰ أيٍّ كان، وإنما ننتسب إلىٰ الصدر الأول ـ الصَّالح ـ ، ويكفي أنها مأخوذةٌ من ٱسم المولىٰ ـ سبحانه وتعالىٰ ـ «الوهاب».

فالوهابية توهب للناس خير الدُّنيا والآخرة، فهي توضّح التوحيد، وتنقض شبه الشّرك والضلال البعيد. **فما ظفر به «الألباني» رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «فتح الباري» من مسائل الإيمان، قد نبَّه علىٰ خطورتها العلاَّمة محمد ٱبن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ وأوفىٰ البيان.**

يقول العلاَّمة عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ ما لفظه: «ثم إنَّ شيخنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ يقصد جدّه محمد بن عبدالوهاب؛ لأنه سبطه ـ ، بعدما رحل إلىٰ «البصرة»، وتحصيل ما حصل بـ«نجد» وهناك، رحل إلىٰ «الأحساء» وفيها فحول العلماء، منهم «عبداللَّه بن فيروز»، أبو محمد الكفيف، ووجد عنده من كتب شيخ الإسلام «ٱبن تيمية»، و«ٱبن القيم» ما سرَّ به، وأثنىٰ علىٰ «عبداللَّه» هذا بمعرفته بعقيدة الإمام «أحمد».

وحضر مشايخ «الأحساء»، ومن أعظمهم: «عبداللَّه بن عبداللَّطيف القاضي»، **فطلب منه أن يحضر الأول من «فتح الباري علىٰ البخاري» ويبين له ما غلط فيه الحافظ في مسألة الإيمان، وبيَّن أنَّ «الأشاعرة» خالفوا ما صدَّر به «البخاري» كتابه من الأحاديث والآثار.»**

[الدُّرر السَّنيَّة في الأجوبة النَّجدية ١٢/ ٧، ٨].

فبعدما ذكر السّبط ـ الولد من الوراء ـ من التَّنبيه، لما في «الفتح» من قبيح في مسائل الإيمان، **فلا يُعتد بقول ناهب البديع، المستشكل لكل قول متيع، جهمي السريرة، وفاسد الظاهرة؛ علي حسن بن عبدالحميد ـ الأثري في كل بدعة ـ** أنَّ العلاَّمة ٱبن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ قرأ «فتح الباري» ولم ينبه علىٰ تلك المواطن «الإرجائية»، التي نبَّه عليها ـ كما يسميهم «الخوارج» ـ ، فهل بعد تبيين صاحب المذهب ـ محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ يُعتد بتبيين أو سكوت غيره، أو من هو دونه في العلم بكثير؟!! وحاشىٰ العلاَّمة ٱبن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ أن يمرَّ علىٰ ذلك الرديء من القول ولم ينبّه عليه، وإنما لم يتفطن له.

وسئل رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ عن ذلك فقال: «كان ذلك قبل أربعين سنة فلا ندري هل نبّهنا علىٰ ذلك أم لا»، **وهل إذا نبَّه المعلّم يُعتد بسكوت التلميذ؟!!**، لكن العلاَّمة ٱبن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ نبَّه كما نبَّه «سليمان ٱبن عبداللَّه بن محمد بن عبدالوهاب» رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الرسالة التي نشرحها، **أنَّ أعمال النُّصرة، من مالٍ وإعانةٍ بقتالٍ مكفّرة بذاتها، وهي من باب المظاهرة للعدو الكافر.**

يقول العلاَّمة ٱبن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ ما لفظه: «قد أجمع علماء

الإسلام علىٰ أنَّ من ظاهر الكفار علىٰ المسلمين **وساعدهم بأيِّ نوع من المساعدة، فهو كافرٌ مثلهم** كما قال ـ سبحانه ـ : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ [المائدة].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّواْ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [التوبة].» [مجموع فتاوىٰ عبدالعزيز بن باز ٣/ ٩٩٤، ٩٩٥].

ونبَّه رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ علىٰ أنه يُستند علىٰ كفر الحاكم بـ«الأقوال» أو «الأعمال»، وليس كما تقول المرجئة المبتدعة وطائفتهم الجدد؛ أنَّ الكفر لا يكون إلَّا بترك «الإقرار» الذي هو من ضمن قول القلب، فلا يكفر الحاكم عندهم بأيِّ فعلٍ حتَّىٰ ولو كان بالإعانة أو النُّصرة أو الدَّل علىٰ العورة مادام لم يجحد. وأكبر عمل وأقومه شهادة علىٰ خروج حكَّام الحديد والنار اليوم من الإيمان، ودخولهم في الردَّة والكفر والطغيان؛ تحكيم القوانين الوضعية الكفرية وفرضها علىٰ الناس، ولقد علم محقق التوحيد، أنَّ هذه كافية لوحدها في ثبوت الردَّة ـ والعياذ باللَّه ـ فضلاً عن الأعمال الأخرىٰ.

يقول العلاَّمة ٱبن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ ما لفظه: «الحكام بغير ما أنزل اللَّه أقسام، تختلف أحكامهم بحسب «**ٱعتقادهم**» و«**أعمالهم**»...»

[مجموع فتاوىٰ عبدالعزيز بن باز ٣/ ٩٩١].

فمن الاعتقادات مكفّرة ومنها دون ذلك، ومن الأقوال مكفّرة ومنها دون ذلك، ومن الأعمال مكفّرة ومنها دون ذلك، والإعانةُ

والنُّصرةُ بالمال أعمالٌ مكفِّرةٌ كما قال العلاَّمة «سليمان بن عبداللَّه ٱبن محمد بن عبدالوهاب» رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذه الرسالة. **وهذه قاطعة لحبال موالاة أهل التوحيد، داخلة في حزب الشيطان والنَّديد.**

■وقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ: «**وصار من جنود الشّرك والقباب وأهلها، بعدما كان من جنود الإخلاص والتوحيد وأهله. فإنَّ هذا لا يشك مسلمٌ أنه كافرٌ**».

فهذا الحَوْر بعد الكور ـ والعياذ باللَّه ـ ، فالذي عرف التوحيد وحسنه، ووقف علىٰ الشّرك وقبحه، وأبصر طريق الهدىٰ ومعالمه، وٱتضح له سبيل الردىٰ وغوايته، ثم ينتكس فجنايته أعظم، وغالب هؤلاء يُؤْتَوْنَ من باب ٱستحباب الدُّنيا علىٰ الآخرة، فالشبهة غير مؤثرةٍ فيه، كيف وهو قد أبصر التوحيد وكان من حزبه؟!!

ويقصد المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ بجنود الشّرك والقباب؛ الدولة العثمانية التي ٱجتاحت الدّيار في وقته، ولا مانع من الدخول في الحكم كل جنديٍّ لشركٍ أو قبةٍ اليوم؛ **قبة يطاف بها، أو قبة يشرَّع فيها من دون اللَّه، فالشّرك والكفر هو شرك وكفر لحقيقته ومعناه، لا لاسمه ولفظه،** فإذا كان من ظاهر جنود الشّرك والقباب حكمه حكمهم، فما بالك من ظاهر جنود الحلف اللَّدود ـ اليهوصليبي ـ؟!! وكم غلظ ردَّة من لبس زيَّهم وقاتل معهم؟!

فإذا كان من رضي بالكفر كافرًا، فمن دافع عن الكفار، وحمىٰ عورتهم، وزيَّن مناهجهم، وحكَّم قوانينهم، فهو من الذين أعلنوا عداوتهم للَّه ورسوله، فلقد جمع بين الردَّة المغلظة، والمشاقة للَّه ـ

تعالىٰ ـ ورسوله، وهذا مصيره كما قال ـ تعالىٰ ـ : ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣﴾ [الكوثر].

وبتر هؤلاء معظمه يجعله اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ علىٰ أيدي المؤمنين، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ۝١٤ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ﴾ [التوبة: ١٥]، وهذا من الحرب الذي بشَّر اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ بها كل معاندٍ وشانىءٍ بقوله: ﴿فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٧٩]، وهذه الحرب لابدَّ فيها من مراغمةٍ وإغلاظٍ، فلقد أمر اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ بذلك، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا۟ فِيكُمْ غِلْظَةً﴾ [التوبة: ١٢٣].

والمرتد الذي أصبح من جنود الشّرك والقباب، أو من جند الكفار؛ من يهود أو نصارىٰ، الغلظة عليه أشد؛ والرأفة لا محلَّ لها فيه ألبتة، وهل التَّشفي بحزب اللَّه الموحدين، والنِّكاية بهم، وفتنتهم بالقتل والعذاب ٱتجاه رأفة أو رحمة؟!

فإذا كان إقامة الحد علىٰ صاحب كبيرة ـ دون الكفر ـ الأمر فيها عدم الرأفة؛ كما قال ـ تعالىٰ ـ : ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ﴾ [النور: ٢]، فتطهير الدّيار من الكافرين الصائلين وأذنابهم المرتدين الرأفة فيه منتفاة كليًا. ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ﴾ [الأنفال: ٤٢]، في كلِّ مكانٍ وفي كلِّ زمانٍ، أينما ثقفوا ﴿أُخِذُوٓا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ۝٦١﴾ [الأحزاب].

■ وقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ : «**ولا يستثنىٰ من ذلك إلَّا المكره: وهو**

الذي ٱستولىٰ عليه المشركون، فيقولون له: ٱكفر أو ٱفعل كذا وإلَّا فعلنا بك وقتلناك. أو يأخذونه، فيعذّبونه حتَّىٰ يوافقهم. فيجوز له الموافقةُ باللسان، مع طمأنينة القلب بالإيمان».

فقوله: «**ولا يستثنىٰ من ذلك**»؛ من جملة الموبقات، والأعمال المرديات، التي ذكرها والتي ذكرنا بعضها إلَّا «المكره». لأنَّ ذلك ٱستثناه المولىٰ ـ سبحانه وتعالىٰ ـ بقوله: ﴿**إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَـٰنِ**﴾ [النحل: ١٠٦]، وهذه الآية نزلت في حادثة «عمار بن ياسر» رضي الله عنه لما عذّب علىٰ أن يقول أو ينطق بالكفر؛ شريطة أن يكون القلب مطمئنًا بالإيمان، فالإكراه لا يكون إلَّا علىٰ «القول» أو «الفعل» الذي يعود ضرره علىٰ قائله أو فاعله لا علىٰ الغير، ومتىٰ زال ذلك زال «القول» أو «الفعل». فمن ٱكره علىٰ الفتك بغيره أو إتلاف عضوه فهو مؤاخذٌ بفعله، ولا مدخل للإكراه فيهما أصلاً، وفاعلهما مختارٌ قاصدٌ إلىٰ فعلهما، ومن قال غير ذلك فبقياسٍ فاسدٍ أو تعليلٍ باردٍ، لأنَّ ليس حفظ حياته أولىٰ من حفظ حياة غيره.

فالإكراه للضّر، أو البوح بالسّر، فالعاقبة المحمودة فيه الصبر، حتَّىٰ ولو كان المصير القتل، بل رخص بعض أهل العلم أنَّ البوح بالسّر الذي يعود ضرره علىٰ الغير يجوز الانتحار لأجله، لأنَّ الضرر أكبر، ودرء المفسدة الكبرىٰ بالمفسدة الصغرىٰ مطلوب شرعًا، ومصلحة الجماعة مقدمة علىٰ مصلحة الفرد، إلَّا أنه يبقىٰ الإشكال في أنَّ مباشرة القتل تكون بيده.

سئل العلاَّمة محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله ـ تعالىٰ ـ سؤالاً ما

لفظه: «الفرنساويون في هذه السنين تصلَّبوا في الحرب، ويستعملون «الشرنقات» إذا ٱستولوا علىٰ واحدٍ من الجزائريين[١]؛ ليعلمهم بالذخائر والمكامن، ومن يأسرونه قد يكون من الأكابر فيخبرهم أنَّ في المكان الفلاني كذا وكذا.

وهذه إبرة تسكره إسكارًا مقيدًا، ثم هو مع هذا كلامه ما يختلط، فهو يختص بما يبيّنه بما كان حقيقة وصدقًا.

جاءنا جزائريون ينتسبون إلىٰ الإسلام يقولون: **هل يجوز للإنسان أن ينتحر مخافة أن يضربوه بالشرنقة، ويقول: أموت أنا وأنا شهيد ـ مع أنهم يعذبونهم بأنواع العذاب**[٢].

فأجاب رَحِمَهُ اللهُ **ـ تعالىٰ ـ** بما لفظه: فقلنا لهم: إذا كان كما تذكرون **فيجوز**، ومن دليله: «**آمنا برب الغلام**» [مسلم رقم ٧٤٣٦]، وقول بعض أهل العلم: إنَّ السفينة إلخ[٣] إلَّا أنَّ فيه التوقف من جهة قتل الإنسان نفسه، **ومفسدة ذلك أعظم من مفسدة هذا، فالقاعدة محكمة، وهو**

---

(١) وهذا كان أثناء الجهاد المبارك الذي كسر أنف المدمّر الصليبي الفرنسي وأعوانه المرتدين، الذين يسمون باللهجة الجزائرية «الحركى»، لكن طعم النصر لم يدم طويلاً فلقد ٱستولى القَوَّاد بعدما أزهقت أنفس القُوَّاد لدحر العدو فأفسد البلاد والعباد، ولقد تعيَّن تطهيرهم، وقد لاح في الأفق ٱنبتارهم.

(٢) ولقد أخذ عنهم هذا العذاب اليوم؛ الحلف اللَّدود ـ اليهوصليبي ـ الذي يتزعمه أمريكا، وأصبحوا يسومون به إخواننا في «العراق» و«أفغانستان» بل في كل مكان، وزادوا عليه ألوانًا وأشكالاً، يتفطر القلب لذكرها.

(٣) يقصد بالسفينة التي تلعب بها الأمواج من كل جانب، وأشرفت على الغرق، جاز لمن فيها أن يساهموا على من تقع عليه القرعة يُلقى أو يَلقي نفسه في البحر، وٱستدلوا على ذلك بقصة «يونس» عَلَيْهِ السَّلَامُ.

مقتولٌ ولابدَّ.» [مجموع فتاوىٰ محمد بن إبراهيم آل الشيخ ٦/ ٢٠٧، ٢٠٨].

فإذا جاز الانتحار لحفظ الأسرار، حتَّىٰ لا يقع الكبار في يدي العدو، فمن باب أولىٰ أن تجوز العمليات «الإنغماسية التفجيرية»، التي يسميها أعداء الملَّة العمليات «الانتحارية»، ولا تسمىٰ العمليات «الاستشهادية»، لأنَّ الشهادة لا تثبت لإنسانٍ إلَّا بالنَّص، لكن يرجىٰ منها الشهادة؛ للقضاء علىٰ الأشرار، الذين يسعون في الأرض الفساد، ويصدُّون عن ربِّ العباد، فصبَّ عليهم المولىٰ ـ سبحانه وتعالىٰ ـ بهذه العمليات ﴿سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾﴾ [الفجر].

وممن أجاز من العلماء ذلك اليوم؛ العلاَّمة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ ـ تعالىٰ ـ مستدلاً علىٰ جوازها بحديث أبي أيوب الأنصاري لما ردَّ علىٰ الذين تأولوا قوله ـ تعالىٰ ـ : ﴿وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾﴾ [البقرة].

فقال رَحِمَهُ اللَّهُ **ـ تعالىٰ ـ** ما لفظه: «وفي الحديث ما يدل علىٰ جواز ما يعرف اليوم بالعمليات الانتحارية **التي يقوم بها بعض الشباب المسلم ضد أعداء اللَّه**، ولكن لذلك شروط، من أهمها **أن يكون القائم بها قاصدًا وجه اللَّه، والانتصار لدين اللَّه، لا رياءً ولا سمعةً، ولا شجاعةً، ولا يأسًا من الحياة.**» [صحيح موارد الظَّمآن إلىٰ زوائد ٱبن حبان ٢/ ١١٩ رقم ١٣٨٦].

فالمسألة ٱجتهادية، والقيام بهذه العملية تكون في الحالة الاستثنائية؛ متىٰ توفرت المصلحة في القيام بها، جاز لمن أراد بحبوحة الجنَّة القيام بها، مع الشروط التي ذكرها العلاَّمة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ ـ تعالىٰ ـ وأن لا تكون دائمة، حتَّىٰ لا يظن أنها من صلب الشجاعة والاقدام

التي لا تنال إلَّا بذلك، **وأن لا تكون مفروضةً ـ كالأمور التي يكون العصيان فيها إثمًا ـ لأنَّ حمل الرجل علىٰ صف الروم حتَّىٰ دخل فيهم، كان ٱختياريًا**؛ ومما يزيد ذلك وضوحًا رواية أسلم أبي عمران لما قال: «فصاح الناسُ وقالوا: سبحان اللَّه! تلقي بيدك ـ وفي رواية ـ يُلقي بيديه إلىٰ التهلكة؟!» [صحيح سنن الترمذي رقم ٢٩٧٢ وسلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها رقم ١٣].

ثم تكلم أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه لما سمع أنَّ ذاك العمل يوصف بالتهلكة، فأخبر أنَّ ترك الجهاد والإقامة في الأموال هي «التهلكة»؛ وليس كما ظنوا؛ وهذه عادة أَحْبار العلم ـ الذين ورثوا الكتاب والميزان ـ أن يقيموا ما ٱعوجَّ من «الفهم» أو «القول» أو «العمل»، ولا يسكتوا عليه رضىٰ بالخسيس؛ كما هو حاصلٌ اليوم من المتشبّهين بهذا الصّنف؛ وشتَّان وما بينهما، بل بينهما مفاوز تنقطع فيها أعناق الإبل، ولا تدرك هذه المفاوز إلَّا بإحكام زمام السبيل، والرضىٰ بالقليل، والخوف من الجليل، والتَّزود من مراغمة الباطل وأهله ليوم الرحيل، وللمسألة بسط في موضع آخر.

أما الذين جمعوا ولم ينتفعوا بما جمعوا، فسمَّوها عمليات «فاسدة» «قذرة»؛ **بتعليل بارد، التزلّف فيه للذين ﴿كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ٩﴾ [محمد]، وارد، لا يُؤْبَه لقولهم، فهم أحبار السُّوء؛ ثاني الثلاثة الذين أفسدوا الدّين.**

كيف والعملية «الإنغماسية التفجيرية» من لبِّ الإغلاظ الذي أمر اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ به عباده المؤمنين بقوله: **﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟**

قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ وَلۡيَجِدُواْ فِيكُمۡ غِلۡظَةٗۚ ﴾ [التوبة: ١٢٣].

وهل فوق هذه العملية الانغماسية التفجيرية رعبٌ وغلظةٌ؟!!

أما قوله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿**لَّا يَتَّخِذِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَلَيۡسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيۡءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنۡهُمۡ تُقَىٰةٗۗ**﴾ [آل عمران: ٢٨].

فهذه رخصة من اللَّه ـ تعالىٰ ـ لعباده المستضعفين، الذين لا طاقة لهم بدفع علوِّ الكافر، وليس الصائل المجتاح الدّيار؛ لأنَّ الآية هذه لا تدل علىٰ ما نحن ندندن حوله، ولا علىٰ المكره الذي ٱستثناه مؤلف رسالة «**الدَّلائل**»، وفهم الآيات ووضعها في محلها مطلوب شرعًا؛ حتَّىٰ يُتجنب مواطن الزلل.

يقول إمام المفسرين ٱبن جرير الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ ما لفظه: «**إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنۡهُمۡ تُقَىٰةٗۗ** » أي: إلَّا أن تكونوا في سلطانهم، فتخافونهم علىٰ أنفسكم، فتُظهروا لهم الولاية بألسنتكم، **وتضمروا لهم العداوة، ولا تشايعوهم علىٰ ما هم عليه من الكفر، ولا تعينوهم علىٰ مسلمٍ بفعل.**» [جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢/ ٢٤٦].

فقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ: «**إلَّا أن تكونوا في سلطانهم**» يدل علىٰ أنَّ الرخصة في المقيم بين أظهر الكفار؛ كالذي فرَّ إلىٰ ديارهم لظلم خافه؛ كما يسمَّىٰ اليوم في عرف الناس «اللجوء السياسي»، ولا يجد في المسلمين من يُجيره، أو الذي أسلم وتعذَّرت عليه الهجرة، فهذه رخصة من اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ بعفوه **علىٰ إظهار الولاية اللسانية، مع المخالفة القلبية والجوارحية**، فالشريطة التي وضَّحها ٱبن جرير

الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ ـ تعالىٰ ـ ، هي المعتمدة عند كافة أهل العلم؛ الذين هم في دعامة الدّين ـ أعني: مسألة الإيمان ـ علىٰ منهج السلف.

فإظهار الولاية باللسان المحرَّمة شرعًا، جائزة للمستضعف إلَّا مع إضمار العداوة، وعدم المشايعة علىٰ الكفر، ولا الإعانة علىٰ مسلمٍ بفعل.

يقول ترجمان القرآن عبداللَّه بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ما لفظه: «نهىٰ اللَّه المؤمنين أن يلاطفوا الكفار، أو يتخذوهم وليجة من دون المؤمنين، إلَّا أن يكون الكفار عليهم ظاهرين، **فيظهرون لهم اللُّطف، ويخالفونهم في الدّين**، وذلك قوله: ﴿**إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَىٰةً**﴾» [جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢/ ٢٤٦].

فقوله ـ رضي اللَّه عنهما ـ : «**إلَّا أن يكون الكفار عليهم ظاهرين**» يدل علىٰ أنَّ المضطر في ديارهم وسلطانهم وبين أظهرهم، فالظهور لا يكون إلَّا في ديارهم، أما إذا ٱجتاحوا الدّيار، فالدَّفع واجبٌ والقتل فيه شهادة، والنَّأي كبيرة مهلكة، و«المدارة» أو «المداهنة» كبيرة مكفِّرة، وعلىٰ هذا موضع الرسالة وشرحها يدور؛ فتنبه ـ رحمك اللَّه ـ .

يقول عكرمة البربري رَحِمَهُ اللَّهُ ـ تعالىٰ ـ : «**إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَىٰةً** » ما لم يهرق دمَ مسلم، وما لم يستحل ماله.» [جامع البيان ٢/ ٢٤٦].

ويقول مجاهد بن جبر رَحِمَهُ اللَّهُ ـ تعالىٰ ـ : «**إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَىٰةً** » إلَّا مصانعةً في الدُّنيا، ومخالفة» [جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢/ ٢٤٦].

ويقول أبو العالية رَحِمَهُ اللَّهُ ـ تعالىٰ ـ : «**إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَىٰةً** » التقية باللسان، وليس بالعمل.» [جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢/ ٢٤٦].

فجمهور قول المفسرين يدور علىٰ أنَّ إظهار القول باللسان رخصة، والمخالفة بالفعل واجبة، فإذا ٱشترك «القول» و«الفعل» في الولاية دلت علىٰ أنها مكفِّرةٌ.

يقول إمام المفسرين ٱبن جرير الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ ما لفظه: «**لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ** » أي: لا تتخذوا أيها المؤمنون، الكفار أنصارًا وأعوانًا، توالونهم علىٰ دينهم، **وتظاهرونهم علىٰ المسلمين، وتدلونهم علىٰ عوراتهم.**

«**وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ** » أي: فقد برىء منه اللَّه، **وبراءة اللَّه منه، بٱرتداده عن دينه ودخوله في الكفر.**» [جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢/ ٢٤٥].

■ أما قول المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ : «**وقد أجمع العلماء علىٰ أنَّ من تكلَّم بالكفر هازلاً أنه يكفر**».

فكل من نطق بالكلام الذي يحكم لقائله عند المحافظين علىٰ دعامة الدّين بحكم الكفر، لا «قارئًا» ولا «شاهدًا» ولا «حاكيًا» ولا «مكرهًا» فقد شرح بالكفر صدرًا، والاستهزاء كفر ظاهر وباطن.

وقولنا: «باطنًا» يعني: أنَّ عمل القلب الذي يستقبح ذلك منتفٍ وإن كان التصديق باقيًا، ودليل ذلك قوله ـ تعالىٰ ـ : ﴿ **وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ** ﴾ [التوبة: ٦٦]. فمن تكلم بكلام الكفر هازلاً فإنه يكفر كما قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ ، فكيف إذا تضمَّن كلامه السَّب والمنقصة؟!!

سئل الشيخ حمد بن عتيق رَحِمَهُ اللَّهُ ـ تعالىٰ ـ عن معنىٰ قول الفقهاء، ومن قال: «يا فقيِّه»، بالتصغير يكفر؛ ما المعني بالاستهزاء؟ هل هو بالشخص نفسه؟ أو بما معه من العلم؟ وهل هذا كفر ينقل عن الملَّة؟

فأجاب رَحِمَهُ اللَّهُ **ـ تعالىٰ ـ** : «ٱعلم أنَّ العلماء(١) قد أجمعوا: علىٰ أنَّ من ٱستهزأ باللَّه، أو رسوله، أو كتابه، أو دينه، فهو كافرٌ؛ وكذا من أتىٰ بقولٍ، أو فعلٍ صريح في الاستهزاء، وٱستدلوا بقوله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾ [التوبة: ٦٦]، وسبب النزول مشهورٌ(٢).

---

(١) يقصد بالعلماء الذين هم في دعامة الدّين على مذهب السلف، أما من خالفهم في هذه الدعامة فلا يعتد بقوله، لأنَّ خلل قوله طرأ عليه بسبب خلل الاعتقاد، فٱعتقاد «الاسم» يُظهره «الحكم»، وإن تلبَّس بثوب السلفية.

(٢) وشهرته فيما أخرجه الطبري في «تفسيره ٤/ ١٨٦ ط/ جـ» وٱبن أبي حاتم في «تفسيره»، والطبراني في «الكبير» من رواية زيد بن أسلم أنَّ رجلاً من الذين نزلت فيهم آية الاستهزاء، قال لعوف بن مالك في «غزوة تبوك»: «ما لقرَّائنا هؤلاء ـ وفي رواية ـ ما رأينا مثل قرَّائنا هؤلاء: أرغبنا بطونًا، وأكذبنا ألسنة، وأجبننا عند اللقاء!.

فقال له عوف: كذبت، ولكنك منافق، لأخبرنَّ رسول الله ﷺ. فذهب عوف ليخبر رسول الله ﷺ فوجد القرآن قد سبقه.

قال عبدالله بن عمر: فنظرت إليه متعلقًا بحَقَبِ ناقة رسول الله ﷺ تنقُبُه الحجارة، وهو يقول: إنما كنا نخوض ونلعب، فيقول النبي ﷺ: «أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ».

ويلاحظ من الآية أنَّ المستهزئين كانوا مؤمنين، لقوله ـ تعالى ـ : ﴿قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ وليس كما قالت الجهمية أنهم كانوا منافقين، لأنَّ الله ـ تبارك وتعالى ـ قال في زمرة النّفاق ـ الذين خسروا الدُّنيا والآخرة ـ : ﴿وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ﴾ [التوبة: ٧٤]، وفي المستهزئين: ﴿قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٦]، و«قد» تدخل على الفعل المحقَّق الذي ٱقترفوه وهو «الاستهزاء»؛ والفرق بين الآيتين واضحٌ لمن لم يخالج قلبه «الإرجاء»، هذا مع ما لهم من حسنة سابقة ـ من شهودهم غزوة تبوك مع رسول الله ـ لم تشفع لهم لما وقعوا فيه من الكفر، فكيف بمسامرٍ على←

وأما قول القائل «فقيِّه» أو «عوَيْلِم» أو «مطَيْوِيْع» ونحو ذلك، فإذا كان قصد القائل الهزل، أو الاستهزاء بالفقه، أو العلم، أو الطاعة، فهذا كفر أيضًا، ينقل عن الملَّة، فيستتاب فإن تاب وإلَّا قتل مرتدًا.

وأما قولك: هل هو ٱستهزاء بالشخص نفسه؟ أو بما معه من العلم؟ فإن كنت تسأل عن مراد القائل، فعجب منك؛ وإن كان السؤال عن علَّة الحكم، فإنا نقول: **ظاهر هذا القول أنَّ مراد قائله «الفقه» أو «العلم» أو «الطاعة»، فيحكم عليه به، ولأنه يمكنه الاستهزاء بالشخص، بدون هذه العبارات، فلما عدل إليها عما هو دونها، أعطيناه حكمها.**» [الدُّرر السَّنيَّة في الأجوبة النَّجدية ١٠/ ٤٢٧، ٤٢٨].

فما حكم به العلاَّمة «حمد بن عتيق» رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ هو مذهب أهل السنَّة والجماعة، ودلالتهم في ذلك؛ الظاهر الذي هو عمدة الباطن للتلازم الذي بينهما.

■ وقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ : «**فكيف بمن أظهر الكفر خوفًا وطمعًا في الدُّنيا؟!**».

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [النحل]. وٱستحباب الدُّنيا يكون مع العلم أنَّ الكفر يضر في الآخرة، لكن طمع الدُّنيا جعله يقدم علىٰ ذلك.

فإذا تعيَّن كفر هذا وهذا، فكيف بمن تولاَّهم وأعانهم إذا تغلبوا علىٰ الدّيار، أو جلبهم لبلاد المسلمين ليفتكوا بها، أو من داهنهم

فنجان قهوةٍ أو شايٍ بالاستهزاء المكفّر ليضحك الناس ـ والعياذ بالله ـ ؟!!

لحماية دنياه وما تحصَّل له من حطام الدُّنيا؟!! وكما تعلم ـ رحمك اللَّه ـ أنَّ موضوع رسالة «الدَّلائل» يدور علىٰ هذا.

سئل الشيخ عبداللَّه بن عبداللَّطيف بن عبدالرحمن آل الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ تعالىٰ ـ؛ عمن لم يكفّر الدَّولة[1] ومن جرهم علىٰ المسلمين، واختار ولايتهم وأنه يلزمهم الجهاد معه؛ والآخر لا يرىٰ ذلك كله، بل الدَّولة ومن جرهم بغاة[2]، ولا يحل منهم إلَّا ما يحل من البغاة، وأنَّ ما يغنم من الأعراب حرام[3].

فأجاب رَحِمَهُ اللَّهُ **ـ تعالىٰ** ـ بما لفظه: «من لم يعرف **كفر الدَّولة،** ولم يفرق بينهم وبين البغاة من المسلمين، لم يعرف معنىٰ «لا إله إلَّا اللَّه»، **فإن اعتقد مع ذلك: أنَّ الدَّولة مسلمون، فهو أشد وأعظم، وهذا هو الشك في كفر من كفر باللَّه، وأشرك به؛ ومن جرهم وأعانهم علىٰ المسلمين، بأيِّ إعانة، فهي ردَّة صريحة.**» [الدُّرر السَّنيَّة في الأجوبة النَّجدية ١٠/٤٢٩].

فإذا تعيَّن كفر هذه الدَّولة القبورية ـ مع شبهتها أنها تصلي وتصوم وتجاهد بلا تعويل ـ، **فكفر من ظاهر الحلف اللَّدود ـ عباد الصليب واليهود ـ اليوم نهار لا يحتاج إلىٰ دليل**، فمن رفع شأن هذا الحلف،

---

(١) الدَّولة العثمانية ـ القبورية الشّركية ـ، ومع ذلك تجاهد ما وراءها من نصارى الصلبان، ولقد أوضحنا ذلك في «سبب التأليف»، مما يجعلنا نكفُّ عنان القلم هاهنا.

(٢) لأنَّ الشبهة دخلت عليه لعدم معرفته لحقيقة التوحيد، فظنَّ أنهم مازالوا على الإسلام؛ لصلاتهم وصيامهم، وجهادهم، وما علم أنَّ ذلك منقوضٌ بالقبورية التي هم عليها، ـ جنبك الله الزلل ـ في معرفة حقيقة التوحيد.

(٣) غنائم الدَّولة القبورية ومن قاتل معها وتولَّها من أعراب البوادي.

وأعانه بأيِّ إعانةٍ كانت، وصوَّب ما هو عليه، أو جلبه لدّيار الإسلام كما هو حادثٌ اليوم، ونصره علىٰ أهل الإسلام، فقد أتىٰ المكفِّرات من بابها الواسع؛ وهذا هو «التعزير» و«التوقير» الذي لا ينبغي إلَّا للَّه ورسوله وكتابه وأئمة المسلمين وعامتهم، **ومن شكَّ في هذه الردَّة الصريحة، هو كمن يشك فيمن كفر باللَّه، وعبد سواه**، فكل من عرف أصل الإسلام، وحقيقة الشّرك وعبادة الأصنام، أو كل أصل أفسد الأنام وأخرجهم عن الإسلام ثم يشكك فيه، أو يلوي فيه بقياس فاسد، فٱعلموا أنه شيطانٌ ماردٌ.

يقول العلاَّمة عبداللَّطيف بن عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ ما لفظه: «وأكبر ذنبٍ وأظله وأعظمه منافاةً لأصل الإسلام **نصرة أعداء اللَّه ومعاونتهم، والسعي فيما يظهر به دينهم، وما هم عليه من التعطيل والشّرك والموبقات العظام. وكذلك ٱنشراح الصدر لهم، وطاعتهم والثناء عليهم، ومدح من دخل أمرهم، وٱنتظم في سلكهم، وكذلك ترك جهادهم ومسالمتهم، وعقد الأخوة والطاعة لهم**، وما هو دون ذلك من تكثير سوادهم ومساكنتهم ومجامعتهم. **ويلحق بالقسم الأول**[1] **حضور مجالسهم المشتملة علىٰ ردِّ أحكام اللَّه وأحكام ورسوله، والحكم بقانون الإفرنج والنصارىٰ والمعطلة، ومشاهدة الاستهزاء بأحكام الإسلام وأهله...**» [«الرسالة الثامنة» من عيون

---

(١) قلت: «قسم الموالاة المكفِّرة»؛ لأنها على قسمين، قسم موبق ومردي، وقسم دون ذلك، مع التدرج فيه والاستمرار عليه قد يرقى إلى مرتبة الأول، فالحذر الحذر يا من تريد السلامة والسعادة الأبدية.

الرسائل والأجوبة عن المسائل ١/ ٢٧٤].

وكما تعلم ـ رحمك اللَّه ـ أنَّ قوله هذا، وتأصيله في هذه الموالاة المكفِّرة؛ الموبقة المردية، كان فيمن تولَّىٰ الدَّولة العثمانية ـ القبورية الشّركية ـ التي تحوم حولها شبهاتٌ شتىٰ؛ وأنها لازالت في دائرة الإسلام.

لأنه قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ في «الرسالة السَّابعة» التي قبل هذه التي نقلنا منها هذا التأصيل الفذّ الآنف ما لفظه: «فمن عرف هذا الأصل الأصيل، **عرف الفتنة الواقعة في هذه الأزمان، بالعساكر التركية، وعرف أنها تعود علىٰ هذا الأصل الأصيل، بالهدم والهدِّ والمحو بالكلية، وتقتضي ظهور الشّرك والتعطيل، ورفع أعلامه الكفرية، وأنَّ مرتبتها من الكفر، وفساد البلاد والعباد فوق ما يتوهَّم الواهمون، ويظنه الظانون، وبه يعلم أنَّ ما وقع من الوسائل إلىٰ تهوين تلك الفتنة، وتسهيل أمرها والسكوت عن التغليظ فيها، من أكبر أسباب وقوع الشرِّ، ومحو أعلام التوحيد**، ... ـ إلىٰ أن قال ـ :

فكيف بمن أعانهم، أو جرَّهم علىٰ بلاد أهل الإسلام، أو أثنىٰ عليهم، أو فضَّلهم بالعدل علىٰ أهل الإسلام، وٱختار ديارهم ومساكنتهم وولايتهم، وأحب ظهورهم، فإنَّ هذه ردَّة صريحة بالاتفاق، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ﴾ [المائدة: ٥].» [«الرسالة السَّابعة» من عيون الرسائل والأجوبة عن المسائل ١/ ٢٦٣ ـ ٢٦٨].

ونحن نقول: كيف بمن ظاهر عباد الصليب واليهود اليوم، وأعانهم وفتح لهم البلاد؛ وأرغم لهم قلوب العباد، ونصَّبَ لهم

الإذاعات؛ ليشككو في الأصول والكليات، وأغدق علىٰ أصحاب العمائم والطَّيالسة؛ ليشوّهوا صورة الموحدة؛ بأنهم أصحاب قتلٍ وتنكيلٍ، وعشقٍ للدماء تسيل، وأنَّ المستقبل معهم بائسٌ، وتكثير سوادهم فالس، وأنهم غاشون للأنام، هادمون لقواعد الإسلام.

فٱعلم ـ رحمك اللَّه ـ أنه لا يثبت إيمان الرجل؛ **إلَّا بتكفير وعيب ومقت من أتىٰ بذلك ليسلم من وهن المعتقد والدَّجل، وليعلم ويوقن أنَّ تلك الأفعال؛ ردَّة صريحة، نتجت عن سريرة قبيحة، وأنَّ علماءنا الأفذاذ؛ كفَّروا العراقي، لتشكيكه في المعسكر التركي، فكيف لا نكفِّر نحن اليوم من ذاد عن الحلف ـ اليهوصليبي ـ اللَّدود، وأوغل في اللِّجاج والمراء والذباب؛ كنباح الكلاب الذي لا يضر السحاب، وهل نقض عرىٰ الإسلام عروة عروة إلَّا من هذا الصنف الخبيث؛ أدعياء العلم وتصحيح الحديث؟!!**

فلقد أوهنوه؛ لما سوَّدوا بالعريض منطوقه ومفهومه ليشرحوه، فإنا للَّه وإنا إليه راجعون؛ علىٰ قلَّة الناصر والعون، ولا حول ولا قوَّة إلَّا باللَّه، علىٰ كثرة الجهل بأصول الإسلام والسَّفاه.

■ أما قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ : «**وأنا أذكر بعض الأدلة علىٰ ذلك، بعون اللَّه وتأييده**».

فمن التوطئة التي وطَّأها، والمقدمة التي أصَّلها وفصَّلها، بأحكامٍ معتبرةٍ، ظاهرة المعالم غير قاصرة، تظهر أنَّ المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ من المحققين البالغين المرتبة العليا فيه، فعلوٌّ كعبه ظاهرٌ بالبصر؛ لمن حقَّق في كلامه ونظر، فعادة المؤلف الذي ينتمي إلىٰ هذه الزمرة الزكية؛

التي تنتج لنا دائمًا الدُّرر البهية، لتحفظ بها لنا التأصيل الذي ورثناه بالتفصيل، أن يدعم ما يحرره بالدَّليل الذي يهدي إلىٰ اللَّه والجنَّة، ولا وجود لذلك إلَّا في الكتاب والسنَّة، فهما الحجَّة، وهما لاحب المحجَّة، وبهما تبدو السرائر؛ ويظهر مكنون الضمائر.

فهذا الصنف من المؤلفين رَحِمَهُمُ اللَّهُ أجمعين، هم الأقلون عددًا، الأعظمون عند اللَّه قدرًا، وأنَّ المقمّشين المغيّرين الشَّكل لأجل الأكل، هم الأكثرون عددًا في كل زمانٍ ومكانٍ؛ المنحطُّون عند اللَّه قدرًا، يذهب ما قمَّشوه بذهابهم، وتخمد نارهم؛ بظهور حقيقة مسارهم، فلا همَّ ولا حزن، طالما هناك محن، كيف وقد قال ـ تعالىٰ ـ : ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾﴾ [العنكبوت].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴿١١﴾﴾ [العنكبوت]؟!

فالصنف الذي ينتمي إليه المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ ـ تعالىٰ ـ يظهر دائمًا جهل التأويل، والإلحاد الذي طرأ علىٰ سبب محكم التنزيل، فلقد وصل ضرره إلىٰ أصحاب الطَّيالسة وكبار العمائم، الذين همهم العمل الكسبي؛ الذي يحافظ علىٰ المنصب والكرسي، فكيف الحال بمن دونهم، أو تشبَّه بهم ليتزلَّف؟!! اللَّهم غفرًا.

«الدَّلِيلُ الأَوَّل»

قَوْلُ ٱللَّهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠].

فأخبر ـ تعالىٰ ـ أنَّ اليهود والنصارىٰ وكذلك المشركون، لا يرضون عن النبي ﷺ حتَّىٰ يتبع ملَّتهم، ويشهد أنهم علىٰ حقٍّ.

ثم قَالَ: ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾﴾ [البقرة]. وفي الآية الآخرىٰ: ﴿إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾﴾ [البقرة]. فإذا كان النبيُّ ﷺ لو يوافقهم علىٰ دينهم ظاهرًا من غير عقيدة القلب ـ لكن خوفًا من شرِّهم ومداهنة ـ كان من الظالمين. فكيف بمن أظهر لعبَّاد القبور والقباب أنهم علىٰ حقٍّ وهدىٰ مستقيم؟!!، فإنهم لا يرضون إلَّا بذلك.

الشَّرْحُ:

■ فقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ: «**الدَّليل الأول: «قَوْلُ ٱللَّهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾** [البقرة: ١٢٠]».

بدأ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ بسرد الدَّليل الذي يدل علىٰ المدلول، حتَّىٰ يشد بنيان ما وطَّأه ليوثّقه، فهذه عادة المؤلف المحقق؛ الذي يبتغي بتأليفه توثيق الصروح والبنيان، وطمس معالم الجهل والعميان، فغايته أن تخرج الدَّهماء من العمياء، لأنَّ قلَّة العلم المحقّق تُظهر الجفاء، وقلَّة الدَّلائل والآثار تُكثّر الأهواء، ومحقّق العلم بلفظ المنقول والمعنىٰ المعقول، قد حمل راية الجهاد ودخله من بابه الأعظم،

والمقارع يستند دائمًا علىٰ ما حقَّقه البارع، والبراعة تكمن في فهم نصوص الكتاب والسنَّة علىٰ ظاهرها وحملها علىٰ واقعها؛ بنظرٍ ثاقبٍ ومدلولٍ صائبٍ.

فبدأ المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ بدليل ظاهر الكتاب؛ الذي لا يأتيه باطل من بين يديه ولا من خلفه، ليوثّق الحساب، وأوَّل ذلك ظاهر الآية التي ذكرها. فهذه الآية الكريمة، يعلم اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ فيها نبيّه أنَّ «اليهود» و«النصارىٰ» لن يرضوا عنه؛ بـ«**لَن**» التي تفيد النَّفي، «**حَتَّىٰ**» التي تفيد الغاية؛ يتَّبع ملَّتهم؛ وإن كان الخطاب للنبي ﷺ فهو لأمته كذلك، فكل أمر من اللَّه ـ تعالىٰ ـ له ولأمته ما لم يأت دليلٌ بالخصوصية، وهذا مما هو متعارفٌ عليه عند المحققين والأصوليين، لا ريب في ذلك ولاشكّ.

فخصَّ المولىٰ ـ سبحانه وتعالىٰ ـ «اليهود» و«النصارىٰ»، لعلمه أنَّ الطائفتين لدودتان لأهل الإيمان، وحزب الرحمن إلىٰ قيام الساعة، **قَالَ تَعَالَىٰ**: ﴿**وَمَا نَقَمُواْ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ** ⑧﴾ [البروج].

فحسد الأولىٰ يحرك جهل الثانية، وإن كانت الطائفتان في عهده ﷺ يجاوره منهما قلَّة، وقد ضربت عليهم المسكنة والذلَّة، ما عدا نصارىٰ الشام الذين أحكمهم سلطان «قسطنطين» وجنوده الغشام.

ثم مما ذكره المُستورد القرشيُّ أنه قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**تقوم الساعة والرُّوم أكثر الناس**» [مسلم رقم ٧٢٠٨].

لكن قد يقول قائلٌ: إنَّ لفظة «الرُّوم» ليس معني بها النصارىٰ، وإنما القومية؛ كلفظ «العرب»، وفي العرب يهود ونصارىٰ.

قلنا: لو كانت لفظة «الرُّوم» لم يأت ما يشير أنَّ المقصود منها النصارىٰ لعملنا بالقاعدة الأصولية التي تقول: «**إنَّ اللفظة إذا وقعت في اللسان علىٰ معنيين فصاعدًا وقوعًا مستويًا لم يجز أن يقتصر بها علىٰ أحدهما بلا نص ولا إجماع.**» [النُّبذ ص ٦٢].

ومما يدل أنَّ المقصود من لفظة «الرُّوم» هم نصارىٰ الصلبان، ما رواه خالد بن مَعْدان عن جُبير بن نُفيرٍ عن رجلٍ من أصحاب النبي ﷺ أنه قال: سمعت رسول ﷺ يقول: «**ستصالحون الرُّوم صلحًا آمنا، فتغزون أنتم وهم عدوًا من ورائهم، فتُنصرون وتغنمون وتَسلمون، ثم ترجعون حتَّىٰ تنزلوا بمرجٍ ذي تلولٍ، فيرفع رجلٌ من أهل النصرانية الصليب، فيقول: غلب الصليب! فيغضب رجلٌ من المسلمين فيدُقُّهُ! فعند ذلك تغدر الرُّوم، وتجمع للملحمة.**» [صحيح سنن أبي داود رقم ٤٢٩٢ «كتاب الملاحم» وصححه ٱبن حبان].

فقول الرجل: «غلب الصليب»، وغدر الرُّوم لما دقَّ يدل علىٰ أنهم عبَّادُه، والعبادةُ الباطلةُ مشؤومة في الدُّنيا، والعاقبة النار، **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [الأنبياء].

ومما يجدر بنا الإشارة إليه، أنَّ بعض المصطلحات شيع ٱستعمالها؛ وإن جاءت نصوصٌ تدل عليها، لكن لم توضع في محلها، فأردنا أن ننظر فيها ببصرٍ نافذٍ ولا نقلد فيها أحدًا، لأنَّ تقييد الاصطلاحات ووضعها علىٰ المعنىٰ والمبنىٰ الصحيح؛ هو ثمرة العلم

النافع، ومن هذه الاصطلاحات صحيحة المعنىٰ موهونة المبنىٰ قد يدخل عليها اللبس؛ مصطلح «الملَّة اليهودية» و«الملَّة النصرانية»، ولفظ «الملَّة» لا يطلق إلَّا علىٰ الدّيانة الصحيحة، **قَالَ تَعَالَىٰ**: ﴿**مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ**﴾ [الحج: ٧٨].

عن عطاء بن يسار قال: لقيت عبداللَّه بن عمرو بن العاص قلت: أخبرني عن صفة رسول اللَّه ﷺ في التوراة، قال: أجل، واللَّه إنه لموصوفٌ ببعض صفته في القرآن: ﴿**إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا** ٨﴾ [الفتح]. قال في التوراة: «يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا وحرزًا للأميين، أنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكل، ليس بفظّ ولا غليظ ولا سخَّاب بالأسواق، ولا يدفع السيئة بالسيئة، ولكن يعفو ويصفح، ولن يقبضه اللَّه حتَّىٰ يقيم به الملَّة العوجاء بأن يقولوا: لا إله إلَّا اللَّه، فيفتح بها أعينًا عميًا، وآذانًا صمًّا وقلوبًا غلفًا.»

[البخاري رقم ٤٨٣٨].

فقوله: «حتَّىٰ يقيم به الملَّة العوجاء» يدل علىٰ ملَّة إبراهيم عليه السلام التي طرأ عليها العوج؛ بما أحدثه مشركو العرب فيها، فردَّها النبي ﷺ كما كانت علىٰ عهد أبيه إبراهيم عليه السلام.

لكن قد يُحتج علينا بقوله ـ تعالىٰ ـ ﴿**حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ**﴾ [البقرة: ١٢٠]؛ وبما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أنَّ النبي ﷺ قال: «**ليس بيني وبينه نبي ـ يعني: عيسى ـ وإنه نازلٌ، فإذا رأيتموه فٱعرفوه؛ رجلٌ مربوعٌ إلىٰ الحمرة والبياض بين مُمَصَّرتين؛ كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بللٌ، فيقاتل الناس علىٰ الإسلام؛ فيدقّ الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية،**

ويهلك اللَّه في زمانه الملل كلَّها إلَّا الإسلام، ويُهلك المسيح الدَّجال، فيمكث في الأرض أربعين سنة، ثم يتوفىٰ، فيصلّي عليه المسلمون»

[صحيح سنن أبي داود رقم ٤٣٢٤ والسلسلة الصحيحة رقم ٢١٨٢].

فقوله ـ تعالىٰ ـ «**مِلَّتَهُمْ**» وقول النبي ﷺ «**ويهلك اللَّه في زمانه الملل كلَّها إلَّا الإسلام**» يدل علىٰ السنن والطرائق المحدثة؛ لأنَّ الدّين واحدٌ، لكن أحدث فيه.

يقول ٱبن منظور الإفريقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ ما لفظه: «قال أبو إسحاق: «**حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ**»، الملَّة في اللغة سنَّتهم وطريقهم، ومن هذا أخذ المَلَّة، أي: الموضع يختبز فيه لأنه يؤثّر في مكانها كما يؤثر في الطريق. قال: وكلام العرب إذا ٱتفق لفظُه فأكثره مشتق بعضُه من بعض. قال أبو منصور: ومما يؤيد قوله قولهم: «مُمَلٌ» أي: مسلوك معلوم.»

[اللسان ١٤/ ١٢٩ مادة «الملَّة»].

و«اليهودية» و«النصرانية» ديانة مبتدعة باطلة مصدرها الهوىٰ. **قَالَ تَعَالَىٰ**: ﴿**وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا**﴾ [الحديد: ٢٧].

فقوله ـ تعالىٰ ـ : ﴿**هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا**﴾ [الحج: ٧٨]، يدل علىٰ أنَّ الدّيانة التي جاء بها آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وختم اللَّه ـ تعالىٰ ـ بها مبعث النبي ﷺ هي الإسلام، **قَالَ تَعَالَىٰ**: ﴿**إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ**﴾ [آل عمران: ١٩].

ويقول عليه الصلاة والسلام: «**أنا أولىٰ الناس بعيسىٰ بن مريم في الدُّنيا والآخرة، والأنبياء إخوة لعَلَّاتٍ، وأمَّهاتهم شتىٰ، ودينهم واحدٌ** ـ وفي رواية ـ **وليس بيني وبينه نبيّ**» [متفق عليه].

وبنو العلاَّت: أولاد الرجل الواحد من نساءٍ شتىٰ، أما الإخوة من الأبوين فيقال لهم: أولاد الأعيان، فالنسبة الأبوية واحدة، والملَّة واحدة، **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الحج: ٧٨] وقال يوسف عليه السلام: ﴿وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾ [يوسف: ٣٨]، فهو علىٰ ملَّة أبيه إبراهيم عليه السلام، وإبراهيم علىٰ ملَّة أبيه الأول آدم عليه السلام، فكل الأنبياء والرسل علىٰ الملَّة الواحدة، وكلهم أمرهم اللَّه ـ تعالىٰ ـ أن يقولوا: ﴿مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ﴾ [يوسف: ٣٨]، والأمر لهم ولأمتهم وأتباعهم، **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [يوسف: ٤٠].

والعبادة مبناها علىٰ الاتباع وقبول الأوامر والخنوع والخضوع لها، وهذا هو الإسلام المبني **علىٰ إسلام الوجه والاستسلام للأوامر الربانية. قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُواْ﴾ [الحج: ٣٤]، ومن هنا كان دين الأنبياء هو «الإسلام»، فلم يقر المولىٰ ـ سبحانه وتعالىٰ ـ من لدن آدم عليه السلام إلىٰ نبينا محمد ـ صلوات اللَّه وسلامه عليه ـ دينًا غيره، فكيف بعد ذلك نسمع من مقلدة المصطلحات «الديانة اليهودية» و«الديانة النصرانية»؟!!

فقد يقول قائلٌ: وإن سمَّوْها «الديانة اليهودية» و«الديانة النصرانية»؛ فالديانة باطلة، ولا حرج في ذلك!!

قلنا: وإن زعمت ذلك، فالدّين لا يطلق إلَّا علىٰ ما هو معتبرٌ عند اللَّه ـ تعالىٰ ـ ، **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩]، وهذا الإسلام مبني علىٰ ٱجتناب والميل عن كل الافتراءات التي تخلخل التوحيد، **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ﴾ [الحج:

﴿٣١﴾]. والحنيف: هو المائل عن كل ما يخدش التوحيد، وهذا ما أُمر به «اليهود» و«النصارىٰ»؛ أهل الكتابين، فأبوا إلَّا العصيان والمشاقة للَّه ورسله، **قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ﴿٥﴾﴾** [البينة]. فالدّين القيم ـ الذي هو الإسلام ـ دعائمه عبادة اللَّه بإخلاص الوجه له، ولبّ ذلك؛ الحنف عن مخلخلات التوحيد، وقدحها، وتسفيهها، وعيب أهلها، وتكفيرهم إذا كانت هذه الخلاخل تنقض أصل الدّين، ثم إقامة الأوامر العبادية، وعلىٰ رأسها «الصلاة» و«الزكاة»، فهل في «اليهودية» و«النصرانية» شيءٌ من ذلك؟!

فالدّين الذي جاء به موسىٰ وعيسىٰ ـ عليهما السلام ـ هو الإسلام، لكن الأتباع أبوا إلَّا المشاقة والاختلاف والتفرق والابتداع فيه، ولهذا لا يدخلون في الشّرك إلَّا من النَّاحية التقييدية، لأنَّ أصل دينهم حقّ وهم ٱبتدعوا فيه، ولهذا قال ـ تعالىٰ ـ : **﴿لَمۡ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾** [البينة: ﴿١﴾]، **فالآيات التي وصفتهم بالشّرك فذلك بعد التبديل، وحيث جعلوا غير مشركين؛ كهذه الآية الآنفة، فلأنَّ أصل دينهم صحيح وهو الإسلام، والإسلام ليس فيه شرك، فالشّرك مبتدعٌ عندهم، فينبغي التَّفطن لهذه المعاني حتَّىٰ ينفىٰ التعارض في كتاب اللَّه ـ تعالىٰ ـ .**

فالذي جعلني أشير لهذا التفريق الدَّقيق، هو ما ذكره الإمام الجليل ٱبن حزم الأندلسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ في باب: «قسم الفيء والجهاد والسِّير» فقال ما لفظه: «وٱتفقوا علىٰ تسمية اليهود والنصارىٰ كُفَّارًا،

وٱختلفوا في تسميتهم مشركين.» [مراتب الإجماع ص ٢٠٢].

فالذي خالف في وسم اليهود والنصارىٰ بالشّرك؛ لم يتنبَّه لدقَّة ما أشرنا إليه، **وهل يوجد أعظم من شرك مَن قال: «عزير» و«المسيح عيسىٰ» ٱبنا اللَّه؟!!** تعالىٰ عمَّا يقول الظالمون علوًّا كبيرًا. **فيجب التَّنبه لمدلول الآيات والنَّظر الثاقب في التَّفريق، ليتجنَّب الاختلاف، ويُسدّ باب الخلاف.**

فإذا عرفنا ذلك؛ فلا ينبغي لنا أن نصف «اليهودية» ولا «النصرانية» بالديانة، وإنما بالنحلة اليهودية والنحلة النصرانية، والفرق بين الديانة والنحلة واضحٌ، فالأولىٰ: تكون للدّين الحقّ وهو الإسلام، والثانية: للشرك المطلق والشّرك المقيد؛ المبتدع في الدّين الصحيح.

ومما يبيّن ذلك بوضوحٍ، قوله ﷺ: «**يحمل هذا العلم من خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وتأويل الجاهلين وٱنتحال المبطلين**» [التمهيد لما في الموطَّأ من المعاني والمسانيد ١/ ٤٩].

لذا يقال: إنَّ فلانًا ينتحل كذا وكذا، أي: يدين به، ولو كان ما يدين به حقًا لا يقال: ينتحل، وكذلك يلاحظ من الحديث أنَّ الثلاثة ٱبتدعوا في الأصل، ولم يردّوه بالكلية، ومن هنا سمّيت البدعة بدعةً، لاشتمالها علىٰ حقّ مع تلبيس، وينبوع التلبيس من هذه الثلاثة تسيل.

يقول شيخ الإسلام ٱبن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ ما لفظه: «منشأ ضلال من ضل من الأمم قبلنا، **هو منشأ البدع**، فإن البدعة لو كانت باطلاً محضًا لظهرت وبانت، وما قبلت، ولو كانت حقًا محضًا، لا شوب فيه، لكانت موافقة للسنَّة، فإنَّ السنَّة لا تناقض حقًا محضًا لا

باطل فيه، **ولكن البدعة تشتمل علىٰ حقٍّ وباطلٍ.**» [درء تعارض العقل والنقل المسمَّىٰ موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول ١/ ١٢٠، ١٢١].

فإذا عرفت ـ رحمك اللَّه ـ هذا، علمت صدق شهادة النحلتين في بعضهما لما قالتا: ﴿**وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ**﴾ [البقرة: ١١٣]؛ وكل مسلم من لدن آدم عليه السلام إلىٰ يومنا هذا يقول: صدقتما لستما علىٰ شيءٍ، ولما تمارت الطائفتان المنتحلتان؛ «اليهودية» و«النصرانية» في إبراهيم عليه السلام أكذبهما اللَّه ـ تعالىٰ ـ في مرائهما وٱنتحالهما بقوله: ﴿**مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَـٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٦٧**﴾ [آل عمران].

فهو علىٰ دين أبيه «آدم» ودين أول الرسل «نوح» ـ عليهما السلام ـ ، قال ـ تعالىٰ ـ حاكيًا قول نوح لقومه: ﴿**فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ٧٢**﴾ [يونس].

فدين الأنبياء واحدٌ، **قَالَ تَعَالَىٰ**: ﴿**شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ١٣**﴾ [الشورى].

فموسىٰ عليه السلام الذي ينتحله اليهود، وهو بريءٌ من ٱنتحالهم قال لقومه: ﴿**يَـٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ٨٤**﴾ [يونس].

وعدو اللَّه الذي ٱدَّعىٰ الربوبية لما أدركه الغرق قال: ﴿**ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ٩٠**﴾ [يونس].

وعيسىٰ ـ عليه السلام ـ الذي ينتحله النصارىٰ وهو بريءٌ من

ٱنتحالهم لما أحس من قومه الكفر قال: ﴿مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [آل عمران].

ويقول المولىٰ ـ سبحانه وتعالىٰ ـ في أتباع موسىٰ وعيسىٰ ـ عليهما السلام ـ : ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [القصص]، فلم يقولوا: إنا كنا من قبله «هودًا» أو «نصارىٰ».

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ﴾ [المائدة: ٤٤].

يقول العلاَّمة الزمخشري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله ـ تعالىٰ ـ : ﴿يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟﴾ ما لفظه: «وأريد بإجرائها ـ يعني: هذه الصفة ـ التعريض باليهود، وأنهم بعداء من ملَّة الإسلام التي هي دين الأنبياء كلهم في القديم والحديث، وأنَّ اليهودية بمعزل منها.» [الكشاف ١/ ٦٢٣، ٦٢٤].

واليهود سموا بذلك للتوبة التي أحدثوها علىٰ عهد موسىٰ، **قَالَ تَعَالَىٰ**: ﴿إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ۚ﴾ [الأعراف: ١٥٦]، يعني: تبنا إليك، فالهود: التوبة؛ هاد يهود هودًا، وتهوَّد: تاب ورجع إلىٰ الحقّ، فهو هائدٌ، والتَّهود: التوبة والعمل الصالح، والنصارىٰ سموا بذلك نسبة إلىٰ بلدة «ناصرة» بفلسطين.

فإذا تبيَّن معنىٰ «النحلة اليهودية» و«النحلة النصرانية» علمت

خبث دعوة وحدة الأديان، التي تريد أن تجمع بين الحقّ والباطل ـ بين التوحيد الذي ٱرتضاه اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ للعباد، وبين الباطل الممقوت الذي أمرنا بإزالته ـ ، فمن دخل في هذه الدَّعوة الشيطانية، **فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه، ودخل الردَّة من بابها الواسع، فإما أن يتوب مما دخل فيه، أو تضرب عنقه ويستراح من شرّه.**

فممَّا حررناه تعلم خطورة إطلاق الاصطلاحات دون النظر الثاقب فيها، ومنها إصطلاح «الأديان السماوية» بصيغة الجمع، فالدّين واحدٌ وهو الإسلام، فالأحكام العلمية لدىٰ الأنبياء واحدة، وإنما تختلف الأحكام العملية للعبادة. وكذلك مصطلح «الدَّعوة الإبراهيمية» ويراد منها؛ الجمع بين الإسلام وبين اليهودية المبتدعة، والنصرانية المبتدعة في صفٍ واحدٍ ـ نعوذ باللَّه من الخذلان ـ ، فدعوتهم تقول: نجتمع فيما ٱتفقنا فيه ـ من النسبة الإبراهمية ـ ويعذر بعضنا بعضًا فيما ٱختلفنا فيه، فهذا ما يتبناه دعاة الضلال والانحراف ومنهم «طارق السويدان» و«عمرو خالد» و«جمال البنا»، فهم يتبنون مصطلح «الإسلام الليبرالي»، ويدعون إلىٰ حوار الأديان، علىٰ حساب معتقد الجنان، ومع كل ما سلكوه من مسالك العميان، لم يرض عنهم أئمة الكفر، ولا يريدون أن يلتقوا معهم علىٰ مائدة الحوار ـ زعموا ـ حتَّىٰ ينبذوا العنف بزعمهم المكتوب في القرآن، **قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:** ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾﴾ [البقرة].

فهل بعد عمىٰ القلب عمىٰ؟!!

■ وقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ : «**فأخبر ـ تعالىٰ ـ أنَّ اليهود والنصارىٰ وكذلك المشركون، لا يرضون عن النبي ﷺ حتَّىٰ يتبع ملَّتهم، ويشهد أنهم علىٰ حقٍّ**».

فقد وصف اللَّه ـ سبحانه تعالىٰ ـ طوائف الكفر علىٰ ٱختلاف نحلهم بالعداء، وعدم الرضىٰ علىٰ ما هو عليه النبي ﷺ وأمته من التوحيد الخالص؛ حتَّىٰ يتبع سنَّتهم وطريقهم التي أحدثوها، ولهذا قالوا: ﴿كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُواْ﴾ [البقرة: ١٣٥]، وقالوا: ﴿لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ﴾ [البقرة: ١١١]، وهذا إدّعاءٌ باطلٌ يحتاج إلىٰ دليلٍ، ولهذا طالبهم المولىٰ ـ سبحانه وتعالىٰ ـ بدليل قولهم: ﴿قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ١١١﴾ [البقرة].

هذا كٱدّعائهم أنهم محببون عند اللَّه ـ تعالىٰ ـ، **قَالَ تَعَالَىٰ**: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾ [المائدة: ١٨]؛ فأخبرهم بقوله: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١]. فشرط المحبة تكمن في الاتباع، هم أَبوْه، وهذه هي محنتهم، وهذه الآية تسمىٰ آية المحنة، فكل من ٱدَّعىٰ محبة اللَّه أو محبة رسوله طالبناه بهذا الشرط، ومن هنا تعلم ضلال الصوفية لما ٱدَّعوا محبة النبي ﷺ بكثرة ذكرهم له، فإذا بهم ٱبتدعوا في طريقته.

فكنُّ البغض، وعدم الرضىٰ عن الطائفة المؤمنة الموحدة؛ لا يتعارض مع قوله ـ تعالىٰ ـ : ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا

﴿وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [المائدة].

فكثير من الناس يظن أنَّ ذلك في نصارىٰ الصلبان؛ فيودّهم ويتدرج في ولايتهم لظنه أنهم أقل عداوة من اليهود، ونسىٰ ما سجل لنا التاريخ في عداوتهم، وما يحدث اليوم منهم، وهذا مبني علىٰ الفهم الخاطىء للآية؛ **والشَّرّ لا يدخل إلَّا من قلة النظر في الخبر**؛ ومن هنا منشأ الضلال.

يقول العلاَّمة البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله ـ تعالىٰ ـ : **﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَـٰرَىٰ﴾** ما لفظه: «**لم يرد به جميع النصارىٰ؛ لأنهم في عداوتهم المسلمين كاليهود في قتلهم المسلمين وأسرهم، وتخريب بلادهم، وهدم مساجدهم، وإحراق مصاحفهم، لا ولاء ولا كرامة لهم**، بل الآية فيمن أسلم منهم مثل النجاشي وأصحابه.» [معالم التنزيل ١/ ٧٠١، ٧٠٢].

ويقول شيخ الإسلام ٱبن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ ما لفظه: «لما كان فيهم رهبة وعدم كبر ـ يعني: النصارىٰ ـ كانوا أقرب إلىٰ الهدىٰ، فقال في حق المسلمين منهم: **﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّـٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾﴾** [المائدة]. قال ٱبن عباس: مع محمد وأمته وهم الأمة الشهداء.

فإن النصارىٰ لهم قصد وعبادة، وليس لهم علم وشهادة؛ ولهذا **فإن كان اليهود شرًّا منهم، بأنهم أكثر كبرًا وأقل رهبةً، وأعظم قسوة، فإنَّ النصارىٰ شرّ منهم فإنهم أعظم ضلالاً وأكثر شركًا، وأبعد عن تحريم ما حرم اللَّه ورسوله.**

وقد وصفهم اللَّه **بالشّرك الذي ٱبتدعوه، كما وصف اليهود بالكبر الذي هووه،** فقال ـ تعالىٰ ـ: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٣١﴾ [التوبة]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّۚ﴾ إلىٰ قوله: ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۚ﴾ [المائدة: ١١٦، ١١٧] وقد ذكر اللَّه قولهم: أنَّ اللَّه هو المسيح ٱبن مريم، وأنَّ اللَّه ثالث ثلاثة، وقولهم: ٱتخذ اللَّه ولدًا، في مواضع من كتابه، بيَّن عظيم فريتهم وشتمهم للَّه، وقولهم: الإد الذي: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ وَتَنشَقُّ ٱلۡأَرۡضُ وَتَخِرُّ ٱلۡجِبَالُ هَدًّا ٩٠﴾ [مريم]. ـ إلىٰ أن قال ـ: **ولما كان أصل دين اليهود الكِبْر عاقبهم بالذّلة،** ﴿ضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيۡنَ مَا ثُقِفُوٓاْ﴾ [آل عمران: ١١٢]. **ولما كان أصل دين النصارىٰ الإشراك لتعديد الطرق إلىٰ اللَّه أضلهم عنه،** فعوقب كل من الأمتين علىٰ ما ٱجترَمه بنقيض قصده. ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ٤٦﴾ [فصلت].

ـ إلىٰ أن قال ـ: **ولهذا ٱستوجبوا الغضب والمقت، والنصارىٰ لما دخلوا في البدع أضلهم عن سبيل اللَّه فضلوا عن سبيل اللَّه وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل، وهم إنما ٱبتدعوها ليتقربوا بها إليه ويعبدوه، فأبعدتهم عنه وأضلهم عنه وصاروا يعبدون غيره. فتدبر هذا واللَّه ـ تعالىٰ ـ يهدينا صراطه المستقيم صراط الذين أنعم عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين.**» [مجموعة الفتاوىٰ ٧/ ٣٨١، ٣٨٢ ط/ جـ ٦٢٦

ـ ٦٢٩ ط/ ق].

فالنصارىٰ لما وصفوا بالتَّرهب وقلَّة الكبر، لا ينفرون من الحقّ إذا تلي عليهم؛ وإذا عرفوا ذلك ٱلتزموه وٱنحازوا إلىٰ طائفة الإيمان؛ ولصفتهم هذه وعدم قسوتهم يدخلون في الإسلام بكثرة، وقبل «الملحمة» يسلم منهم كثير، فلين الجانب وعدم الكبر هو الذي أوصلهم إلىٰ الهداية، فالآية في حقّ المسلمين منهم، والمودَّة حصلت لما سمعوا الحقّ فٱلتزموه بعدما فاضت أعينهم لمعرفته. فقوله ـ تعالىٰ ـ : ﴿**فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ٨٣**﴾ [المائدة] مع محمد ﷺ وأمته، والذي يريد أن يكتب مع محمد؛ يلتزم ما جاء به محمد ﷺ.

■ وقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ : «**ثم قَالَ: ﴿قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم بَعۡدَ ٱلَّذِي جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ ١٢٠﴾** [البقرة]. **وفي الآية الآخرىٰ: ﴿إِنَّكَ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٤٥﴾** [البقرة]».

فالهدىٰ الذي جاء من عند اللَّه ـ تعالىٰ ـ من لدن آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إلىٰ محمدٍ ﷺ هو الإسلام المبني علىٰ الاستسلام للأوامر الربانية؛ في الظاهر والباطن، أما «اليهودية» و«النصرانية»، فطرق مبتدعة محرّفة للحقّ، ولا نقول: منسوخة، لأنَّ النسخ يكون لحكمٍ حقٍّ سابقٍ، بحكمٍ حقٍّ جديدٍ، **واليهودية والنصرانية ٱشتملتا علىٰ شركٍ عظيمٍ، محرّفٍ لحقٍّ ظاهرٍ قديمٍ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ﴾** [المائدة: ٤٨].

فالقرآن مصدّقٌ ومهيمنٌ، والهيمنة: الحفظ والارتقاب، فهو

شهيدٌ علىٰ الكتب السابقة، أنها حقٌّ ومن عند اللَّه ـ تعالىٰ ـ ؛ لهذا فضح المحرفة من النحلتين الممقوتتين لما أدخلوه من كذبٍ وزورٍ في الكتب السابقة، خاصة «التوراة» و«الإنجيل»، والنسخ الذي طرأ علىٰ ما جاء به موسىٰ وعيسىٰ ـ عليهما السلام ـ **خصَّ الأحكام العملية، أما الأحكام العلمية فهي واحدة من لدن آدم** عليه السلام **إلىٰ اليوم**، لهذا لما ٱدَّعىٰ اليهود تحريم بعض الأشياء عليهم بزعمهم، أمر اللَّه ـ تعالىٰ ـ نبيّه أن يقول لهم: ﴿**قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ** ﴿٩٣﴾﴾ [آل عمران]. وإنما حرَّموها بٱفترائهم وٱنتحالهم تبعًا لأهوائهم التي تعبَّدوا بها.

لهذا قال ـ تعالىٰ ـ : ﴿**وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم**﴾ [المائدة : ٦٦]. فالتوحيد الذي في «التوراة» يستلزم قبول التوحيد الذي في «الإنجيل»، والذي فيهما يستلزم قبول والانقياد للكتاب «المهيمن»، لأنَّ الثلاثة من مشكاة واحدة، لهذا أعقبها اللَّه ـ تعالىٰ ـ بقوله: ﴿**مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ**﴾ [المائدة : ٦٦]، فمقتصدة أهل الكتاب هم الذين شهدوا أنَّ موسىٰ وعيسىٰ نبيان من عند اللَّه، بشَّروا أمتهم بمِقْدَم «محمدٍ»، وأوصوا بقبول دعوته ونصرته، لكن «اليهود» و«النصارىٰ» خانوا هذه الوصية وحرَّفوها تبعًا لأهوائهم، لهذا قال ـ تعالىٰ ـ : ﴿**وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ** ﴿٦٦﴾﴾ [المائدة].

فلا يصح إذا جادلنا هذا الكثير ـ سيء العمل ـ ؛ ٱبتغاء هدايته، أن نقول له ديانتك منسوخة، وإنما نحلتك ممقومة فيها شرك عظيم ٱفتريته، وموسىٰ وعيسىٰ برآء منه، وإنما النسخ طرأ علىٰ ما كان عليه موسىٰ

وعيسىٰ ـ عليهما السلام ـ ، فلما علمه أتباعهما قبلوا الناسخ وتخلوا عن المنسوخ، وبهذا دخل «عبداللَّه بن سلام» رضي الله عنه في الإسلام، وسمَّىٰ اللَّه ـ تعالىٰ ـ عمله هذا شهادة بقوله: ﴿**وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثۡلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ**﴾ [الأحقاف: ١٠].

فهو شهد أنَّ المنسوخ حقٌّ وتركه، وشهد أنَّ الناسخ حقٌّ وعمل به، فيكون بذلك قد عمل بـ«التوراة» و«القرآن»، وبعمله هذا دخل في زمرة المقتصدة التي أمرها اللَّه ـ تعالىٰ ـ أن تقيم «التوراة» و«الإنجيل» و«القرآن»، وهذه الزمرة هي التي يضاعف لها الأجر ويدخلها اللَّه ـ تعالىٰ ـ مدخلاً كريمًا، و«عبداللَّه بن سلام» رضي الله عنه من هذه الزمرة، ولهذا بشَّره النبي ﷺ بالجنة.

عن عامر بن سعدٍ، قال: سمعتُ أبي يقول: «ما سمعتُ رسول اللَّه ﷺ يقول، لحيٍّ يمشي، إنه في الجنَّة، إلَّا لعبداللَّه بن سلامٍ.» [مسلم رقم ٦٣٣٠ باب: من فضائل عبداللَّه بن سلام رضي الله عنه].

فمن تخلىٰ عن هذا الهدىٰ المستقيم، فما له من اللَّه يتولَّاه وما له من نصير ينصره، وبهذا أمر اللَّه ـ تعالىٰ ـ نبيّه وأمته، فمن تخلَّىٰ عنه الرحمن، تولاَّه الشيطان وقاده إلىٰ الخذلان، وكان من الظالمين، فتدبر هذا وٱحفظه ـ يرحمك اللَّه ـ .

■ وقوله رحمه الله ـ تعالىٰ ـ : «**فإذا كان النبيُّ ﷺ لو يوافقهم علىٰ دينهم ظاهرًا من غير عقيدة القلب ـ لكن خوفًا من شرِّهم ومداهنة ـ كان من الظالمين**».

فهذا الذي ذكره المؤلف رحمه الله ـ تعالىٰ ـ يرد علىٰ «مذهب

الإرجاء» الخبيث؛ الذي سرىٰ في الأمة كسير النار في الهشيم، ولقد قيَّض اللَّه ـ تعالىٰ ـ له أتباع الرسل فقذفوه بشهب الوحي فإذا هو زاهقٌ، وفساد هذا المذهب معلوم بالمعقول قبل المنقول.

فموافقة أهل الانتحال وعلىٰ رأسهم اليهود والنصارىٰ ظاهرًا دون عقيدة القلب ـ لدفع شرّهم ـ «مداهنة»، وهذه عرَّفناها أنها مكفّرة؛ من زمرة «الظلم الأكبر» المخرج من الملَّة.

ولقد ذكرنا المسموح به؛ أنه قول اللسان مع المخالفة بالأعمال، وفي سلطان الكافر لا غير، وليس مع العدوّ الكافر الصائل كما هو حاصل اليوم، مما يغنينا عن إعادة بسطه هنا.

■ وقوله رَحِمَهُ اللَّهُ ـ تعالىٰ ـ: «**فكيف بمن أظهر لعبَّاد القبور والقباب أنهم علىٰ حقٍّ وهدىٰ مستقيم؟!!، فإنهم لا يرضون إلَّا بذلك**».

ٱعلم أنَّ فتنة القبورية، من أعظم الفتن التي أصابت الإسلام بكربٍ عسيرٍ، بل هذه الفتنة قلعت قواعده، وهدَّمت أركانه، وٱجتثت بنيانه، لكن لطف اللَّه ـ تعالىٰ ـ بكلّ عالمٍ صالح، باذلٍ ناشرٍ للعلم ناصح، مقدّم خوف اللَّه علىٰ مخافة خلقه، فهتك ستر هذه الفتنة، وقوَّض شبهتها ودحرها.

وكما تعلم أنَّ هذه الفتنة وسائر الفتن التي تريد أن تصيب الإسلام بمقتل، لها رؤساء ودعاة، يلقون حبالها، ويزيّنون شبهتها، ويقيمون لها الدَّلائل الخلاَّبة، لتصبح جلاَّبة، فإذا نعق هؤلاء، ٱستجاب كل جاهل لم يستضيء بنور العلم، ولم يلجأ إلىٰ ركنٍ وثيقٍ.

فالسكوت عن هؤلاء خيانة لدين اللَّه ـ تعالىٰ ـ وللمسلمين كافة،

والجاهل دومًا لعالمه بالتبع، وإذا سكت العالم ودلَّس، عُبِّد طريق الهاوية وسَلس، هذا ما لم يلبّس! فكيف بعد ذلك إذا فعل ذلك، وجلب عليه الشيطان بخليه ورَجله، وعينَ بكل معينٍ؟! فإذا كان الساكت علىٰ ذلك مع قدرته لتبيين تلك المسالك شيطانًا أخرصًا، فالناطقُ والمسوغُ لذلك، شيطانٌ ناطقٌ، وتعلو المرتبة إذا كان النَّاطق بذلك ينتسب إلىٰ العلم والدّين.

ويدخل في هذا المسلك المزري، كل من ألف للشبهات وذاد عنها لتألف، وتزداد تلك الشبهات خطورة إذا كانت تنقض أصل الدّين، فهو يدعو إلىٰ مسلك الجحيم، بذوده عن الشّرك الوخيم؛ مقوّم العار والشنَّار، بحجج باهتة عن الحقّ حائدة، ليستوطن هو ومن ٱتبعه دار البوار، لأنَّ حبّ الدُّنيا علىٰ الآخرة من أعظم الأخطار.

ولقد عهدنا أنَّ الباطل لا يقوم إلَّا بهؤلاء، الذين زيَّنوا الشبهات، لمحبتهم جني الشهوات، وما ضرب الشّرك أطنابه اليوم بقسميه؛ «شرك القبور» و«الشّرك المستشرىٰ من القصور»؛ الذي صادم الشريعة الربانية، بالقوانين الوضعية، إلَّا بتزيين أحبار السُّوء له.

فكم من مؤلف باع آخرته بدنياه، ألَّف ليصادم الحقّ ويدعو إلىٰ العبادة القبورية، كالقبوري «داود بن سليمان بن جرجيس» الذي جوَّز ٱتخاذ الأنداد مع رب العباد، ولقد ٱنتدب للرَّد علىٰ إفكه أتباع الرسل، ومنهم العلاَّمة عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ، في مؤلف سمَّاه «كشف ما ألقاه إبليس من البَهْرَج والتلبيس علىٰ قلب داود بن جرجيس»، بيَّن فيه زيف أضاليله وتزويره، بل منهم من ألف يحسن عبادة الكواكب

ـ والعياذ باللَّه ـ كمصنف الرازي الموسوم بـ«السر المكتوم في عبادة الكواكب والنجوم».

يقول شيخ الإسلام ٱبن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ **تعالىٰ** ـ ما لفظه: «وأبلغ من ذلك، أنَّ منهم ـ يعني: علماء الكلام الذين ٱنتكسوا بسببه ـ **من يصنف في دين المشركين والردَّة عن الإسلام**، كما صنَّف الرازي كتابه في «عبادة الكواكب»، وأقام الأدلة علىٰ حسن ذلك ومنفعته ورغب فيه، **وهذه ردَّة عن الإسلام بٱتفاق المسلمين**.» [مجموعة الفتاوىٰ ١٨/ ٣٤ ط/ جـ ٥٥ ط/ ق].

فالمؤلفات التي تدعو إلىٰ ٱستحسان الزائفات، لا يقدم عليها إلَّا من طمس اللَّه ـ تعالىٰ ـ بصيرته وأعماه عن نور الوحي، كيف وهو يدعو ويلبّس ويدلّس ليكون الشّرك الجسيم هدىٰ مستقيم؟! وهذا لا يختص بما تفعله القبورية فقط، بل بما يفعله الذين تألهوا القوانين الوضعية، ينفذونها في الرَّعية، فلقد أصبحت «الديمقراطية» الدّين الجديد الذي ينعق لأجله دعاة السُّوء؛ فكما كانوا يقولون بالأمس: الإشتراكية من الإسلام ـ والعياذ باللَّه ـ ، أصبحوا يقولون اليوم: الديمقراطية من الإسلام؛ يلوون أعناق النصوص تحريفًا لأجلها؛ حتَّىٰ تستحسن من طرف الجهال وتصبح سائغة.

والباطل إذا ردِّد بكثرة علىٰ الألسنة، ولا يجد من يبطله ويردّه يصبح بعد فترة سائغًا، لأنَّ القلوب تألف ما يردّد بكثرة، وهنا تكمن الخطورة، ومن هنا تعلم سرّ بعض الإذاعات التي تدعو إلىٰ حرية التعبير؛ وتتبنىٰ «الرأي والرأي الآخر» بزعمها، تسهّل بجهلها أو بقصدها ذلك؛ أن

تصف الدَّولة اللَّقيطة ـ اليهودية المزعومة ـ بـ«إسرائيل»، كأن تقول: فعلت إسرائيل، قتلت إسرائيل، حطَّمت إسرائيل، وهلمَّ جرًا؛ لتصبح بعد فترة هذه الدَّولة اللَّقيطة ـ سائغة ـ ، وكأنَّ الدَّولة لها أصل، وإنما ٱعتدت علىٰ غيرها فقط.

فالخطورة تكمن في ترديد الشائعات لتصبح بعد فترة سائغات، فعلىٰ كل من أوتي شيئًا من الفهم، أن يكشف هذا التلبيس ولا يداهن، وليعلم أنَّ الرَّد علىٰ المخالف من أصول الإسلام، وإلَّا أهلك الأنام، فهذه وظيفة جهادية، عَلَمها إقامة التوحيد، وإزالة الشّرك والنَّديد، والنَّد سواء كان قبرًا، أو حجارةً، أو شجرةً، أو قانونًا وضعيًا.

يقول شيخ الإسلام ٱبن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ ما لفظه: «فالمرْصَدُون للعلم، عليهم للأمة حفظ علم الدّين، وتبليغه، **فإذا لم يبلغوهم علم الدّين، أو ضيعوا حفظه، كان ذلك من أعظم الظلم للمسلمين**؛ ولهذا قال ـ تعالىٰ ـ : ﴿ **إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ** ﴿١٥٩﴾ ﴾ [البقرة]، **فإنَّ ضرر كتمانهم تعدىٰ إلىٰ البهائم، وغيرها، فلعنهم اللاَّعنون، حتَّىٰ البهائم.**» [مجموعة الفتاوىٰ ٢٨/ ١٠٦ ط/ جـ ١٨٧ ط/ ق].

فنور العلم يحيي قلوب العباد، ويخرج ويزهر بواطن البلاد، وقد جذبني سرّ ما ذكره شيخ الإسلام ٱبن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ في الكتمان، ومنه: «... **فإنَّ ضرر كتمانهم تعدىٰ إلىٰ البهائم، وغيرها، فلعنهم اللاَّعنون، حتَّىٰ البهائم**».

فلقد رأيت في هذا العيد الأضحىٰ الذي ٱختلف في تعيينه عدَّة

بلدان ـ نسأل اللَّه العافية ـ[(١)] علىٰ نشرة المرياء، أنَّ بعض الناس في «الجزائر» ـ العاصمة ـ يلتقون في حلبة مع كباشهم ويحرّشوا بينها؛ ليروا من الأقوىٰ فيصفقون عليه، وينعتون أنَّ كبش فلان بطلٌ، ومما زاد الطين بلَّة، أنَّ مراسل تلك الإذاعة قال للفاعلين وللمشاهدين، ينبغي للدولة أن تشجع تلك المسابقة، فسمَّىٰ التحريش بين البهائم مسابقة ـ والعياذ باللَّه ـ.

فإذا كتم العالم ما علمه من النهي في التحريش بين البهائم أو وسمها، فكيف لا تلعنه وهو كاتمٌ؟! ولا أقول هو مجوزٌ ما يألمها ويضرها للإتعاب ومجرد العبث.

عن ٱبن عباس ـ رضي اللَّه عنهما ـ أنه قال: «نهىٰ رسول اللَّه ﷺ عن التحريش بين البهائم» [رواه أبو داود والترمذي].

ويقول عليه الصلاة والسلام: «**لا تتخذوا شيئًا فيه الروح غرضًا**» [رواه الجماعة إلَّا البخاري].

وعن جابرٍ رضي الله عنه أنه قال: «نهىٰ رسول اللَّه ﷺ عن ضرب الوجه وعن وسم الوجه» [صحيح سنن الترمذي رقم ١٧١٠].

لأنَّ «الألم» و«اللَّذة»، و«قضاء الشهوة»، و«الغضب» و«الرضىٰ»، يشترك في إحساسها «الإنسان» و«البهيمة»، وإنما فضل الإنسان عليها بالعقل، وإذا حرمه ٱستوىٰ هو وهي في «البهيمية»، ولهذا قال اللَّه ـ تعالىٰ ـ: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ

(١) عيد الأضحى لسنة «١٤٢٨هـ» الموافق لسنة «٢٠٠٧م».

﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾ [الفرقان].

والأنعام سبّحت للَّه ـ تعالىٰ ـ ولا حرج عليها إذا فعلت ما يناقض العقل، لأنها لم توهبه، ولا تكليف عليها، إنما هداها اللَّه ـ تعالىٰ ـ للمراتع، **فإذا ٱنعدم سمع وعقل الفقه، بقي البهيمي الحسّي الذي يشترك هو والبهيمة فيه**، فتدبر هذا وٱحفظه يا طالب العلم، يتبيّن لك الفرق بين «الإنسانية» و«البهيمية»، ولهذا مثّل اللَّه ـ تعالىٰ ـ كاتم العلم كالكلب: **﴿إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث﴾** [الأعراف: ١٧٦].

فٱحذر يا طالب العلم؛ الجاد في تحصيله، وٱعلم أنَّ اللَّه ـ تعالىٰ ـ ٱستخلفك في الأرض؛ **لتصلح ما أفسد جنس البهائم، الذين لا سمع ولا عقل لهم، مع وجود الحسّي لهم**، أن تلقىٰ اللَّه ـ تعالىٰ ـ مداهنًا في دينه، أو مقصرًا في جهاد أعدائه، سواء كانوا قبورية أو أصحاب قوانين وضعية أو أعداء تقليدية ـ يهودًا ونصارىٰ ـ أو متزلّفة مداهنة لهم، **وللشيطان وأعوانه غرضٌ في المداهنة؛ لأنها وسيلة إلىٰ السلم ووضع الحرب بين الطائفتين ـ المحقَّة والمبطلة ـ ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾﴾** [القلم]. ومعناه: ودُّوا لو ترخِّص لهم فيرخِّصون، أو تلين في دينك فيلينون في عبادتهم وإلهيتهم الباطلة، لأنَّ الدَّهن يلين الأشياء.

وَثَمُودُ لَوْ لَمْ يُدْهِنُوا فِي رَبِّهِم ... لَمْ تَدُمْ نَاقَتَهم بِسَيْفِ قُدَارِ

أما إذا كان العالم أو طالب العلم كاذبًا في العلم ليجوِّزه، وغالبًا ما يكون ذلك بقياسٍ فاسدٍ أو تعليلٍ باردٍ كما نشاهده اليوم؛ من هذا الصّنف الخبيث الذي يلوي في الحديث، ويفتات في مقاصد التنزيل،

ليضل عن السبيل، ليس يلعنه اللاعنون والبهائم فحسب، بل العباد وما دبَّ فوق البلاد، لأنه عينُ الفساد الذي تعيّن قلعه. ولا يكون ذلك إلَّا بالمجالدة، لأنَّ المجادلة تكون للذي يريد الحقّ فأضله؛ بنظرة قاصرة، أو شبهة باهرة.

يقول شيخ الإسلام ٱبن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ ما لفظه: «وكذلك كذبهم في العلم ـ يعني: المرْصَدُون للعلم وحفظ الدّين ـ من أعظم الظلم، **وكذلك إظهارهم للمعاصي والبدع التي تمنع الثقة بأقوالهم، وتصرف القلوب عن ٱتباعهم، وتقتضي متابعة الناس لهم فيها، هي من أعظم الظلم، ويستحقون من الذم والعقوبة عليها ما لا يستحقه من أظهر الكذب والمعاصي والبدع من غيرهم**؛ لأنَّ إظهار غير العالم ـ وإن كان فيه نوع ضرر ـ **فليس هو مثل العالم في الضرر الذي يمنع ظهور الحقّ، ويوجب ظهور الباطل، فإنَّ إظهار هؤلاء للفجور والبدع بمنزلة إعراض المقاتلة عن الجهاد، ودفع العدو، ليس هو مثل إعراض آحاد المقاتلة، لما في ذلك من الضرر العظيم علىٰ المسلمين.**

فترك أهل العلم لتبليغ الدّين، كترك أهل القتال للجهاد، وترك أهل القتال للقتال الواجب عليهم، كترك أهل العلم للتبليغ الواجب عليهم، **كلاهما ذنبٌ عظيمٌ وليس هو مثل ترك ما تحتاج الأمة إليه، مما هو مُفَوض إليهم، فإنَّ ترك هذا أعظم من ترك أداء المال الواجب إلىٰ مستحقه، وما يظهرونه من البدع والمعاصي التي تمنع قبول قولهم، وتدعو النفوس إلىٰ موافقتهم، وتمنعهم وغيرهم من إظهار الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، أشد ضررًا للأمة عليهم من إظهار**

غيرهم لذلك.

ولهذا جبل اللَّه قلوب الأمة علىٰ أنها تستعظم جبن الجندي، وفشله، وتركه للجهاد، ومعونته للعدو أكثر مما تستعظمه من غيره، وتستعظم إظهار العالم الفسوق والبدع، أكثر مما تستعظم ذلك من غيره، بخلاف فسوق الجندي وظلمه وفاحشته، وبخلاف قعود العالم عن الجهاد بالبدن.» [مجموعة الفتاوىٰ ٢٨/ ١٠٦، ١٠٧ ط/ جـ].

ياليت يتدبَّر ويتمعَّن في قوله رَحِمَهُ اللَّهُ ـ تعالىٰ ـ هؤلاء الذين يدَّعون محبته، ويذودون عن منهجه، ويدعون إلىٰ المحافظة عليه، هؤلاء ـ الذين تشبَّهوا بالعلماء وطلاَّب العلم ولم يذوقوا طعمه ـ ؛ وإن أكثروا من جمعه، أنَّ نجاة العالم أو طالب العلم في الصدعان، والبعد عن التلبيس والخذلان.

فإذا تدبَّرت ـ رحمك اللَّه ـ كلام شيخ الإسلام وقدوة الأنام، علمت صبر العلماء وطلاَّب العلم اليوم ـ وهم قلَّة قليلة لكن حجة كبيرة ـ علىٰ السجون والتعذيب والنفي وهجر الأوطان، علىٰ موافقة أهل الباطل أو الإذعان، أو حتَّىٰ لين الكلام أو بعض الإدهان.

كما أوصي نفسي ومن عرفت ممن يسلكون نهج السلفية الشَّرعية، الصبر علىٰ طريق خير البرية، **وليعلموا أنَّ القلوب أوعيةٌ وجوَّالةٌ، فأعلاها من يجول حول العرش؛ وأدناها بل قذرها من يجول حول الحش**[1]، ولم أجد وصية أعظم جمعًا وأوضح مسلكًا، وأعزّ فائدة

(١) قلت: قعوده وقومه وصوله وإتعابه حول دنيا يصيبها، أو ثروة يحكمها؛ لمستقبل الأولاد، وما علم أنَّ مستقبل الأولاد؛ إن كان له أولاد، هو تعليمهم ما أمر ربّ العباد؛ ليكونوا خلفة←

من وصية العلاَّمة «عبداللَّطيف بن عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ» رَحِمَهُ اللَّهُ ـ تعالىٰ ـ يوصي بها الشيخ «حمد بن علي بن عتيق» رَحِمَهُ اللَّهُ ـ تعالىٰ ـ ؛ أوصي بها نفسي، ومن تجول قلوبهم حول «العرش».

يقول العلاَّمة عبداللَّطيف بن عبدالرحمن بن حسن بن محمد ٱبن عبدالوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ ـ تعالىٰ ـ ما لفظه: «وقد عرفت حال أهل وقتك من طلبة العلم، **وأنهم ما بين مجاهرٍ بإنكار الحقّ قد لبس عليه أمر دينه، أو مداهنٍ مع هؤلاء ومع هؤلاء، غاية قصده السلوك مع الناس وإرضاؤهم، أو ساكتٍ معرضٍ عن نصرة الحقّ ونصرة الباطل، يرىٰ الكفّ أسلم، وأنَّ هذا الرأي أحكم. هذا حال فقهاء زماننا ، فقل لي من يقوم بنصر الحقّ وبيانه، وكشف الشبه عنه ونصرته، إذا رأيت السكوت والصفح.**» [عيون الرسائل والأجوبة عن المسائل ٢/ ٩٣٥].

فأقول للذين نصبوا العداء لهذه الزمرة الزكية ـ وسمَّوهم «خوارج ثورية» ـ ؛ ليرضوا أصحاب الدَّنية، أنَّ هذه وظيفة الرسل وأتباعهم من

ونباتًا طيّبًا لخير سلف، ولقد شبّه النبي ﷺ من كان همّه الدُّنيا ـ يصيبها أو يجمعها ـ ؛ بأبلغ عبارة وأوضح إشارة، ذلك لمن ﴿ **لَهُۥ قَلۡبٌ أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ وَهُوَ شَهِيدٞ** ﴿٣٧﴾ ﴾ [ق].

يقول عليه الصلاة والسلام : «**إنَّ الله يبغضُ كلّ جعظريٍّ جوَّاظٍ، سَخابٍ في الأسواق، جيفةٍ بالليل، حمارٍ بالنهار، عالمٍ بالدنيا، جاهلٍ بالآخرة.**» [صحيح الجامع الصغير وزيادته رقم ١٨٧٨].

الجعظري: الفظ الغليظ المتكبر. والجواظ: الجموع المنوع «النهاية مادة جعظر ومادة جوظ».

فالخوف على الذرية، والأولاد الضّعاف، لا يكون إلَّا بما أرشد الله ـ تعالى ـ إليه بقوله: ﴿ **وَلۡيَخۡشَ ٱلَّذِينَ لَوۡ تَرَكُواْ مِنۡ خَلۡفِهِمۡ ذُرِّيَّةٗ ضِعَٰفًا خَافُواْ عَلَيۡهِمۡ فَلۡيَتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡيَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدًا** ﴿٩﴾ ﴾ [النساء]. فالحفظُ مكنونٌ في التقوى، وقول الحق في النفس، وإعمال الحق في النفيس، ليجد الذي لا يسأل الناس إلحافًا التنفيس، وأعظمه وأزكاه ما كان على مَن على الثغور، يصون الملَّة، ويحمي الحزوة، فصائنُ العلم، وكاويُّ العدو بالميسم، هم أصحابه وأولى به من كلّ أحد، فٱحفظ هذا وتدبَّر؛ يا صاحب البصر.

الرجال، الذين خاضوا الصعاب والحروب السّجال، وراغموا الأعداء بالحجة والبيان، أو السيف والسنان، أنهم علىٰ بيّنةٍ من ربهم، وما ٱستوحشوا، ولا داهنوا، ولا يئسوا، ولو خالفتهم الخليقة كلهم، **وأنَّ فقهكم فقه الجروب والمزاود، ولقاطات الموائد، لا يُعتد بقولكم؛ لأنَّ معظمكم مجروح العقيدة أو الأخلاق**، ويأبىٰ اللَّه إلَّا ما أراد. ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢١﴾﴾ [يُوسُف].

فنقول لأدعياء العلم:

يَا بَارِيَ القَوْسِ بَرْيًا لَسْتَ تُحْسِنُهَا لَا تُفْسِدُهَا وَاعْطِ القَوْسَ بَارِيهَا

ونقول لأشباه الرجال:

أَكُلَّ امْرِىءٍ تَحْسبِينَ امْرءًا وَنَارٍ تُوقَدُ فِي اللَّيْلِ نَارًا

ونقول للذي ٱنخدع بالمظاهر أو بالذين تزيوا بزيِّ أهل العلم وطلاَّبه، وٱنتصبوا في المدارس يقتاتوا منها من غير غيرة لدين اللَّه، ولا نصرة لأوليائه:

لَا تَخْدَعَنَّكَ اللِّحَى وَالصُّوَرُ تِسْعَةُ أَعْشَارِ مَنْ تَرَى بَقَرُ

فِي شَجَرِ السَّرْوِ مِنْهُم مَثَلٌ لَهَا رُوَاءٌ وَمَا لَهَا ثَمَرُ

ونقول للذين جمعوا ولم ينتفعوا بما جمعوا، وإذا نعقوا ٱستجاب لهم أصحاب سجيَّتهم:

زَوَامِلُ الأَسْفَارِ لَا عِلْمَ عِنْدَهُم بِجَيِّدِهَا إِلَّا كَعِلْمِ الأَبَاعِرِ

لَعَمْرُكَ مَا يَدْرِي البَعِيرُ إِذَا غَدَا بِأَوْسَاقِهِ أَوْ رَاحَ مَا فِي الغَرَائِرِ

وقد وصفهم اللَّه ـ تعالىٰ ـ بأبلغ قولٍ وأوجزه: ﴿كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ﴾ [الجُمُعَة: ٥].

فهذا حال كل من علم ولم يعمل، فكيف بمن دلَّس ولبَّس في العمل؟!!

***

«الدَّلِيلُ الثَّانِي»

قَوْلُ ٱللَّهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾﴾ [البقرة].

فأخبر تعالىٰ: أنَّ الكفار لا يزالون يقاتلون المسلمين حتَّىٰ يردُّوهم عن دينهم إن ٱستطاعوا. ولم يرخّص في موافقتهم خوفًا علىٰ النفس والمال والحرمة، بل أخبر عمَّن وافقهم بعد أن قاتلوه ليدفع شرهم أنه مرتدٌّ. فإن مات علىٰ ردَّته بعد أن قاتله المشركون، فإنه من أهل النار الخالدين فيها. فكيف بمن وافقهم من غير قتال؟!. فإذا كان من وافقهم بعد أن قاتلوه، لا عذر له. عرفت أنَّ الذين يأتون إليهم ويسارعون في الموافقة لهم من غير خوفٍ ولا قتالٍ أنهم أولىٰ بعدم العذر، وأنهم كفَّارٌ مرتدُّون.

الشَّرح:

بدأ المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ في هذا الدَّليل، بهذه الآية لما فيها من تنبيهٍ وتحذيرٍ؛ من قصَّر في مراعاته قاده إلىٰ عذاب السَّعير، فأخبر المولىٰ ـ سبحانه وتعالىٰ ـ في الآية الكريمة، أنَّ الكفار علىٰ ٱختلاف نحلهم، وبعد ديارهم، والتَّوسعة في معيشتهم، أو التَّردي في أوضاعهم، أنَّ غايتهم الأولىٰ، وشعارهم الأوحد، قتال المسلمين علىٰ توحيدهم اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ وبعدهم عن الشّرك، فقوله ـ تعالىٰ ـ: «وَلَا يَزَالُونَ

﴿يُقَٰتِلُونَكُمْ﴾ يدل علىٰ فرط عداوتهم ودوامها وٱستمرارها، فهم حمقىٰ في هذه العداوة.

فقوله ـ تعالىٰ ـ : «﴿حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ﴾»، فهذه تفيد الغاية من قتالهم للمؤمنين، ومن الجهابذة من قال: تفيد التعليل، لما في ذكر الحامل من قوَّة، فسواء كانت «حَتَّىٰ» تعليلية أو غائية، فالمقصدُ واحدٌ هو الردَّة عن الدّين، لأنَّ النقمة من هذا القتال، هي الإيمان باللَّه وحده، والنَّفي عنه الشريك، يدل علىٰ ذلك قوله ـ تعالىٰ ـ : ﴿وَمَا نَقَمُواْ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ٨﴾ [البروج]، وقال ـ تعالىٰ ـ حاكيًا قول السَّحرة ـ الذين آمنوا بربهم ـ : ﴿وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا﴾ [الأعراف: ١٢٦].

فهذا هو السببُ الحقيقيُّ لقتالهم لنا، والتنكيل بنا، وهذه الآية الكريمة التي أظهرت غاية قتالهم، تبطل قول مَن قال: يقاتلوننا من أجل المال، أو الأرض، أو ما في باطن الأرض من كنوز، وإن كان هذا من ضمن طمعهم لاشكّ في ذلك، لكن ليس هو الغاية، أو العلَّة.

بل أخبر ـ تعالىٰ ـ أنَّ إنفاقهم لا يكون إلَّا لأجل الصَّد عن سبيل اللَّه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَۗ﴾ [الأنفال: ٣٦].

فأخبر ـ تعالىٰ ـ بـ« إِنَّ » المؤكدة التي تفيد الحال والمستقبل، وهذه تدل علىٰ ٱستمرارية قتالهم إلىٰ يوم الدّين، «ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ» ٱسمٌ موصولٌ يدل علىٰ كل كافر أيٍّ كانت نحلته التي ينتحلها، وإن كانت النحلة اليهودية أخذت بحظٍ وافرٍ، ودخلت في هذا الاسم الموصول

من كل جهاته؛ لفرط عداوتهم وكبرهم وٱستنكافهم عن الحقّ؛ فعاقبهم المولى ـ سبحانه وتعالىٰ ـ بالذلَّة، وسَوْمِ العذاب إلىٰ يوم القيامة. **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿**وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ**﴾ [الأعراف: ١٦٧]، فهذه عاقبة كل متكبر جبَّار.

فقوله ـ تعالىٰ ـ «**يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ**» بياء المضارع؛ «**لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ**» بـ«لام» التعليل والغاية، ثم أخبر ـ تعالىٰ ـ بقوله «**فَسَيُنفِقُونَهَا**» بـ«سين» الاستقبال؛ وهذا دأب حزب الشيطان إلىٰ قيام الساعة، أن يسوِّل لهم داعيتهم إلىٰ دار البوار، ويزين عملهم هذا؛ بأنهم سيظفرون بغايتهم، لكن هيهات، هيهات، أن يكون ذلك، **فحزب الرحمن لهم بالمرصاد، يفتح البلاد، ويدوّخ العباد، ويجهز علىٰ عقيدة الشّرك والأنداد**، ثم أعقبها اللَّه ـ تعالىٰ ـ بـ«**ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً**»؛ **لأنَّ الإنفاق ليعشعش الكفر والنفاق شاق، كالبذر في الهواء والحرث في الماء، فهو حسرة علىٰ من ٱنفق، وعلىٰ من أُنفق عليه**، وهذا ما سجَّله لنا التاريخ، وما نشاهده اليوم من الحلف اللَّدود ـ «اليهوصليبي» ـ.

فكم من مليارات الدولارات أنفقت لطمس معالم الدّين في «أفغانستان» و«العراق» و«الشيشان» و«الصومال» فلم تحقق شيئًا من ذلك، بل شاهدنا الحلف اللَّدود ينحصر ويتقهقر ـ قطع اللَّه دابره، وجعل جهنَّم ثابره ـ.

فلقد لاحت البشائر، وأخرج مكنون الضمائر، وكل ذلك تذكرة وموعظة، وليعلم الصادق من الكاذب، وتلك هي حكمة اللَّه ـ تعالىٰ ـ في خلقه لتبتلىٰ السرائر، ثم قال ـ تعالىٰ ـ بعد ذلك: «**ثُمَّ يُغْلَبُونَ**»،

وهذا وعد من اللَّه ـ تعالىٰ ـ، أنه لا يكون إلَّا ما أراد وما كتبه ﴿لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ﴾ [المجادلة: ٢١]، والآيات في نصر حزب الرحمن، وإسكات حزب الشيطان كثيرة، ومنها قوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ ٥١﴾ [غافر]، و«لام التأكيد» دخلت علىٰ نصرين مؤكدين، **نصر الإرغام والإذلال للكفر حيث كان في الدُّنيا، ونصر الآخرة في حشرهم إلىٰ دار البوار، جهنَّم يصلونها وبئس القرار**، والنصر للرسل وأتباع الرسل.

فمن تدبر حال «ثُمَّ» في الموضعين، علم حكمة اللَّه ـ تعالىٰ ـ البالغة، أنَّ ذلك يكون بعد فتنةٍ وتمحيصٍ تصيب «الجسد» و«المال»، ليتميَّز الصادق من الكاذب، وذلك قوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ١١﴾ [الحج]، وقوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِيَ فِي ٱللَّهِ جَعَلَ فِتۡنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصۡرٞ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمۡۚ أَوَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٠﴾ [العنكبوت].

فلم يجعل اللَّه ـ تعالىٰ ـ بدل «ثُمَّ» «الفاء» التي تفيد الترتيب والتعقيب، وإنما بـ«ثُمَّ» التي تفيد التراخي بين الزمانين؛ **زمن الإنفاق والحسرة، وزمن القهر والدَّحر وظهور النَّكسة، وبين الزمانين، بلايا ومحن، وظهور أسرار وإحن، تُظهر من كان همّه ظهور دولة الإسلام، وسحق عروش الكفر والطغيان، ومن كان تعبه وصوله لإمارةٍ أو منصب شرفٍ، أو إصابة ينبوع مالٍ للسَّيلان، وشتَّان وما بينهما.**

أما قول اللَّه ـ تعالىٰ ـ : «﴿عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟﴾»، **فهذه علَّة وغاية القتال، ما ٱستمر الحال**، وإذا كانت هذه هي الغاية فلا يرجىٰ فيها فترة، فضلاً عن مودَّة، والصلح بيننا وبينهم لا يكون إلَّا عن إذلالٍ لهم، ومتىٰ ٱستقووا علينا عادوا لما بيَّنته هذه الآية الكريمة، ولهذا قيل:

كُلّ العَدَاوَاتِ تُرْجَىٰ مَوَدَّتها إِلَّا عَدَاوَة مَن عَادَاكَ فِي الدِّينِ

يقول شيخ الإسلام ٱبن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ ما لفظه: «**فقد عرف أهل الخبرة أنَّ أهل الذمة من اليهود والنصارىٰ والمنافقين يكاتبون أهل دينهم بأخبار المسلمين، وبما يطَّلعون علىٰ ذلك من أسرارهم**، حتَّىٰ أخذ جماعة من المسلمين في بلاد التتر وسبي، وغير ذلك؛ بمطالعة أهل الذمة لأهل دينهم.

ولهذا وغيره مُنعوا أن يكونوا علىٰ ولاية المسلمين، أو علىٰ مصلحة من يقويهم، أو يفضلهم عليهم في الخبرة والأمانة من المسلمين، **بل ٱستعمال من هو دونهم في الكفاية أنفع للمسلمين في دينهم ودنياهم، والقليل من الحلال يبارك فيه، والحرام الكثير يذهب، ويمحقه اللَّه ـ تعالىٰ ـ .**» [مجموعة الفتاوىٰ ٢٨/ ٣٥١ ط/ جـ٦٤٦ ط/ ق].

فإذا كان هذا حالهم وهم أهل ذمَّة وأذلَّة، فكيف إذا كانوا أهل قوَّة، وصولة، وجولة؟! الخراب والدَّمار، أين ما كان للإسلام أمصار، ويزداد الطِّين بلَّة، إذا كانوا ذا قواعد عسكرية في ديار الملَّة، كما هو مشاهدٌ وعيانٌ، وهذا ما يفعله اليوم النصارىٰ في «العراق» و«لبنان» مع حلفهم، **فلم يبقوا أهل ذمة، بل جعلهم الحاكم الذي كره ما أنزل اللَّه فأحبط اللَّه عمله، أهل صولة، وقوَّة، وتدبير، يتحصَّن بهم لحماية**

كرسيه، لكن علىٰ حساب دينه، وشرفه، وعزَّته، وهذا البلاء والعار والشَّنار، في مساعدة ظهور الفجَّار، **فأبىٰ اللَّه ـ تعالىٰ ـ إلَّا أن يذلهم بهم، ولسان الحال أبلغ من لسان المقال،** فللَّه المشتكىٰ من هذه الغربة.

ومن قال هذه ٱستعانة؛ ممَّن لبس طيلسان الفتيا ووضع العمامة، فقد لبَّس وجوَّز الإهانة، وسوف نتطرق لذلك إن شاء اللَّه ـ تعالىٰ ـ في موضعه ليُبسط؛ فلعلَّة في قبله، فسدت عقيدته، وهذه الحالة العمىٰ.

وَالشَّمْسُ إِذَا خُفِيَتْ عَلَى ذِي مُقْلَةٍ
نِصْفَ النَّهَارِ فَذَاكَ مَحْصُولُ العَمَى

فقوله ـ تعالىٰ ـ : «إِنِ ٱسْتَطَٰعُواْۚ» يفيد الشكّ في ٱستطاعتهم، وذلك ٱستبعاد، كقول الرجل لعدوّه: إن ظفرت بي فلا تبقي عليَّ، وهو واثقٌ بأنه لا يظفر به، **فمن باشر الإيمان قلبه، ٱنفصمت شهوته، وقلَّت عثرته، وٱنقطع إلىٰ عبادة ربه، وهنا مكنون الصَّلابة الإيمانية، فالإيمان إذا باشر القلوب، سدَّت الثقوب، ومحاولة الكافر والشيطان المارد، لمن تبشبش قلبه بذلك، كالضرب في الحديد البارد.**

أما قوله ـ تعالىٰ ـ : «**وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ**».

فهذا تحذير من اللَّه ـ تعالىٰ ـ علىٰ المصير المشؤوم، وهو الردَّة والانقلاب علىٰ العقب ـ والعياذ باللَّه ـ ؛ وذلك بناقضٍ يبطل إسلامه، ويكون بـ«الاعتقاد» أو «القول» أو «العمل»، لدخول العمل في مسمَّىٰ الإيمان دخول حقيقة وجزئية لا يصح إلَّا به؛ عند أهل السنَّة والجماعة

ـ الموسومين اليوم بالسلفية الشَّرعية ـ حتَّىٰ يخرج الذين ٱنتسبوا إليها بالزَّيفية.

ففي الآية الكريمة بيانٌ لحكمين ٱثنين مختلفين، «حكم الردَّة» و«حكم الموت علىٰ الردَّة». فلكل منهما حكمه.

ولاشكَّ أنَّ حكم الردَّة حبوط العمل العام، لكن من العلماء من علَّق حبوط العمل علىٰ الموافاة علىٰ الكفر، وبهذا قال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وحجته أنه ٱجتمع في الآية مطلقٌ ومقيَّدٌ، فتقيد المطلق بـ«**فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ**»، وما قاله ليس راجحًا، لأنَّ هناك عدَّة آيات رتَّبت حبوط العمل علىٰ مجرد الكفر، ومنها قوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿**وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ**﴾ [المائدة: ٥]، وقوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿**وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾**﴾ [الأنعام]، وقوله: ﴿**وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلْـَٔاخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ**﴾ [الأعراف: ١٤٧]، وقوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿**لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ**﴾ [الزمر: ٦٥]. فالسببُ مستقلٌ بالسَّببية.

ففي الآية الكريمة شرطان ترتب عليهما شيئان:

الشرط الأول: «هو الردَّة»: وترتب عليها حبوط العمل.

والشرط الثاني: «الموافاة علىٰ الكفر»: وترتب عليها الخلود في النار، وإلىٰ هذا ذهب مالكٌ وأبو حنيفة رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ، فالمرتد إذا كان متزوجًا ٱنفسخ نكاحه، ولا يثبت إلَّا بعقدٍ جديدٍ، فكذلك الأعمال الأخرىٰ تستأنف[١]، ومن قال بهذا ألزم المرتد إذا رجع إلىٰ الإسلام

---

(١) ٱنظر «أحكام القرآن ١/ ٢٠٧، ٢٠٨» لابن العربي رَحِمَهُ ٱللَّهُ. و«الذخيرة ١/ ٢١٧» للقرافي رَحِمَهُ ٱللَّهُ و«تبيين المسالك شرح تدريب السالك إلى أقرب المسالك ٤/ ٤٧٧، ٤٧٨» لعبدالعزيز ←

إعادة الحج.

■ فقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ : «**أنَّ الكفار لا يزالون يقاتلون المسلمين حتَّىٰ يردُّوهم عن دينهم إن ٱستطاعوا. ولم يرخّص في موافقتهم خوفًا علىٰ النفس والمال والحرمة**».

وهذا ما يفعله أعداء الملَّة الحنيفية اليوم؛ في عدَّة أمكنة؛ وعلىٰ محورين، **محور القوة والمواجهة بالحديد والنار ـ لإحلال الكفر الديمقراطي ـ، ومحور التشكيك في الدّين، ونصب المرتدين العلمانيين علىٰ رقاب المسلمين**، وحفظ الدّين مقدَّمٌ علىٰ حفظ «النفس» و«المال» و«الحرمة»، بل به تحفظ الثلاث وتصان، وفي موافقة الكفار ذهاب الدّين وتوابع ذلك.

فهل حرمة «العرض» محفوظة عند الكفرة الفجرة؟!!

فها هي الإباحية الكفرية اليوم تبيح الزنىٰ، وذلك فساد الأرحام، وٱختلاط الأنساب، ويدخل في الميراث من لا حقّ له، ولقد ٱشتكىٰ من ذلك الكفار أنفسهم اليوم، فكيف بالمسلم؟!!

وهل حرمة «النفس» محفوظة عند الكفرة الفجرة؟!!

فها هي التجارب الكمياوية وما شابهها، تفتك بالنفوس وتتَّخذها غرضًا، فلقد شاهدنا وسمعنا عن أطباء يقتلون مرضاهم بالشرنقات تلذذًا بذلك، فأين الوازع الإيماني في الكفرة الفجرة الذي يمنع ذلك؟!

وهل حرمة «العقل» محفوظة عند الكفرة الفجرة؟!!

فها هي عقولهم الممسوخة بالإلحاد والتمرد علىٰ فطرة العباد،

حمد آل مبارك الإحسائي.

تفتك بالعقول السليمة، وتخرجها عما أنشأت لأجله، إنما هي أهواء معبودة من دون اللَّه ـ تعالىٰ ـ، ﴿ **وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ** ﴾ [القصص: ٥٠].

■ وقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ :«**بل أخبر عمَّن وافقهم بعد أن قاتلوه ليدفع شرهم أنه مرتدٌّ**».

لأنه ٱرتكب ناقضًا من نواقض الإسلام، وهي «المدارة» أو «المداهنة» للعدو الكافر الصائل الجاسّ خلال الدّيار ليفسدها، ويهلك الحرث والنسل، كما هو مشاهدٌ اليوم.

ونعيد القول: أنَّ مقام رسالة «**الدَّلائل**» وما يتكلم به المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ خاص بالعدو الكافر الصائل المجتاح للدّيار، وليس الجاثم في بلده، حتَّىٰ لا نعيد الكلام عن الإكراه، ولقد بسطنا ذلك في مقامه، وأوضحناه بما يغنينا عن الإعادة هـٰهنا.

■ وقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ :«**فإن مات علىٰ ردَّته بعد أن قاتله المشركون، فإنه من أهل النار الخالدين فيها. فكيف بمن وافقهم من غير قتال؟!**».

فقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ : «**فكيف بمن وافقهم من غير قتال؟!**» لا يعني به الذهاب إلىٰ ديارهم، والمجيء بهم إلىٰ ديار المسلمين، وإغوائهم بذلك، وإنما ذلك بعد القتال في الدّيار التي ٱجتاحها العدو الكافر، وهذا القتال يسمَّىٰ «قتال الدَّفع» المتعيّن علىٰ كل مسلم، لأنه قال قبل ذلك رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ : «**بل أخبر عمَّن وافقهم بعد أن قاتلوه ليدفع شرهم أنه مرتدٌّ**»، وهنا قال: «**من غير قتال**».

وإذا تعيَّنت ردَّة هذا، فردَّة الموافق بدون قتالٍ، أظهر وأبين، وما ذكرناه **لتبيين الحال، حتَّىٰ لا يشتبه الهدىٰ والضلال**.

فالمرتد الذي يختم له بالردَّة ـ والعياذ باللَّه ـ مصيره الخلود في النار، يضاعف له من العذاب ضعفين، يختلف حكمه في الدُّنيا والآخرة علىٰ حكم الكافر الأصلي.

فالكافرُ الأصليُّ إذا كان من أهل الكتابين، تؤكل ذبيحته، ويقر علىٰ هواه وما تعبَّد به، بخلاف المرتد، فلا تؤكل ذبيحته، ولا يقر علىٰ ردَّته، وإذا كانت مرتدة لا يصح نكاحها، وإذا مات الكافر دفن في مقابر أهل الذمة، وإذا لم يوجد من يدفنه من أهل ملَّته، جاز للمسلمين موارته مع الغسل بعدها[1]، **أما المرتد، فيلقىٰ علىٰ مزبلة، حتَّىٰ لا يتأذىٰ بريحه أهل القبلة، وأهل الذمة**.

والكافر الأصلي في الآخرة إذا لم تقم عليه الحجة، ولم يأتيه من يبلغه الدَّعوة، قد يُمْتَحن.

عن الأسود بن سريع أنَّ النبي ﷺ قال: «**أربعة يحتجون يوم القيامة: رجلٌ أصمٌ لا يسمع، ورجلٌ هرم، ورجلٌ أحمقٌ، ورجل مات في الفترة.**

أما الأصم فيقول: ربِّ لقد جاء الإسلام وأنا ما أسمع شيئًا. وأما

---

(١) عن علي ـ رضي الله عنه ـ قال: «لما توفي أبو طالب، أتيت النبي ﷺ فقلت: إنَّ عمَّك الشيخ الضال قد مات فمن يواريه؟ قال: **ٱذهب فواره، ثم لا تحدثنَّ شيئًا** ـ وفي رواية ـ **حدثًا حتَّى تأتيني**. قال: لا أواريه؛ إنه مات مشركًا، فقال: **ٱذهب فواره**، قال: فذهبت فواريته، وجئته وعليَّ أثر التراب والغبار، فأمرني فٱغتسلت ـ وفي رواية ـ **ٱذهب فٱغتسل**، ودعا لي بدعواتٍ ما يسرُّني أنَّ لي بهنَّ ما على الأرض من شيءٍ» [صحيح سنن أبي داود رقم ٣٢١٤ والسلسلة الصحيحة رقم ١٦١].

الأحمق فيقول: ربِّ لقد جاء الإسلام والصبيان يحذفونني بالبعر، وأما الهرم فيقول: ربِّ لقد جاء الإسلام وما أعقل شيئًا. وأما الذي في الفترة فيقول: ربِّ ما أتاني لك رسول، فيأخذ مواثيقهم ليطيعنه، فيرسل إليهم رسولاً أن ٱدخلوا النار، قال: فوالذي نفسي بيده لو دخلوها لكانت عليهم بردًا وسلامًا.» [أخرجه أحمد ٤/ ٢٤ وصححه الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ في الصحيحة رقم ١٤٣٤].

هذا في الحكم الأخروي الذي يترتب عليه الثواب والعقاب، لأنَّ هذا مما لا يمكن الدُّخول بين اللَّه ـ تعالىٰ ـ وبين عباده فيه.

أما الحكم الدنيوي؛ من تكفيرٍ، وإباحةٍ للمال والدَّم، وسبيٍّ إذا أمكن، ولعنٍ، وتبشيرٍ بالنار إذا مررنا علىٰ قبره، جاري علىٰ ظاهره، فالأعذار التي ذكرت في الحديث لا تخرجه عن كونه كافرًا، فمن لم يدين بالإسلام فهو كافرٌ. ونحن نقطع ونجزم أنَّ اللَّه ـ تعالىٰ ـ لا يعذّب أحدًا إلَّا بعد قيام الحجة عليه، **قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:** ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾ [الإسراء].

ولقد ٱستوفينا هذه المسألة ـ وأشبعنا القول فيها ـ في كتابنا «**مَنْهَج أَهْلِ السُّنَّةِ فِي تَقْرِيرِ عَقِيدَةِ الأُمَّةِ**»، فليرجع إليه من أراد الاستفاء، فٱحفظ هذا وتدبَّره ـ يرحمك اللَّه ـ **حتَّىٰ لا يتسرب إليك داء الإرجاء الخبيث، فتشكك في كفر الكافر** ـ والعياذ باللَّه ـ ، فصار بما ذكرناه، الكافر الأصلي أحسن حالاً من المرتد في الحكمين؛ «الدُّنيوي» و«الأخروي».

■ وقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ :«**فإذا كان من وافقهم بعد أن قاتلوه، لا**

عذر له. عرفت أنَّ الذين يأتون إليهم ويسارعون في الموافقة لهم من غير خوفٍ ولا قتالٍ أنهم أولىٰ بعدم العذر، وأنهم كفَّارٌ مرتدُّون».

فما قاله المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ حجة ما بعدها إلَّا الضلالة، فإذا كانت موافقة الكافر الجاسّ خلال الديار ـ قتلاً ونهبًا ودعوة إلىٰ التثليث والكفر والإلحاد ـ ، كما هو حاصلٌ اليوم في «العراق» و«أفغانستان» و«الصومال»، ردَّة محبطة للعمل مع الخشية، **قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ**: ﴿ **فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَأَصْبَحُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٥٣﴾** ﴾ [المائدة]، فالمسارعة في الموافقة بدون خشية أولىٰ في الحكم بالردَّة، **فعمله هذا يقوِّي عضد المشركين، ويوهن عزم الموحدين.**

والمرض المذكور في الآية الكريمة: « **فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ** » ليس هو مرض النفاق المتعلق بالتصديق والتكذيب، **وإنما مرض ٱستحباب الدُّنيا علىٰ الآخرة**، وممَّا يبين ذلك بوضوحٍ قولهم الذي ذكره ـ تعالىٰ ـ : «**نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ**» والدَّائرة تصيب «المال» و«النفس» و«الحرمة» إذا غلب الكفار، وعلىٰ ذلك مدار خشيتهم.

يقول شيخ الإسلام ٱبن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ في الآية آنفة الذكر ما لفظه: «والمفسرون متفقون علىٰ أنها نزلت بسبب قوم ممن كان يظهر الإسلام وفي قلبه مرض، **خاف أن يغلب أهل الإسلام فيوالي الكفار من اليهود والنصارىٰ وغيرهم للخوف الذي في قلوبهم، لا لاعتقادهم**

أنَّ محمدًا كاذبٌ، واليهود والنصارىٰ صادقون.» [مجموعة الفتاوىٰ ٧/ ١٢٤ ط/ جـ ١٩٤ ط/ ق].

فلخوفهم علىٰ دنياهم، ظنوا ما قاموا به يجلب لهم منفعة ويدفع عنهم مضرة، فإذا بهم ٱنكبوا علىٰ أنوفهم في حمأة الردَّة، فما قاله شيخ الإسلام ٱبن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ **يعلمه أصحاب الفقه والبصيرة، وصلاح العمل والسريرة، أما الحاطب في الظلماء، والسالك في العمياء، لا يبصره**، كيف وهو مودع نفسه في ظلمتين؛ ظلمة الشبهة، وظلمة مسلكها، وإذا نعق ٱستجاب له المحقّب دينه الرجال؟! **ولقد فضّلت البهيمة التي تقاد، علىٰ المحقّب المنقاد، لأنَّ لا عقل لها.**

وَالعِلْمُ لَيْسَ بِنَافِعٍ أَرْبَابه مَا لَمْ يفدْ نَظَرًا أَوْ حُسْنَ تَبَصُّر

فالآية التي ذكرها المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ في «الدَّليل الثاني» وٱستوفيناها بهذا الشرح، ترد علىٰ من قال: أنَّ الكفار يقاتلوننا من أجل خيرات أرضنا، وعلىٰ من قال: أنَّ مشكلتنا مع اليهود ـ لعنهم اللَّه ـ مشكلة أرض؛ **فمن ٱعتقد ذلك فقد دخل دهليز العمىٰ.**

ألم يعلم أنَّ عداوة الدّين لا ترجىٰ مودّتها؟! فلما منَّ اللَّه ـ تعالىٰ ـ علىٰ الأمة بنعمة التجديد علىٰ يد العلاَّمة «محمد بن عبدالوهاب» رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ، فأوَّل من نصب له العداء أخوه «عبدالرحمن بن عبدالوهاب» **فرابطة الدّم التي بينهما لم تمنع وجود العداوة للتَّباين العقدي.**

يقول شيخ الإسلام ٱبن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ ما لفظه: «وهذا موجود ـ يعني: العداوة لما تبيَّن أنه حقّ ـ في جميع الأمور التي هي حقّ، **يوجد من يعرف بقلبه أنها حقّ وهو في الظاهر يجحد ذلك،**

ويعادي أهله لظنه أنَّ ذلك يجلب له منفعة ويدفع عنه مضرة.» [مجموعة الفتاوىٰ ٧/ ١٢٣ ط/ جـ ١٩٣ ط/ ق].

ما ذكره شيخ الإسلام ٱبن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ، ينطبق علىٰ حال المرتدين اليوم؛ الذين أَوَتهم أوروبا النصرانية الكافرة، كـ«تسنيمة نسرين» البنغالية، و«أيان هرسي علي» الصومالية، فهذه الأخيرة بعدما سبَّت الدّين الإسلامي، وطعنت في أعلامه، لَفَضها المجتمع الهولندي الكافر، وٱتهمها بأنها زوَّرت الأوراق لطلب الإقامة؛ هذا بعدما فعلت فعلتها الخبيثة، وهي عضوةٌ في البرلمان.

فبعدما قضوا منها مآربهم وشهروها علىٰ المحطات الإذاعية، للنَّيل من دين الإسلام؛ دين الأنبياء، والدّين الذي ٱرتضاه المولىٰ ـ سبحانه وتعالىٰ ـ للبشرية جمعاء؛ كفروا بها، وهذه حالة كل مرتد ومرتدة إلىٰ قيام الساعة، كيف والله ـ تعالىٰ ـ يقول: ﴿ **وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ** ﴿١٢٤﴾ ﴾ [طه]؟ **وضنك العيش لكل كافرٍ وإن كسب الدُّنيا بإسرها؛ لا يشم راحة الإطمئنان النفساني ألبتة، فكيف بذلك لو كان مرتدًا محاربًا؟!!**

ولقد ٱستقبلتها «أمريكا الكافرة»، وألفت كتابًا سمَّته «الكافرة» ـ والعياذ بالله ـ تتبجَّح فيه بجرمها الذي فعلته في «هولندا»، وإني لواثق أنها لفي ضنكٍ كما وعد ربنا ـ جلَّ وعلاَ ـ كل مسرف كذاب، فها هو «سلمان رشدي» ـ لعنه الله ـ ذاقت به «الخزينة الإنجليزية» من شدَّة إنفاقها علىٰ حراسته، فإنه ليخاف من ظله، هذا في الدُّنيا، أما في الآخرة إن لم يتوبوا من جرمهم؛ ﴿ **هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ** ﴿٤٢﴾ ﴾ [القصص].

ولقد شاهدنا موجة الردَّة اليوم في «المشرق» و«المغرب» الإسلامي تضخمت وكثر روادها، **بل سهَّلت لهم الحكومات التي تدَّعي الإسلام ـ ولم تعرف ٱسمه ـ كل السُّبل وسمَّت ذلك «حرية المعتقد» كما نشاهده ونفجع به من حين إلىٰ آخر علىٰ «الإذاعات» و«الصحف» و«المجلاَّت»**، وقالت: اللَّه ـ تعالىٰ ـ يقول: ﴿**لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ**﴾ [البقرة: ٢٥٦]. **أَوَ مَا علمت الكارهة لما أنزل اللَّه فأحبط اللَّه ـ تعالىٰ ـ عملها أنها في الكافر الأصلي؛ كالذي سهَّلت سبل تنصيره للدهماء!!**

أما الدُّعاة إلىٰ دار البوار ـ عبَّاد الصليب والأحبار ـ، فلقد أغروا من تقبل قبحهم؛ إن هم ٱرتدُّوا عن دينهم أن يعطوهم قسطًا من المال، ويضمنوا لهم الإقامة في ديار الكفر، ولقد شاهدنا في هذه الديار الدنماركية ـ قطع اللَّه دابرها ـ أنَّ مجموعة من طلاَّب اللُّجوء ـ البطني ـ لا يقل عددها عن مئتين، رفضت الحكومة طلبها؛ فٱرتدت كلّها ـ والعياذ باللَّه ـ، ومنها أحدٌ لعائلة شامية كانت تقيم في «اليمن»؛ فسمَّىٰ نفسه «دجوني»، اللَّهم إنا نعوذ بك من الحَوْر بعد الكور، ولقد تدخل القساوسة لدىٰ الحكومة وأجبروها علىٰ منحهم الإقامة.

وهذا كما قال ٱبن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «**لظنه أنَّ ذلك يجلب له منفعة ويدفع عنه مضرة**»، وإلَّا قل لي بربّك ما هي الجواذب العقدية المقرّرة الأصول الفطرية التي تجذبك إلىٰ «النصرانية» أو «اليهودية»؟!! اللَّهمَّ إلَّا الإباحة البهيمية، والتحلل من الأخلاق، والتَّلذذ بسفسافها.

فها هو النبي ﷺ لما بايعه مَلأُ الأنصار قالوا له: يا محمد إن بايعناك

ونصرناك؛ وسوف تعضنا سيوف العرب قاطبة ـ من أجل ذلك ـ ؛ فما تمنحنا إن فعلنا ذلك؟

فقال لهم ﷺ: **«لكم الجنَّة»** [رواه أحمد وصححه الحاكم وٱبن حبان عن جابر، وٱنظر «فتح الباري» كتاب مناقب الأنصار تحت رقم ٣٨٩٣].

فلم يربطهم بمنصبٍ دنيويٍّ كـ«وزارة» أو «إمارة»، أو «قطعان الإبل والماشية»، بل ربطهم بـ«الآخرة»، فإحسانهم الدُّنيوي، يحصّل لهم الأمن الأخروي، **وهذا سرّ العقيدة الإسلامية التي تبث الروح في نفوس أصحابها ـ ما حلَّت بقلبٍ إلَّا وصقلته، ونظَّفته، وحملته علىٰ معال الأخلاق، وتجنب سفسافها ـ**، ولهذا حكىٰ اللَّه ـ تعالىٰ ـ ما قاله الذين قلوبهم تجول حول العرش علىٰ إنفاقهم: ﴿**إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا** ۝٩﴾ [الإنسان].

فالسَّكنات والخطرات، والصَّولات والجولات، وما أصاب من قراحٍ إنما هو لنيل رضىٰ ربّ العالمين، **قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ**: ﴿**وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ** ۝٨٤﴾ [المائدة]، والصبر علىٰ تلك الأفعال، وتجريدها لوجهه مكيالها عظيم، **قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ**: ﴿**إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ** ۝١٠﴾ [الزمر].

فهل في «النصرانية» و«اليهودية»، بل في كل طرائق الكفر كلّها شيءٌ من ذلك؟!!

فهذا عارضٌ من القول ذكرناه، لنُحقّ كلام شيخ الإسلام ٱبن تيمية في المُعادي للحقّ؛ الذي ورثناه، ونختم هذه الفِقْرة ـ التي أسهمناها بهذا البسط ـ بقوله ـ تعالىٰ ـ : ﴿**فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ**

رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٣٩﴾﴾ [فاطر].

وعداوة كل ذي رحم؛ المخالف لما رسم، وقعه على القلب أشد مضاضة من أيِّ وقعٍ، لهذا قال الشاعر:

وَظُلْم ذَوِي القُرْبَى أَشَدّ مَضَاضَة

عَلَى المَرْءِ مِنْ وَقْعِ الحُسَامِ المُهَنَّدِ

لكن هذه عادة اللَّه ـ تعالىٰ ـ وسنَّته في الحقّ؛ أن يكون له أعداء، **قَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ**: ﴿**وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا**﴾ [الأنعام: ١١٢]، فالسيرة المحمدية مع هؤلاء ومن والاهم من المنافقين من بني جلدتنا؛ **الذين فتحوا للشّرك والإلحاد كل باب، وركن إليهم كل مسرف كذّاب؛ الغلظة، والوقوف لهم علىٰ كلّ مرصدٍ**، ﴿**أَيْنَمَا ثُقِفُوٓاْ أُخِذُواْ وَقُتِّلُواْ تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾**﴾ [الأحزاب].

ومجاهدة هؤلاء، مسألة جلية لا يختص بها طالب العلم، بل كل من له نصيب من نور الفطرة المكمَّلة، ونور الشرعة المنزَّهة، يعرف هذه المسألة ولا تلتبس عليه، **والجهاد ماض إلىٰ يوم القيامة، لا يبطله جور جائرٍ، ولا خور جبان حائرٍ، ولا يشترط لذلك وجود أمير للراية، بل هو سائر، وأما «جهاد الدّفع» فلا يشترط له شرط، ومن قال غير ذلك فقد فرَّط وأفرط.**

يقول شيخ الإسلام ٱبن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ ما لفظه: «**وأما قتال الدّفع فهو أشد أنواع دفع الصائل عن الحرمة والدّين، فواجب إجماعًا، فالعدو الصائل الذي يفسد الدّين والدُّنيا لا شيء أوجب بعد الإيمان**

من دفعه، فلا يشترط له شرط، بل يدفع بحسب الإمكان. وقد نصَّ علىٰ ذلك العلماء أصحابنا وغيرهم، **فيجب التفريق بين دفع الصائل الظالم الكافر وبين طلبه في بلده.»** [الفتاوىٰ الكبرىٰ ٥/٥٣٨ كتاب الجهاد في «كتاب الاختيارات العلمية»].

ولقد ٱشترط الشَّرط بعض المميّعة اليوم ـ أصحاب الأخمرة والطَّيالسة ـ ؛ ليرضوا وَلِيَّ أمرهم ـ زعموا ـ ، فوجدنا قد نفث في روعهم صاحب الضَّرط.

❊ ❊ ❊ ❊

«الدَّلِيلُ الثَّالِثُ»

قَوْلُهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ﴾ [آل عمران: ٢٨].

فنهىٰ ـ سبحانه ـ المؤمنين عن ٱتخاذ الكافرين أولياء وأصدقاء وأصحابًا من دون المؤمنين، وإن كانوا خائفين منهم. وأخبر أنَّ من فعل ذلك: «فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ». أي: لا يكون من أولياء اللَّه الموعودين بالنجاة في الآخرة. «إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ»، وهو أن يكون الإنسان مقهورًا معهم، لا يقدر علىٰ عداوتهم. فيظهر لهم المعاشرة، والقلب مطمئن بالبغضاء والعداوة، وٱنتظار زوال المانع. فإذا زال، رجع إلىٰ العداوة والبغضاء. فكيف بمن ٱتخذهم أولياء من دون المؤمنين من غير عذر، إلَّا ٱستحباب الحياة الدُّنيا علىٰ الآخرة، والخوف من المشركين وعدم الخوف من اللَّه؟!.

فما جعل اللَّه الخوف منهم عذرًا، بل قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [آل عمران].

الشَّرْحُ:

هذه الآية الكريمة التي في هذا الدَّليل؛ قد بسطنا شرحها في «اللَّوحة الثَّانية»، وقلنا إنها تخص المضطر الذي بين أظهر الكفار ـ أعني: في ديارهم ـ، وليس لمن داهم دياره الكفار، فهذا عليه الدَّفع

بما أمكن، **ولا تشترط المثلية في العدَّة، ولا وجود الأمير للقيام بتلك العهدة**، و«المدارة» و«المداهنة» في تلك الحالة هي الردَّة.

ومن لم يستطع الدَّفع نأىٰ وتحيَّز إلىٰ المسلمين، ليقوّي عضد الموحدين؛ ويستجمع قواه ويأتي بالمدد، ليدفع علىٰ من جثم علىٰ دياره علىٰ مضد، **ولا يجوز إقرار الكافر الصائل علىٰ شبر من ديار المسلمين، ومن فعل ذلك فقد خان الدّين والحرمة؛ ودخل الردَّة من بابها الواسع، وسلك بنفسه مسلك الظلمة، وكان علىٰ المسلمين شؤمة، لأنه صار بفعله ذاك مضعف الهمة، والخطب الأكبر، إذا كان تحت ولايته ذو الشَّيبة والأصغر.**

يقول الإمام ٱبن حزم الأندلسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ ما لفظه: «لو أنَّ كافرًا مجاهدًا[(١)] غلب علىٰ دار من دور الإسلام، وأقر المسلمين بها

(١) قلت: فلو قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالى ـ : «صائلاً» أو «محاربًا» أو «مقاتلاً» لكان أفتَق، لأنَّ كلمة «الجهاد» و«المجاهد» لا تطلق إلَّا على المقارع لأعداء الملَّة الإسلامية، ألا ترى أنَّ المولى ـ سبحانه وتعالى ـ سمَّى ما سقط في أيدي الكافرين من ديار المسلمين «نصيبًا»؛ ولم يسميه «فتحًا». **قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:** ﴿ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء: ١٤١]؛ وإن كان ما يقوم به الكفار اليوم وفي الماضي يدخل في ٱسم الفتح، فلقد فتحوا ديار المسلمين التي ٱستولوا عليها، لكن ليس هو الفتح الذي يرجى خيره في الدنيا؛ وتحمد عاقبته في الآخرة، فما قاموا به هو كما قال ـ تعالى ـ : ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ﴾ [النساء: ٧٦].

فالكلمة التي ذكرها الإمام ٱبن حزم رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالى ـ **وإن كانت جائزة من باب اللسان، إلَّا أنها توهن البيان**، ومذهب أهل السنَّة والجماعة ـ السلفية الشرعية ـ التوضيح والتفصيل في «المعتقدات» و«الاصطلاحات» و«المفردات»، **حتَّى لا يقع في هذا المذهب ما يفعله صحاب التلبيس والنَّهب؛ الموهن السلفية بٱسم الأثرية ـ قطع الله دابره ـ فما عسى تراه فاعلاً مجروح العقيدة والأخلاق، اللَّهم إلَّا هذا، فللَّه المشتكى من تسمية هذا المجروح بخادم الأثر، كيف وقد جهز على منطوقه ومفهومه فبعثر؟!!**

علىٰ حالهم، إلَّا أنه هو المالك لها، المنفرد بنفسه في ضبطها[(١)]، وهو معلن بدين غير الإسلام **لكفر بالبقاء معه كل من عاونه، وأقام معه ـ وإن ٱدَّعىٰ أنه مسلم ـ .**» [المحلىٰ ١٢/ ١٢٦].

فالردَّة لأصحاب هذا الحال، والهلاك للهاربين عن النّزال، والشهادة لمن قدَّموا حفظ الدّين؛ ولم يرضوا عن هذا المآل.

■ فقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ : «**فنهىٰ ـ سبحانه ـ المؤمنين عن ٱتخاذ الكافرين أولياء وأصدقاء وأصحابًا من دون المؤمنين، وإن كانوا خائفين منهم. وأخبر أنَّ من فعل ذلك: «فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيْءٍ». أي: لا يكون من أولياء اللَّه الموعودين بالنجاة في الآخرة**».

فالآيات التي تنهىٰ المؤمنين عن ٱتخاذ الكافرين بطانة ووليجة ودخلاء كثيرة، ومنها **قَوْلُهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ**: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ**

(١) قلت: وهو تمام؛ كما هو واقع في «العراق» و«أفغانستان» و«الصومال» و«الشيشان»، وتدبر الحديث الذي ذكرناه سابقًا في «اللوحة الأولى» يا صاحب التوحيد؛ المبتعد عن النَّديد، ولا مانع من ذكره ثانية؛ **لتقوى القوارع، وتظهر الزواجر، ويقتنع الحائر، وتعلم أنه ما قاله الإمام ٱبن حزم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **ـ تعالى ـ يخرج من مشكاة النبوَّة**؛ وهذا من باب الاحتجاج لكلام العالم الذي ذكرنا أنه شعار السلفية الشرعية، وهو **إقامة الدَّليل، لكل قول غير التنزيل، وتوضيح ما في قول فلان أو علاَّن من برهان.**

يقول عليه الصلاة والسلام : «**ينزل ناسٌ من أمتي بغائطٍ يسمُّونه «البصرة»؛ عند نهر يقال له: «دجلة»، يكون عليه جسرٌ؛ يكثر أهلها، وتكون من أمصار المهاجرين ـ قال ٱبن يحيىٰ: قال أبو معمر: ـ وتكون من أمصار المسلمين ـ ؛ فإذا كان في آخر الزَّمان جاء «بنو قنطوراء»؛ عراض الوجوه، صغار الأعين؛ حتَّىٰ ينزلوا علىٰ شطِّ النهر، فيتفرَّق أهلها ثلاث فرق: فرقةٌ يأخذون أذناب البقر والبرية؛ وهلكوا، وفرقةٌ يأخذون لأنفسهم؛ وكفروا، وفرقةٌ يجعلون ذراريَّهُم خلف ظهورهم ويقاتلونهم؛ وهم الشهداءُ**» [صحيح سنن أبي داود رقم ٤٣٠٦].

أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ ﴾

[آل عمران].

وقَوْلُهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُواْ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً ﴾ [التوبة: ١٦]. قال الفرَّاء: «الوليجة»: البطانة من المشركين، ووليجة الرجل: بطانته ودخلاؤه وخاصته.

والخوف ليس مبررًا لفعل ذلك، فالخوف لا يبرر الردَّة بٱرتكاب ناقض ينقض أصل الدّين، لأنَّ في الموافقة اللسانية والمخالفة الجوارحية مندوحة، هذا إلَّا إذا كان في سلطان الكافر الجاثم في دياره، والبراءة من تلك الولاية أظهرتها المخالفة الجوارحية، وهذه هي المدارة المحمودة، فهو أظهر الموافقة باللسان وخالف بالعمل، وما فعله أظهر معتقده للتلازم بين الفعل وما ٱستقر في الجنان. ولو كان غير ذلك لأظهرت الأفعال مكنون السريرة، هذا ما لا بُدَّ له منه ألبتة.

ثم إنَّ المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ قد أخفق في تبيين حكم قوله ـ تعالىٰ ـ: «فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ» بما ذكره بقوله: «**أي: لا يكون من أولياء اللَّه الموعودين بالنجاة في الآخرة**». لأنه أدخل من فعل المكفّر تحت المشيئة بهذه العبارة، وجعله كالظالم لنفسه ـ الذي إن شاء اللَّه عذَّبه أو إن شاء غفر له ـ؛ بالطبع المقترف الظلم دون الظلم.

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ ﴾ [فاطر]، فهذه الآية في «المحسن»؛ الذي

عبد اللَّه كأنه يراه، وفي «المؤمن»؛ الذي وقف عند حدود اللَّه ولم يتجاوزها ـ أتىٰ المأمور وٱبتعد عن المحظور ـ وفي «المسلم»؛ الذي ٱقترف بعض الكبائر ولم ينقض أصل الدّين؛ فدخل بذلك في المشيئة، وما قاله المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ يوهم ذلك في الآية التي حكمت من فعل الولاية المكفّرة دخل في الردَّة، وبهذا جزم ٱبن جرير الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ في تفسيره؛ لأنه ظاهر الآية، ولقد بسطناه سابقًا في موضعه.

يقول ٱبن جرير الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ في قوله ـ تعالىٰ ـ : «**فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيْءٍ** » ما لفظه: «أي: فقد برىء منه اللَّه، **وبراءةُ اللَّه منه، بٱرتداده عن دينه، ودخوله في الكفر.**» [جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢/ ٢٤٥].

فما ذكره ٱبن جرير الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ هو المذهب الصحيح، فلا يوجد ما يصرف عن ظاهر الآية، والمؤلف «سليمان بن عبداللَّه بن محمد بن عبدالوهاب» رَحِمَهُ ٱللَّهُ علىٰ هذا المذهب الصحيح ـ الذي لا صحة في غيره ـ .

يقول العلاَّمة الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ في «البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السَّابع ٢/ ١٥٥» في ترجمة «أبي حيان الأندلسي» رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ لما قال هذا الأخير: «محال أن يرجع عن مذهب الظاهر من علق بذهنه» ما لفظه: «ولقد صدق في مقاله ـ يعني: أبا حيان الأندلسي ـ ، **فمذهب الظاهر هو أول الفكر آخر العمل عند من منح الإنصاف ولم يرد علىٰ فطرته ما يغيرها عن أصلها؛ وليس هو مذهب «داود الظاهري» وأتباعه فقط، بل هو مذهب أكابر العلماء المتقدمين بنصوص الشرع من عصر**

الصحابة إلىٰ الآن، و«داود» واحد منهم، وإنما ٱشتهر عنه الجمود في مسائل وقف فيها علىٰ الظاهر حيث لا ينبغي الوقوف؛ وأهمل من أنواع القياس ما لا ينبغي لمنصفٍ إهماله.

وبالجملة فمذهب الظاهر هو العمل بظاهر الكتاب والسنَّة بجميع الدلالات وطرح التعويل علىٰ محض الرأي الذي لا يرجع إليهما بوجه من وجوه الدلالة، وأنت إذا أمعنت النظر في مقالات أكابر المجتهدين المشتغلين بالأدلة وجدتها من مذهب الظاهر بعينه، بل إذا رزقت الإنصاف وعرفت العلوم الإجتهادية كما ينبغي ونظرت في علوم الكتاب والسنَّة حق النظر كنت ظاهريًا، أي: عاملاً بظاهر الشرع منسوبًا إليه لا إلىٰ «داود الظاهري» فإنَّ نسبتك ونسبته إلىٰ الظاهر متفقة، وهذه النسبة هي مساوية للنسبة إلىٰ «الإيمان» و«الإسلام» وإلىٰ «خاتم الرسل» عليه أفضل الصلوات والتسليم.

وإلىٰ مذهب الظاهر بالمعنىٰ الذي أوضحناه أشار «ٱبن حزم» رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ بقوله:

وَمَا أَنَا إِلَّا ظَاهِرِيٌّ وَإِنَّنِي عَلَىٰ مَا بَدَا حَتَّىٰ يَقُومُ دَلِيلُ»

فما ذكره العلاَّمة الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ هو مذهب الأكابر؛ ممَّن جمع العلوم وتبحَّر فيها، وهو المحرّرُ بالدَّليل، الآنفُ عن التقليد، المحتج لأقوال العلماء بالأدلة والبراهين لا محتج بها؛ ولقد أمتعنا هذا المذهب بزبر الأدلة النقلية والعقلية في كتابنا «**إِحْقَاقُ الحَقِّ فِي الرُّجُوعِ إِلَى المَذْهَبِ الحَقِّ**» في المجلد الثاني، مما يغنينا عن بسطه هنا.

■ وقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ: «**إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَىٰةً**»، **وهو أن يكون**

الإنسان مقهورًا معهم، لا يقدر علىٰ عداوتهم. فيظهر لهم المعاشرة، والقلب مطمئن بالبغضاء والعداوة».

فما ذكره حكم المقيم في ديار الكافرين؛ الذي تعسَّرت عليه الهجرة، لمانع من الموانع المقبولة شرعًا، لكن كان علىٰ المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ أن يظهر نوع المعاشرة مع طمأنينة القلب بالعداوة والبغضاء، **لأنَّ ثبوت العداوة والبغضاء في القلب ثبوت الإيمان أو عدمه، والرخصة في عدم القدرة علىٰ إظهارها، ووجودها يظهر المخالفة للعدو المبغوض ولابدَّ، لأنه يستحيل أن تكون العداوة ثابتة في القلب؛ ولا يوجد من الأفعال ما يثبتها**، فنظرنا فوجدنا الطريق الصحيح لثبوت ذلك هو إظهار اللَّطافة والموافقة اللسانية مع المخالفة الجوارحية، والمندوحة في ذلك لا غير.

يقول الإمام ٱبن حزم رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ ما لفظه: «من سكن بأرض «الهند»، و«السند»، و«الصين»، و«الترك»، و«السودان»، و«الروم»، من المسلمين، فإن كان لا يقدر علىٰ الخروج من هنالك لثقل ظهر، أو لقلة مال، أو لضعف جسم، أو لامتناع طريق، فهو معذورٌ.

فإن كان هناك محاربًا للمسلمين معينًا للكفار بخدمة، أو كتابة، فهو كافر ـ وإن كان إنما يقيم هناك لدنيا يصيبها، وهو كالذمي لهم، وهو قادر علىٰ اللّحاق بجمهرة المسلمين وأرضهم، فما يبعد عن الكفر[1]،

---

(١) قلت: لقوله ﷺ: «**أنا بريءٌ من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين**. قالوا يا رسول الله! لِمَ؟ قال: **لا تراءى ناراهما**.» [صحيح سنن أبي داود رقم ٢٦٤٥]، والأحاديث الزاجرة على ذلك كثيرة، فتفطّن يا مؤثر البطن.

وما نرىٰ له عذرًا ـ ونسأل اللَّه العافية.» [المحلىٰ ١٢/ ١٢٥، ١٢٦].

■ وقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ : «**وٱنتظار زوال المانع. فإذا زال، رجع إلىٰ العداوة والبغضاء**».

والمانع لا يزول إلَّا بهجر تلك الدّيار، والنأي عنها والتحيّز إلىٰ عصابة المؤمنين، أو يكون طرأ عليها طارىء الفتح بجهاد الطلب، فتتحول بذلك من «ديار كفر» إلىٰ «ديار إسلام»، لأنَّ الحكم علىٰ الغلبة؛ فإذا ظهر الشرع علىٰ دارٍ الغالب فيها أهل الذمة، بل لا يقطنها إلَّا هم، فلا حرج للمسلم أن يقيم بينهم لأنَّ العبرة بالغلبة.

يقول الإمام ٱبن حزم رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ ما لفظه: «وإذا كان أهل الذمة في مدائنهم لا يمازجهم غيرهم **فلا يسمىٰ الساكن فيهم ـ لإمارة عليهم، أو لتجارة ـ بينهم كافرًا، ولا مسيئًا، بل هو مسلم حسنٌ، ودارهم دار إسلام، لا دار شرك، لأنَّ الدَّار إنما تنسب للغالب عليها، والحاكم فيها، والمالك لها.**» [المحلىٰ ١٢/ ١٢٦].

فما قاله رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ يظهر مذهب الحقّ الذي يقول: الحكم علىٰ الدار بظهور حكم الشرع أو عدمه فيها، فالدَّار التي لا يعلوها حكم الشرع فليست دار إسلام عند كل الأئمة المعتبرين؛ الذين هم في دعامة الدّين علىٰ مذهب السلف.

فالدَّار إما أن تكون «دار إسلام» أو «دار كفر»، وهذه تنقسم إلىٰ قسمين: «دار حرب» و«دار صلح وعهد وأمان»، والقسمان داخلان في «دار الكفر الأصلية»، وممَّا يوضّح هذا التقسيم الآنف؛ **قَوْلُهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ** : ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن

تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩﴾﴾ [الممتحنة].

ففي الآية قسمان؛ «قسمٌ مسالمٌ ومعاهدٌ» و«قسمٌ محاربٌ»، وكلاهما داخلان في عموم قوله ـ تعالىٰ ـ : ﴿عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الممتحنة : ١]؛ لكفرهما، **فحكم دارهما للوصف، وحكم معاملتهما بما يظهر منهما من سلوك «مسالمة» أو «محاربة»**.

ففي «قسم المسالمة» **قَالَ تَعَالَىٰ**: ﴿أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ﴾ ولم يقل: «**تَوَلَّوْهُمْ**»، لأنَّ الولاية محرَّمة فيهم لكفرهم، ومن فعل ذلك من المسلمين دخل في الردَّة ـ والعياذ باللَّه ـ ، ومنحوا «الإقساط» لما أظهروه من مسالمة.

وفي «قسم المحاربة» **قَالَ تَعَالَىٰ**: ﴿أَن تَوَلَّوْهُمْۚ﴾، ومنعوا «البرّ» بما أظهروه من محاربة، ومنحوا الإقساط من نوعٍ آخر دلَّ عليه **قَوْلُهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ**: ﴿وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةًۚ﴾ [التوبة ١٢٣].

فالتفريق الآنف أمرنا به لقوله ـ تعالىٰ ـ الذي في نفس الآية التي أوضحت «الوصفين» و«الحكمين» ـ : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾﴾؛ زيادة علىٰ الآيات الأخر العامة التي تأمر بالإقساط كقوله: ﴿وَأَقْسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾﴾ [الحجرات].

فالمسألة لا مدخل للهوىٰ فيها ألبتة، فٱحفظ هذا وتدبَّره ـ يرعاك اللَّه ـ ، فالمعاملة دخلت في «الموازنة» الخارجة من مشكاة النبوة، فعنوانها الأبرز: **علم الحقّ، ورحمة الخلق، والقول والمعاملة فيهم**

بالحقّ، ولا تقام الخلافة في الأرض إلَّا بهذا.

أما الدَّار التي طرأ عليها الكفر؛ كالقوانين الوضعية، **ليست «دار إسلام»، وتجب الهجرة منها، إلَّا أنه لا يستلزم من تكفير الدَّار، تكفير أهلها**، فالمقيمون فيها ثابت لهم عقد الإسلام إذا كانوا مقيمين الشرائع من حيث الجملة، ولم يأتوا بناقضٍ ينقض أصل الدّين، فكل واحد منهم له حكمه بما أظهر من تقصيرٍ في أصل الدّين، ولا حرج في الإقامة فيها، إلَّا أنهم يأثمون في عدم سعيهم لإزالة ذلك الطارىء، وللمسألة بسط في موضع آخر.

يقول الإمام ٱبن حزم رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ ما لفظه: «وأما من سكن في بلدٍ تظهر فيه بعض الأهواء المخرجة إلىٰ الكفر[١]، **فهو ليس بكافر، لأنَّ ٱسم الإسلام هو الظاهر هنالك علىٰ كل حال، من التوحيد**[٢]، **والإقرار برسالة محمد** ﷺ **والبراءة من كل دين غير الإسلام**[٣]، **وإقامة**

(١) قلت: كالقوانين الوضعية الكفرية، هذا ما لم يفش فيهم داء القبورية، كما هو منتشرٌ في معظم بلدان الإسلام، يقيمون للقباب والأضرحة سدنة يقربون لها القرابين، ومن الرؤساء في المغرب الإسلامي؛ من زيَّن ذلك ودَعَا إليه وصرف له من خزائن الدَّولة، بل جلّهم يدعون إلى ذلك، أفيشك في كفر من دَعَا إلى الشّرك وزيَّنه؟!! وإن لم يكن هذا الشّرك المجرد فما هو الشّرك؟!! وما ذكرناه من بيان، أوجبه الله على من عنده علم وبرهان.

(٢) قلت: فلقد حاربوه بالقوانين الوضعية؛ ومنعوا تدريسه وإيضاحه للعامة، حتَّى يشتبه الهدى والضلال، وأودعوا دعاته السجون، وأحالوهم على طاولة العذاب يتلذذ بأجسادهم، ولقد سهلوا سبل التنصير؛ ومنحوهم التراخيص لذلك، تحت غطاء «جمعيات خيرية»، والشَّرّ كامنٌ فيها إلى نخاعها، اللَّهم ٱكشف هذه الكربة، وٱرفع هذه الغربة، وٱجعل في الأمة دعاة يرفعون الهمة، ويأنفون من الذلة، إنك القادر على ذلك. آمين! آمين! آمين!

(٣) قلت: بل ٱبتلينا بأناس يدعون إلى نزع عداوة الكافرين من قلوب المسلمين، وعدم البراءة منهم، بل يدعون إلى وحدة الدّين معهم، فإن لم يكن هذا هو الكفر فما هو الكفر ـ والعياذ ←

بالله ـ !! فهل يستجيز عاقلٌ أن يجمع بين الإيمان والكفر، وبين التوحيد والشّرك، وبين الحرمة والإباحة؟!! اللَّهم غفرًا.

ولقد شاهدت على المرياء راهبًا نصرانيًا كافرًا، مع مسؤول في لجنة الحوار بين الأديان ـ زعم ـ ٱسمها «مؤسسة أهل البيت»، يسأله الصحفي: كيف تتحاورون مع أناسٍ لا يعترفون بدينكم؟!

ثم سأل الصحفي الراهب بما لفظه: أيها الأب ـ ونعوذ بالله أن يكون الراهب أبًا للمسلمين ـ كيف تريدون الحوار مع المسلمين وأنتم لا تعترفون أصلاً بدينهم؟!!

فأجاب الراهب الكافر: نحن لو ٱعترفنا بالدّين الإسلامي كدين سماوي مثل «النصرانية» و«اليهودية» لأصبحنا مسلمين.

فقال الصحفي لمسؤول مؤسسة أهل البيت ـ ونحن من أهل البيت ولا فخر نبرأ منه ومن مؤسسته إلى يوم الدّين ـ : بما تجيب.

فأجاب بما يقع على القلوب كالصاعقة، قال: القول معروف عنهم وسكت. فلقد كدت أدخل رأسي في المرياء من شدَّة الغضب ـ ظننت المسك به ـ .

فوالله لو طلب الإجابة من موحدٍ في طوره الأول؛ لم يتبحر في علومه، لقال له: ٱسمع أيها الراهب، لو ٱعترفت بالدّين الإسلامي أنه حقّ، ونسبت إليه كل فضيلة ـ وهو كذلك ـ ما أدخلك ذلك في الإسلام وما أخرجك من الكفر؛ بل لو تعبَّدت بالإسلام الذي جاء به موسى وعيسى ـ عليهما السلام ـ ولم تبتدع فيه شيئًا، ولم تتبع ما نسخ ذلك؛ بما جاء به محمد ﷺ لكنت كافرًا مستكبرًا ـ وذلك وصفك في الدُّنيا ولا تعذر فيه بجهلٍ ـ محشورًا مع إبليس وزمرته ـ إن مت على ذلك ـ .

ولو تنبه «الأحمق» «الأخرق» الذي على رأس المؤسسة إلى عثرة الراهب الكافر لما قال: «نحن لو ٱعترفنا بالدّين الإسلامي كدين سماوي مثل النصرانية واليهودية لأصبحنا مسلمين»؛ لأدخله القمقم.

فكان بإمكانه أن يقول له ـ وليس بإمكانه لأنه فاقد الأصل والفرع لا يحسنه ـ : إذا كانت «اليهودية» و«النصرانية» ديانة سماوية فمن الأحق بالسلوك؟!! وأنتم تقولون ليست اليهودية على شيء، واليهود يقولون ليست النصرانية على شيء! بل من أصح مذهبًا فيكم؟!! «الكاثولكية» أم «الأرثذوكسية» أم «البرتستانتية»؟!! فكل واحد منكم يلعن الطائفة الأخرى وفي نفس الوقت ملعونًا منها. ونحن نلعنكم جميعًا ونقول لكم وللنحلة اليهودية، بل وللنحل الأخرى: لستم على شيء.

فللَّه المشتكى من زمن الرويبضة يتكلم في أمر العامة، بل يتكلم في الأمور العظام، التي تقيم صرح الإسلام، وهو أجهل من البهيمة التي تقاد.

الصلاة، وصيام رمضان، وسائر الشرائع التي هي الإسلام والإيمان.» [المحلىٰ ١٢/ ١٢٦].

■ وقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ : **«فكيف بمن ٱتخذهم أولياء من دون المؤمنين من غير عذر، إلَّا ٱستحباب الحياة الدُّنيا علىٰ الآخرة»**.

فمن ٱتخذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين من غير عذر، فهو مرتدٌّ عن الإسلام، لاشكٌّ ولا مريةٌ في ذلك، بل هو أجلىٰ من ضياء الشمس في البيان، وجُلُّ من يفعل ذلك إلَّا حبًّا في الدُّنيا، ولهذا كانت «الشهوة» ركنًا من أركان الكفر، صدَّت طوائف كثيرة عن الإسلام، بل غالب المرتدين اليوم، أوتوا من هذا الباب، مع علمهم أنَّ ذلك يضرهم في الآخرة.

يقول العلاَّمة ٱبن قيم الجوزية رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ ما لفظه: «مانع «الشهوة والمال»، هو الذي منع كثير من أهل الكتاب من الإيمان خوفًا من بطلان مأكلهم وأموالهم التي تصير إليهم من قومهم وقد كانت كفَّارُ قريش يصدُّون الرجل عن الإيمان بحسب شهوته، فيدخلون عليه منها.» [مفتاح دار السعادة ومنشور أهل العلم والإرادة ١/ ٣٣٦].

وآيم اللَّه ما ٱرتد مرتدٌّ اليوم إلَّا بهذا، أليس هذا سبب الذين جلبوا الحلف اللَّدود ـ اليهوصليبي ـ إلىٰ ديار المسلمين؟!!

أليس هذا سبب من تنصَّر؟!!

أليس هذا سبب من ألحد وتجبَّر؟!! أو عطف وسحر؟!!

اللَّهم إنا نعوذ بك من شهوة تفضي إلىٰ خسارة، ونقول ما قال اللَّه ـ تعالىٰ ـ : ﴿ **قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ** ﴾

[المائدة: ١٠٠].

■ وقوله رَحِمَهُ اللَّهُ ـ تعالىٰ ـ: «**والخوف من المشركين وعدم الخوف من اللَّه. فما جعل اللَّه الخوف منهم عذرًا، بل قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٧٥﴾** [آل عمران]».

فالخوف ليس عذرًا في ٱقتراف الكفر، إلَّا من أكره علىٰ ذلك، جاز له أن يقول ولا يفعل، هذا إذا كان في ديار الكافرين، وصعب عليه الانتقال لمانعٍ مقبولٍ.

لأنَّ الخوف من المشركين الرخصة فيه النَّأي، **قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَفَرَرۡتُ مِنكُمۡ لَمَّا خِفۡتُكُمۡ﴾** [الشعراء: ٢١]، وهذا الخوف جبلي في كل البشر، يظهر علىٰ من حرم الساعد. أما من كان مع عصابة المؤمنين يحمي الحوزة، فلا يجوز له أن يخشىٰ الكفار وإن قلَّ عدد تلك العصابة، بل يعتمد علىٰ اللَّه ـ تعالىٰ ـ ويطلب منه العون والمدد، فكيف يخاف من مات مات سعيدًا، وإن عاش عاش عزيزًا كريمًا، وليس له ذلك إلَّا إذا كان خانعًا ذليلاً للشَّرع القويم.

أما خوف السرّ الخاص بالأنداد والأصنام وما شابه ذلك، فهو كفر لمن قام بقلبه؛ لا رخصة فيه ألبتة، وهل الرخصة فيما يضاد التوحيد ويقرّب من النَّديد؟!، **قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾** [الزمر: ٣٦].

فما ذكره المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ ـ تعالىٰ ـ في هذا «الدَّليل الثالث»، يتناول المستضعف الذي في ديار الكافرين، وإذا كان ما ذكره من الحد

الأدنىٰ المرخَّص فيه للمستضعف، علمنا يقينًا أنَّ هذا لا يتناول من كان تحت ولاية الكافر الصائل الجاسّ خلال الديار، لأنَّ الباطل مجبولة الفطرة المكمَّلة من النفارة منه، وعصيانه وعدم الانقياد له مهما تصلَّب وتجبَّر.

فالدَّم الدَّم والهدم الهدم أيها المؤمن، ومعناه: أن تقيم العهود والمواثيق التي أقامها الشَّرع، وتبطلها إذا أبطلها الشَّرع، وأن تصون الدماء التي صانها الشَّرع، وتريق من أمر الشَّرع بإراقتها وتجعلها هدرًا، وليس أزكىٰ وأعظم أجرًا عند اللَّه ـ تعالىٰ ـ من دماء هذا الصائل اليوم علىٰ ديار المسلمين، ومن أعانه من المرتدين من بني جلدتنا، كيف واللَّه ـ تعالىٰ ـ يبشّر علىٰ لسان نبيّه ﷺ بما لفظه: «**لا يجتمع في النار كافرٌ وقاتله أبدًا**»؟! ولقد ٱستنبط «أبو داود» رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ من فقهه بابًا سمَّاه «باب في فضل من قتل كافرًا» [صحيح سنن أبي داود رقم ٢٤٩٥].

فٱغتنم الفرصة أيها المؤمن الموحد وٱجعل لنفسك حرزًا تأمن به من النار، بل هذا العمل يقرب من منزلة قوله ﷺ: «**وما يدريك لعل اللَّه ٱطَّلع علىٰ أهل بدرٍ فقال: ٱعملوا ما شئتم، فقد غفرت لكم!**» [صحيح سنن أبي داود رقم ٢٦٥٠]، فلعل العمل يكون شفيعًا لك في أعمالٍ لا تمحىٰ إلَّا بذلك.

فالغلظة الغلظة، وأن لا تأخذنا فيهم رأفة أو رحمة، كيف وأرحم الراحمين طلب ذلك، بل كفَّر من لم يقوم بذلك ورضىٰ بالحال «مدارة» أو «مداهنة»، وفسَّق من نأىٰ عن ذلك وفرَّ!.

ونقول لمن قام بذلك؛ يذيق أنفس الظالمين المعتدين الجاسِّين

خلال الديار ـ قتلاً ونهبًا، وإلحادًا وكفرًا، وسبًا وٱستهزاءً بديننا وقيمنا ـ؛ ولم يضره خذلان خاذل، ولا ٱعتداء جاهل، ولا تحريف سافل:

يَا نَشْءُ أَنْتَ رَجَاؤُنَا وَبِكَ الصَّبَاحُ قَدْ اقْتَرَب

خُذْ لِلْحَيَاةِ سِلاَحَهَا وَخُضِ الخُطُوبَ وَلَا تَهَب

وَارْفَعْ مَنَارَ العَدْلِ وَالإِحْـ ـسَانِ وَاصْدُمْ مَنْ غَصَب

وَأَذِقْ نُفُوسَ الظَّالِمِينَ السُّمَّ يَمْزُجْ بِالرَّهَب

وَاقْلَعْ جُذُورَ الخَائِنِينَ فَمِنْهُمْ كُلّ عَطَب

وَاهْزُزْ نُفُوسَ الجَامِدِينَ فَرُبَمَا حَيِيَ الخَشَب

ونقول للحائرين الذين لا يدرون أين يذهبون، وللمتناقضين في أقوالهم، كل يوم في مكان[1]:

يَا قَوْمُ هَذَا نَشْؤُكُم وَإِلَى المَعَالِي قَدْ وَثَب

كُونُوا لَهُ يَكُن لَكُم وَإِلَى الأَمَامِ ابْن وَأَب

❊ ❊ ❊ ❊

(١) ما سبق من الأبيات وما يلي فهي للعلاَّمة «ٱبن باديس» رَحِمَهُ اللهُ ـ تعالى ـ، أنسبها إلى صاحبها، حتَّى أترفّع عما ليس لي، ولا أكون كلابس ثوب زور، وبركة العلم عزو الفوائد إلى أصحابها تبرؤًا من الانتحال ـ نعوذ بالله من ذلك ـ.

«الدَّلِيلُ الرَّابِع»

قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَـٰسِرِينَ ١٤٩﴾ [آل عمران].

فأخبر ـ تعالىٰ ـ : أنَّ المؤمنين إن أطاعوا الكفَّار، فلابدَّ أن يردُّوهم علىٰ أعقابهم عن الإسلام؛ فإنهم لا يقنعون منهم بدون الكفر. وأخبر أنهم إن فعلوا ذلك، صاروا من الخاسرين في الدُّنيا والآخرة. ولم يرخّص في موافقتهم وطاعتهم خوفًا منهم.

وهذا هو الواقع؛ فإنهم لا يقتنعون ممَّن وافقهم إلَّا بشهادة أنهم علىٰ حقّ، وإظهار العداوة والبغضاء للمسلمين، وقطع اليد منهم.

ثم قال: ﴿بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّـٰصِرِينَ ١٥٠﴾ [آل عمران]. ففي ولايته وطاعته، غُنية وكفاية عن طاعة الكفار.

فيا حسرة علىٰ العباد الذين عرفوا التوحيد، ونُشئوا فيه، ودانوا به زمانًا، كيف خرجوا عن ولاية ربّ العالمين، وخير الناصرين إلىٰ ولاية القباب وأهلها، ورضوا بها بدلاً عن ولاية من بيده ملكوت كل شيء؟!! بئس للظالمين بدلاً.

الشَّرْحُ :

الآية الكريمة نداء من الرحمن إلىٰ أهل الإيمان؛ يعلمهم فيها مقاصد الذين كفروا ٱتجاه الطائفة المؤمنة إلىٰ قيام الساعة؛ لا فتور في ذلك، محاولة تلوىٰ الأخرىٰ، ترغيبًا بمشورة يلقوها للذين كرهوا ما أنزل اللَّه؛ ظاهرها فيها الرحمة وباطنها فيها العذاب، وترهيبًا بالقتل

والتَّنكيل كما هو مشاهدٌ وعيانٌ اليوم.

فالآية الكريمة زاجرة وقارعة لمن سوَّلت له نفسه ذلك، وغلبت عاطفته عقيدته نوعًا ما فَلاَنَ الجانب لهؤلاء، فكيف يُلان الجانب مع قوم إمامهم، وداعيتهم، وناصحهم ومسهّل أمرهم ـ إبليس اللَّعين ـ ؟!!

وأشدَّ الإسغاء فتكًا؛ ما كان آتيًا من طرف المنافقين ـ الذين ظاهرهم معنا وباطنهم ضدَّنا، ويتكلمون بألسنتنا ـ فهم دعاة جهنَّم من أجابهم قذفوه فيها.

فهذا الصّنف أخطر من الكفار الأصليين الذين نصبوا لنا العداء لأجل توحيدنا، وأكثرهم كرهًا وأشدّهم بغضًا للحنيفية السمحة «اليهود» و«النصارىٰ»، فالأولىٰ هي كما قال اللَّه ـ تعالىٰ ـ : ﴿**كُلَّمَآ أَوۡقَدُواْ نَارٗا لِّلۡحَرۡبِ أَطۡفَأَهَا ٱللَّهُۚ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادٗاۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٦٤**﴾ [المائدة].

فبغي وحسد هذه الطائفة الذَّليلة الحقيرة يحرك ضلال الثانية، **فالسَّالك في عمياءٍ؛ يستدرج بدهاءٍ، فهو فاقد الأصل ومبتدع في الفرع يميل فيه أين ما مال هواه فيه**، ألم تر إلىٰ قوله ـ تعالىٰ ـ : ﴿**وَرَهۡبَانِيَّةً ٱبۡتَدَعُوهَا مَا كَتَبۡنَٰهَا عَلَيۡهِمۡ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ رِضۡوَٰنِ ٱللَّهِ**﴾ [الحديد : ٢٧]، فخانوا الأصل وبدَّلوه وقد أُمروا بحفظه، ثم ٱبتدعوا فرعًا لم يؤمروا به، وهذا الفرع المبتدع كذلك خانوه ولم يحافظوا عليه، **قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ**: ﴿**فَمَا رَعَوۡهَا حَقَّ رِعَايَتِهَاۖ**﴾ [الحديد : ٢٧]؛ فكيف يسمع لمن كان هذا حاله؟!!.

فإذا تدبَّر النَّاظر بتفحصٍ إلىٰ شدَّة عداوة اليهود ـ الطائفة الذَّليلة المهينة إلىٰ قيام الساعة ـ ، التي لا تأمن في هذه الدُّنيا إلَّا ﴿**بِحَبۡلٖ مِّنَ ٱللَّهِ**

﴿وَحَبۡلٖ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٢]، وجدها تدور علىٰ أصلين ٱثنين.

فالأول: هو «الحسد»؛ لما ٱختار علاَّم الغيوب فئة من غيرهم، **فالحاسد تحركه فضائل المحسود؛ ويزداد الحاسد حسدًا وطغيانًا لما يعرف المحسود مكوّناته، ومقوّماته، وما تدور عليه شخصيته؛ ومواطن ضعفه وقوته إن وجدت ـ ولا وجود لها إلَّا في إبليسيته التحريضية ـ وهذا هو الأصل الثاني؛ فمن ٱجتمع فيه الأصلان هلك وأهلك من أصغىٰ إليه.**

فاليهود عليهم ـ لعنة اللَّه ـ لما فسَّروا النبوءات كذبًا وزورًا لخدمة مصالحهم، وما ٱدَّعوه من سامية ـ زعموا ـ، ٱستجاب لهم فريق البهائم المتمثل في «النصارىٰ»، فظهر بسبب ذلك الفساد في البرّ والبحر، بل علَّله ـ تعالىٰ ـ بـ«باء السبب» ﴿بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ﴾ [الروم: ٤١]، ولقد أخذت الأيد النّحلة اليهودية بحظٍ وافرٍ، فهم يحسنون صنعة التَّحلل من الأخلاق لبغية مآربهم، فهم يتلذذون بالإفساد والإهلاك لخبث سجيتهم.

أما الصّنف الثالث، فهو أشدّ خطرًا، وأنكأ فتكًا؛ للبسه شعار الإيمان، وتدثّره الكفر والطغيان، وهذا الفريق يسمع له لتركيبته المَخْفية، ويزداد لسماعهم إذا سادوا، أو ملكوا، أو أمّروا، لهذا قال اللَّه ـ تعالىٰ ـ: ﴿لَوۡ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمۡ إِلَّا خَبَالٗا وَلَأَوۡضَعُواْ خِلَٰلَكُمۡ يَبۡغُونَكُمُ ٱلۡفِتۡنَةَ وَفِيكُمۡ سَمَّٰعُونَ لَهُمۡۗ﴾ [التوبة: ٤٧].

يقول شيخ الإسلام ٱبن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ في الآية ما لفظه: «فأخبر أنَّ المنافقين لو خرجوا في جيش المسلمين ما زادوهم إلَّا

خبالاً، ولكانوا يسعون بينهم مسرعين، يطلبون لهم الفتنة وفي المؤمنين من يقبل منهم ويستجيب لهم، **إما لظنٍ مخطىءٍ، أو لنوعٍ من الهوىٰ، أو لمجموعهما، فإنَّ المؤمن إنما يدخل عليه الشيطان بنوعٍ من الظن وٱتباع هواه.**» [درء تعارض العقل والنقل ١/ ٢٨٨].

فهذا حال المنافق إذا لم يكن ذا سلطة وسيادة، فكيف إذا كان قائمًا بهما كما هو حاصل اليوم في البلدان الإسلامية؟! **ألم يتحلَّلوا من كل خلقٍ قويمٍ، ودعوا إلىٰ كل سافلٍ وخيمٍ؟!!** فما أشد هذه الغربة، وما أثقل علىٰ القلوب هذه الكربة، نسأل اللَّه ـ تعالىٰ ـ رفعها، فإليه وحده الرغبة والرهبة.

فلقد حذَّرنا اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ من شرّ الأصناف الثلاثة، وأخبرنا غايتهم ومقاصدهم إذا ملنا إليهم، أو لِلْنا الجانب لهم، أو حتَّىٰ سمعنا لهم، اللَّهمَّ إلَّا سماع المجادلة لرد باطلهم وكشف عوارهم، فإذا فعلنا ذلك ـ والعياذ باللَّه ـ فلابدَّ أن يكون كما قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿**فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ** ١٤٩﴾ [آل عمران]؛ خسارة دنيوية؛ لأننا ٱستمعنا لهم وهم يبغون لنا الخبال، كيف وإذا أصبتنا حسنة تسؤهم؟! وخسارة أخروية لعصيان ربنا؛ والارتداد علىٰ أعقابنا.

فكيف يُسمع لهؤلاء الأَراذل والأَسافل، ويترك السماع لإمامنا ورسولنا الذي برَّأه اللَّه ـ تعالىٰ ـ من الشَّرّ ما في القسمين ـ «اليهود» و«النصارىٰ» ـ بقوله: ﴿**مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ** ٢﴾ [النجم]. فالنصارىٰ ضالون عبدوا اللَّه ـ تعالىٰ ـ بلا علم وٱبتدعوا، واليهود عرفوا الحقّ ولم ينقادوا له كِبْرًا وحسدًا، فعاقبهم اللَّه ـ تعالىٰ ـ بالذّلة.

■ فقوله رَحِمَهُ اللَّهُ ـ تعالىٰ ـ: «**فأخبر ـ تعالىٰ ـ: أنَّ المؤمنين إن أطاعوا الكفَّار، فلابد أن يردُّوهم علىٰ أعقابهم عن الإسلام؛ فإنهم لا يقنعون منهم بدون الكفر. وأخبر أنهم إن فعلوا ذلك، صاروا من الخاسرين في الدُّنيا والآخرة. ولم يرخّص في موافقتهم وطاعتهم خوفًا منهم**».

فإذا علم المسلم أنَّ الكفار علىٰ ٱختلاف نِحلهم، يجمعهم جامعٌ ٱتجاهنا كقوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿**يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا**﴾ [آل عمران: ١١٨]، وقوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿**وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ**﴾ [آل عمران: ١١٨]، وقوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿**قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ**﴾ [آل عمران: ١١٨].

فهم لا يقصرون ولا يفترون في إفساد ديننا، ووسائل جمعنا، وطرق عيشنا، تحت أيِّ شعارٍ؛ كالعلم والمعرفة، أو النّصح والتوجيه، فالكافر ينطلق في معاملاته اليومية من منطلق كفري، وحسدي، وبغضي، ٱتجاه المسلم، **فلا خدعة بالبسمة الصفراء، التي ظاهرها النّصح والتوجيه، وباطنها الإفساد والتشويه، فهذا ما فعلوا بالأمس، وما يفعلون اليوم، وما سيفعلون ـ بسين المضارع ـ طالما نحن وهم علىٰ وجه المعمورة.**

فصفراء بسمتهم، وخداع نصحهم مآلهم فيهما العنت والمشقَّة والرَّد علىٰ العاقب، بعدما توضَّح لهم ولنا الحقّ اللاَّحب، فكيف يسكن إلىٰ هؤلاء ويطَّلعون علىٰ بواطن الأشياء، ويفشىٰ لهم الأسرار الخاصة والعامة؟! خاصة ما كان من مالٍ وعدَّةٍ، للقيام بتلك العهدة، ـ عهدة الدّين ـ التي أبت السماوات والأرض والجبال حمله مخافة التقصير لعظمه.

ألا ترىٰ أيها المسلم كيف يدعون في ديارنا إلىٰ التثليث بٱسم

جمعيات خيرية، فأيُّ خيرٍ في هذه الجمعيات وهم يدسون لنا السُّم فيها؛ لإفساد ديننا؟! يتشدَّقون بمعسول الكلام في مجال حرية الإنسان وكرامته؛ وهم أول من هتكها، فاللَّه ـ تعالىٰ ـ يقول: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ [الإسراء: ٧٠]، وهؤلاء الكفار علىٰ ٱختلاف نحلهم أهانوه ودعوه إلىٰ أن يجتمع مع الأنعام في «البهيمية»، فمحبة العنت لنا أحبوه حبًّا عظيمًا، الغاية فيه كما قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿وَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءٗ﴾ [النساء: ٨٩]؛ ولهذا أشار المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ بقوله: «**فإنهم لا يقنعون منهم بدون الكفر**».

فمن لاَنَ لهم الجانب وٱقتنع بما يقولون؛ وظنَّ أنَّ فيهم الخير ولا خير فيهم ألبتة، وجعلهم بطانة؛ فليعلم أنَّ تلك هي بطانة السوء، التي تتقنه وتحضّ عليه، وأنَّ ذلك وأْدُ النفس والرضىٰ بالخسِّ، وخسران الدُّنيا والآخرة.

فها هو أمير المؤمنين عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ـ ولعن اللَّه من سبَّه أو حتَّىٰ لمزه ـ لما علم أنَّ أبا موسىٰ الأشعري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ٱتخذ كاتبًا نصرانيًا ٱنتهره، وقال له: «لا أكرمهم إذ أهانهم اللَّه، ولا أعزهم إذ أذلهم اللَّه، ولا أدنيهم إذ أقصاهم اللَّه[1]».

فإذا لم يرخص المولىٰ ـ سبحانه وتعالىٰ ـ في طاعتهم وموافقتهم

---

(١) قلت: لقد ذكر الأثر شيخ الإسلام ٱبن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالى ـ في «مجموع الفتاوى ٢٥/ ١٧٤ ط/ جـ» وكذلك في كتب أخرى كـ«إقتضاء الصراط المستقيم» وعزاه إلى مسند أحمد [مسند أبي موسى] ولم أعثر عليه فيه، لكن وجدت ما يدل على صحة الأثر في «السنن الكبرى رقم ١٨٧٢٨» للبيهقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالى ـ، فلقد ذكر ذلك بسنده في «كتاب الجزية» باب لا يدخلون مسجدًا بغير إذن ـ يعني: أهل الذّمة ـ.

خوفًا منهم، فكيف بمن فعل ذلك وهو في دار منعةٍ وقوَّةٍ؟!! أليس من فعل ذلك فقد حمل لواء الموالاة المكفّرة؟! وإن كان غير ذلك فليقل لنا المعترض المنكوس في توحيده؛ المجادل عن الطَّاغوت ما غاية ذلك؟! أليس هو تهوين الحرمة، ورفع مقام أهل الذّلة والمذمَّة؟!

فنقول للمجادل عن حكَّام القوانين الوضعية الكفرية، الذي هو شعار الموالاة للنحل الكفرية؛ بتحريف النصوص وليِّ أعناقها حتَّىٰ تتفق مع ما يريد هذا الصّنف الخبيث الذي لا خير فيه ألبتة؛ كما قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿ **هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلۡتُمۡ عَنۡهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيۡهِمۡ وَكِيلٗا ١٠٩** ﴾ [النساء]. فما حمله علىٰ ذلك؟!

فإن كانت الدُّنيا، أليس للَّه ـ تعالىٰ ـ الدُّنيا والآخرة؟! وإن كان حامل الخوف، ألم يقل المولىٰ ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿**فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٧٥**﴾ [آل عمران]؟!

فكيف يهدي اللَّه ـ تعالىٰ ـ من فعل ذلك وهو يرىٰ نصوصًا تمنع من ذلك؟! **أليس ذلك الانتصاب لنصرة الشّرك والمشركين، والطعن في منهج الأنبياء والموحدين؟!**

فهذا هو الصَّد عن سبيل اللَّه بعينه وبغيه عوجًا، **فلما ٱستحكم في قلوبهم حبّ الدرهم والدّينار، وبغية تحصيله بالليل والنهار، مالوا بإفكهم علىٰ النصوص يلوونها، فهذا حال الأكلة بٱسم الدّين ـ نعوذ باللَّه منهم ومن أكلهم ـ.**

■ وقوله رَحِمَهُ اللَّهُ ـ تعالىٰ ـ: «**وهذا هو الواقع؛ فإنهم لا يقتنعون ممَّن**

وافقهم إلَّا بشهادة أنهم علىٰ حقّ، وإظهار العداوة والبغضاء للمسلمين، وقطع اليد منهم.

ثم قال: ﴿بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ ١٥٠﴾ [آل عمران].

ففي ولايته وطاعته، غُنية وكفاية عن طاعة الكفار».

لأنَّ طاعة الكافر والأخذ برأيه؛ وما يلبّس فيه بكلامٍ معسولٍ، بسمٍّ مدسوسٍ، ومشورة خائنةٍ تؤدي حتمًا إلىٰ الكفر، فالكافر لا يرضىٰ إلَّا إذا شهدت أنه علىٰ حقّ، وحقّه ظاهره وباطنه الخبث والشَّرّ والفساد، وحتمًا أنَّ من فعل ذلك فقد دخل دهليز الكفر، حتَّىٰ ولو كانت الشهادة كذبًا وزورًا؛ لقضاء مأربٍ أو شهوةٍ أو حتَّىٰ رفع مظلمةٍ.

فهو يحب أن تطعن في المسلمين وتظهر سوأتهم، وتلحد في مقاصدهم، وتفتري عليهم، وتقطع الصلَّة بهم، وإذا أردت أن تصلهم بشيءٍ من المال لا يكون إلَّا عبر قنواتهم التي أنشأوها كمنظمة الغذاء العالمي، وهذه المنظمة الخبيثة لا تعطي كيسًا واحدًا من «الأرز» أو «الدَّقيق» لمسلم محتاجٍ ـ الذي ٱجتاحت بلده المجاعة ـ ؛ إلَّا وطلبت منه تغيير دينه، وإلَّا حرم المساعدة، وهذا ممَّا توفرت الهمم والدَّواعي علىٰ نقله، وكثرت الأقلام في كتابته، لعل يعي أصحاب الأموال، أو من ٱئتمنوا عليها، فليعلموا أنَّ اللَّه ـ تعالىٰ ـ سائلهم عليها، **فلقد أصبحت معونة مسلمٍ بكيسِ دقيقٍ أو قطعة قماشٍ باليةٍ إرهابًا اليوم.**

فعلىٰ المؤمن الموحّد أن يعتمد علىٰ المولىٰ ـ سبحانه وتعالىٰ ـ ويتقرب إليه بالعبودية الحقَّة، في الظاهر والباطن، وليعلم أنَّ اللَّه ـ تعالىٰ ـ هو المولىٰ ﴿فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ٧٨﴾ [الحج].

فطلب العون من الكافر الفاجر هو الرّكون إلىٰ أوهن الأشياء، واللَّه ـ تعالىٰ ـ يقول: ﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾ [هود]، وذلك هو الخسران المبين؛ في الدُّنيا والآخرة، وهو ما نشاهده اليوم بعينه من حكَّام القوانين الوضعية الكفرية، فلما تولُّوا الكفَّار من أهل الكتابين وٱستذلوا رعيتهم بالحديد والنار زادوهم رهقًا ـ رهق كراسيهم وما تجبَّروا فيه، ورهق إن هم لانوا الجانب لرعيّتهم وٱستغنوا عنهم ـ؛ لهذا تجد لهؤلاء الأذلاء ـ حكَّام القانون الوضعي ـ من الدُّور والمنشآت المالية التي نهبوها من بلدانهم في ديار الصَّليب، خوفًا من أن تثور شعوبهم في وجوههم فيلجأوا إليها تحسبًا لأيِّ طارىءٍ، يظنون أنَّ ذلك ينفعهم وإن هو إلَّا كما قال ـ تعالىٰ ـ : ﴿ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً ﴾ [النور : ٣٩]. فهذه عاقبة المنافق المارد؛ السالك في عمياء، مؤثر الدُّنيا علىٰ الآخرة.

ألا يعتبر هؤلاء الذين قلوبهم مثل السِّفنجة ـ التي شربت كل قذر، وأعرضت عن كل طهر ـ بمصير «شاه الفرس»؛ إمامهم في الردَّة وداعيتهم إلىٰ دار البوار، كيف تبرَّأ منه عبَّاد الصَّليب الذين تولاَّهم طول حياته علىٰ حساب بني جلدته؛ لم يمنحوه حتَّىٰ اللُّجوء السّياسي، وإنه ليمنح لأبسط الناس؛ ولم يخدمهم مرة واحدة.

بل أصبح هذا المنافق المارد ـ الحاكم بالقانون الوضعي ـ ، المسهّل الشّرك بأنواعه يبتزّ الكفار الأصليين ـ اليهود والنصارىٰ ـ بالطائفة الموحدة، التي تريد أن تقيم خلافة اللَّه ـ تعالىٰ ـ في الأرض،

بالحجة والبيان، والسيف والسّنان؛ إن هم لاموه علىٰ وحشيته وتعذيبه للموحدين، يقول لهم: ٱختاروا بيني وبين الإرهابيين؟ هؤلاء يريدون أن يرجعوا بالعالم إلىٰ العصور الظَّلامية ـ عصر العلم والمعرفة وكرامة الإنسان وسود العادلة علىٰ الجميع التي جاء بها القرآن ووضَّحتها السنَّة النبوية ـ ، فلقد أصبح هذا القيّم ظلامًا عند هؤلاء الذين فسدت بواطنهم، ففسدت بذلك ظواهرهم. قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿أَفَأَنتَ تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ أَوۡ تَهۡدِي ٱلۡعُمۡيَ وَمَن كَانَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٤٠﴾﴾ [الزخرف].

فهذه حالة كل من صدَّ عن السبيل يبتغي الهداية والنُّصرة؛ أن يقيّض اللَّه ـ تعالىٰ ـ له؛ كما قال باللَّفظ الذي لا يأتيه باطل من بين يده ولا من خلفه: ﴿وَمَن يَعۡشُ عَن ذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ نُقَيِّضۡ لَهُۥ شَيۡطَٰنٗا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٞ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمۡ لَيَصُدُّونَهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [الزخرف]. فكانت عاقبتهم المشؤومة كما قال ـ تعالىٰ ـ : ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيۡتَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَ بُعۡدَ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ فَبِئۡسَ ٱلۡقَرِينُ ﴿٣٨﴾ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلۡيَوۡمَ إِذ ظَّلَمۡتُمۡ أَنَّكُمۡ فِي ٱلۡعَذَابِ مُشۡتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [الزخرف].

والعجب أنَّ هؤلاء ركنوا، ووالوا، وطلبوا النُّصرة من أناسٍ جعلوا مصيرهم بيد أندادٍ وآلهةٍ دون اللَّه، قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةٗ لِّيَكُونُواْ لَهُمۡ عِزّٗا ﴿٨١﴾ كَلَّاۚ سَيَكۡفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمۡ وَيَكُونُونَ عَلَيۡهِمۡ ضِدًّا ﴿٨٢﴾﴾ [مريم]، وَقَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿أَيُشۡرِكُونَ مَا لَا يَخۡلُقُ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسۡتَطِيعُونَ لَهُمۡ نَصۡرٗا وَلَآ أَنفُسَهُمۡ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾﴾ [الأعراف].

وَقَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَطِيعُونَ نَصۡرَكُمۡ وَلَآ أَنفُسَهُمۡ يَنصُرُونَ ﴿١٩٧﴾﴾ [الأعراف]، وَقَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ

ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ﴾ [يس: ٧٥].

ألا ترىٰ أيها المنتكس في حمأة الردَّة؛ بولايتك وركونك للكافرين ـ الذين خوَّنهم اللَّه وأبعدهم عن رحمته ـ لما ٱستدرجهم الشيطان ليلتقوا مع حزب الرحمن قال لهم: ﴿لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٨]، فلما حمىٰ الوطيس وثُبِّتت أقدام الذين علىٰ ربهم يتوكلون، وزُلزلت أقدام الذين بربهم يشركون؛ الذين ٱتخذوا الشيطان ناصحًا ووليًا، قال حينئذٍ: ﴿إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ﴾ [الأنفال: ٤٨].

فهذه الصُّورة هي السنَّة التي لم يجعل اللَّه ـ تعالىٰ ـ لها تبديلاً ولا تحويلاً، والواقع شاهد عيان، فها هي جحافل الصَّليب بخيلها وما شاركهم فيه إبليس برجله تتقهقر **وتعترف أنها أمام خصمٍ عنيدٍ، وعنديته صنعتها عقيدته، فهل من معتبر لمن كان له بصر.**

■ وقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ : «**فيا حسرة علىٰ العباد الذين عرفوا التوحيد، ونُشئوا فيه، ودانوا به زمانًا، كيف خرجوا عن ولاية ربّ العالمين، وخير الناصرين إلىٰ ولاية القباب وأهلها، ورضوا بها بدلاً عن ولاية من بيده ملكوت كل شيء؟!! بئس للظالمين بدلاً**».

فهذه حالة كل من أوذي في اللَّه ـ تعالىٰ ـ جعل ﴿فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ﴾ [العنكبوت: ١٠]، وحالة كل من ٱستحب الدُّنيا علىٰ الآخرة، مع علمه أنَّ ذلك يضرّه، **وحالة كل خائفٍ مرجفٍ خاف إذا غلب اليهود أو النصارىٰ فسارع إلىٰ ولايتهم ومودَّتهم ليحفظ شيئًا من حطام الدُّنيا، مع علمه وتيقنه أنَّ ما هم عليه الموحدة دين الحقّ الذي لا دين سواه.**

فيا حسرة علىٰ من شاهد عناية اللَّه ـ تعالىٰ ـ تحيط بالموحدة، بل حضرها معهم ثم ينتكس بعد ذلك ويخرج عليهم؛ ليس بالاعتزال بل بالمحاربة، والافتراء، والتَّنقّص من قدرهم، كأن يقول: لا فقه ولا علم لهؤلاء، أو أنهم مغالون مفترون متشدّدون مع المخالف ولو في الفروع أو أبسط الأشياء، **فالمنتكس لابدَّ أن يكذب ويفتري ويلحد في الذي تبيّن أنه حقّ، ليسوِّغ لنفسه صحة بطلان ما قام به،** وهذا الصّنف من الناس لم يختص بزمانٍ دون زمانٍ، بل شاهدنا فعلته هذه في أفضل الأزمان، ومع حضرة سيد الأنام ـ صلوات اللَّه وسلامه عليه ـ .

فمن الناس من كان يكتب وحي الرحمن بيده، فٱنقلب علىٰ عقبه، ثم كذب وٱفترىٰ بقوله: كنت أقدم وأأخر في الوحي ورسول اللَّه ﷺ يقرني بذلك، فأقر أعين الكفَّار بكذبه هذا، وقال مَلَأُهم: ألم نقل لكم أنَّ محمدًا كاذبٌ ساحرٌ وبئس ما قالوا، فما ضلَّ محمد وما غوىٰ. فبعدما كان في حاضنة الوحي أصبح يتربص به ريب المنون، لكن لا يكون إلَّا كما قال ـ تعالىٰ ـ : ﴿**إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ** ﴿٢٨﴾﴾ [غافر]، **وَقَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:** ﴿**كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ** ﴿٣٤﴾﴾ [غافر]، **وَقَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:** ﴿**وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ** ﴿٣٢﴾﴾ [لقمان]. والختَّار في اللسان: هو الغدَّار.

فهل يصح بعد هذا قول المرجفين الذين دانوا بالتوحيد زمانًا ثم ٱنقلبوا علىٰ عقبهم ـ كالذي ذكرناه آنفًا ـ أنهم مغالون، ومتشدّدون، ومفرطون في التكفير لا فقه لهم؟! فإذا كان هذا الذي جعلكم تنقلبون علىٰ عقبكم وتعادون أهل التوحيد، وتوالون أهل الشّرك والنَّديد، فما

الذي جعل «الحارث بن قيس»، و«عبد اللَّه بن أبي سّرح»، و«الحارث بن سويد الأنصاري»[١] وأمثالهم ينقلبون علىٰ عقبهم؟!! يعادون أهل التوحيد وأميرهم فيه وقائدهم رسول اللَّه ﷺ ويوالون أهل النَّديد.

أفتصح هذه الأعذار ـ التي ذكرناها ـ معهم؟! فهل من تلبيسٍ للتدليس؟! وهؤلاء الذي فعلوا هذه الردَّة مع رسول اللَّه ﷺ ليس عنادًا وٱستكبارًا عن الحقّ، وإنما ٱستحبابًا في الدُّنيا. فغالب المرتدين يدخلون في هذه الحمأة حبًا لهذا؛ يظنون أنَّ ذلك يجلب لهم منفعة أو يدفع عنهم مضرة؛ لهذا قال اللَّه ـ تعالىٰ ـ في هذا الصّنف: ﴿**كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَـٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ**﴾ [آل عمران: ٨٦]. **فهذه الآية عامة في كل من عرف الحقّ ثم عاداه لزخرفٍ.**

فمن هذا الباب كانت حسرة المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ علىٰ الذين نُشئوا في التوحيد ودانوا به زمانًا ثم ينقلبون إلىٰ ولاية القباب وأهلها.

ثم من قال: أنَّ أهل القباب باقون علىٰ إسلامهم؟! ومن قال: أنَّ مجرد قول الشهادة كافية في ثبوت أصل الإسلام ولو أتىٰ بناقض القباب أو ناقض القوانين الوضعية؟! ثم من قال: أنَّ من كفَّر هؤلاء هو من الخوارج؟! هل مجرد قول الشهادة بدون العمل بمقتضاها تكون عاصمة للدَّم والمال؟!! بل ومانعة من التكفير؟!

يقول العلاَّمة عبداللَّطيف بن عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن

---

(١) قلت: هؤلاء تابوا من الردَّة؛ ورجعوا إلى الإسلام، وقبل منهم النبي ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ وحسن إسلامهم.

عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ ما لفظه: «وقد غلط كثير من المشركين في هذه الأعصار، وظنوا أنَّ من كفَّر من تلفَّظ بالشهادتين فهو من الخوارج، وليس كذلك، **بل التلفظ بالشهادتين لا يكون مانعًا من التكفير إلَّا لمن عرف معناها، وعمل بمقتضاها،** وأخلص العبادة للَّه، ولم يشرك به سواه، **فهذا تنفعه الشهادتان.**» [الدُّرر السَّنيَّة في الأجوبة النَّجدية ١٢/ ٢٦٣ وعيون المسائل ٢/ ٩٦٠].

فٱنظر أيها الموحد إلىٰ قوله: «وقد غلط كثير من المشركين».

كيف يصف عبَّاد القباب بالشّرك ويكفّرهم بذلك، وكذلك الذين والوا دولة القباب المتمثلة في وقته في الدَّولة العثمانية التركية، ولا أقول الذين والوا الحلف اللَّدود ـ عبَّاد الصليب واليهود ـ اليوم، فهذا كفر مخرج من الملَّة ـ معلوم بالاضطرار من الدّين ـ يكفَّر من قام به، ويكفّره المبتدأ في تعلم أصول التوحيد، وكذلك الذين حكَّموا القانون الوضعي ويدعون إلىٰ عبادة طاغوتِ العصر ـ الديمقراطية الإباحية ـ.

وٱنظر أيها الموحد إلىٰ قوله: «وظنوا أنَّ من كفَّر من تلفَّظ بالشهادتين فهو من الخوارج».

فهذه شبهة المشركين ـ مشركة القبور أو مشركة القوانين الوضعية ـ **لأنَّ الشّرك هو شركٌ لحقيقته ومعناه لا لاسمه ولفظه،** وشبهة المرجفين الذين أفسدوا في الدّين ـ وعلىٰ رأسهم المرجئة وطائفتهم الجدد ـ، وما أكثرهم ـ لا كثَّرهم اللَّه ـ، والعجب أنهم ينسبون إلىٰ الأثر، ولا أثر لهم إلَّا جماعة الكوفة ـ حمَّاد وتلامذته ـ ولقد تبرأ منهم سلفنا ونسبوهم إلىٰ البدعة، وقالوا: لو خرج هؤلاء بالسيف علىٰ الأمة لكان أرحم من

خروجهم بهذه البدعة المضلة ـ بدعة الإرجاء المُفَرطة ـ .

ولقد علم الموحّد ـ السَّالك في الوضوح المحافظ علىٰ الصّروح ـ أنَّ أصحاب هذه البدعة لا حظَّ لهم في الآخرة؛ بما ذكره النبي ﷺ بقوله: «**صنفان من أمتي لا يردان عليَّ الحوض: القدرية والمرجئة**» [السلسلة الصحيحة رقم ٢٧٤٨].

والسبب هو بدعتهم الإرجائية؛ التي تمنع المحرَّم من عدم التَّمكُّن من الاستقباح في القلب؛ وهذه إباحية بٱسم الإرجاء، أرأيت أيها الموحّد كم خطورة هذه البدعة؟! ـ سلَّمك اللَّه من شمّ رائحتها ـ .

ونحن نتبرأ من خلفهم، وننسبهم إلىٰ بدعتهم ولا نتحاشىٰ منهم أحدًا ولو بلغ علمه عنان السماء، لكن خلفهم زادوا فوق بدعتهم هذه ـ وخروجهم الممقوت ـ **ٱختلاس المبدع وٱنتحال القول الممتع، وبسط الكلام علىٰ هؤلاء المجروحين ـ عقيدة وأخلاقًا ـ يستدعي أسفارًا.**

وأما من وسم مقارع الحلف اليهوصليبي الجاسّ خلال الدّيار كما هو الحال في «أفغانستان» و«العراق» و«الصومال» و«...» أنهم خوارج فهو الكافر حقًّا، وإن كان فيه إرجاءٌ، فهو إرجاء الغلاة الذي كفَّر سلف الأمة أصحابه، وإن قال بعض المرجفين ـ الحانقين علىٰ الموحدين ـ هذا تشدُّد، قلنا: نعم، ونعم ذلك، بل أمر المولىٰ ـ سبحانه وتعالىٰ ـ ٱتجاه معتقد اللَّدد.

يقول العلاَّمة عبداللَّطيف بن عبدالرحمن بن حسن بن محمد ٱبن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ ما لفظه: «ومن كفَّر المشركين ـ يعني: بأصنافهم؛ سواء كانوا مشركة بالقبور أو مشركة بالقانون الوضعي ـ

ومقتهم، وأخلص دينه للَّه، فلم يعبد سواه فهو أفضل الأئمة وأحقهم بالإمامة؛ **لأنَّ التكفير بالشّرك والتعطيل**[١] **هو أهم ما يجب من الكفر بالطاغوت.**» [الدُّرر السَّنيَّة ١٢/ ٢٦٤ وعيون الرسائل ٢/ ٩٦١].

ولو كان ما نتكلم به من أصولٍ يخفىٰ حكمها علىٰ كثيرٍ من الناس، ـ كالأحكام التي تكون قطعيةً جليَّةً عند بعض الناس؛ وعند آخرين مشتبهةً خفيَّةً ـ لوسَّعنا صدرنا بذلك، كيف والمسائل هذه جليَّة يرتكز عليها أصل الدّين؟! بل لا يتحقّق الكفر بالطَّاغوت إلَّا بها، فالذي لا يعرف هذا التحقيق، ويتجاهل ما فيه من التَّدقيق؛ نقول له: ما للأعمىٰ ونقد الدَّارهم؟!!

---

(١) قلت: سواء كان التعطيل في «الصفات» أو التعطيل في «الانقياد»؛ الذي هو لبّ العبودية، ومن وضع أو حكَّم أو سهَّل القانون الكفري فقد عطَّل العبودية وصرفها للطاغوت، والكفر بهذا وتكفير من فعل هذا والتبرؤ منه هو ركن الإيمان الذي لا يثبت إلَّا به.

«الدَّلِيلُ الخَامِسُ»

قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾ ﴾ [آل عمران].

فأخبر ـ تعالىٰ ـ أنه لا يستوي من ٱتبع رضوان اللَّه، ومن ٱتبع ما يسخطه ومأواه جهنَّم يوم القيامة، ولا ريب أنَّ عبادة الرحمن وحدها ونصرها، وكون الإنسان من أهلها من رضوان اللَّه. وأنَّ عبادة القباب والأموات ونصرها والكون من أهلها مما يسخط اللَّه. فلا يستوي عند اللَّه من نصر توحيده ودعوته بالإخلاص، وكان مع المؤمنين. ومن نصر الشّرك ودعوة الأموات وكان مع المشركين.

فإن قالوا: خفنا!!. قيل لهم: كذبتم، وأيضا: فما جعل اللَّه الخوف عذرًا في ٱتباع ما يسخطه، وٱجتناب ما يرضيه.

وكثير من أهل الباطل إنما يتركون الحقّ خوفًا من زوال دنياهم، وإلَّا فيعرفون الحقّ ويعتقدونه؛ ولم يكونوا بذلك مسلمين.

الشَّرْحُ :

ٱستدل المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ بهذه الآية الكريمة الواردة بعد النهي عن الغلول لعمومها، لأنَّ عموم اللفظ مقدمٌ في الاعتبار علىٰ خصوص السبب، وهذا ممَّا هو متعارفٌ عليه عند المفسرين والأصوليين، والآية جاءت بصيغة الاستفهام المراد منه النَّفي، كأنه يقول: ليس من ٱتبع رضا اللَّه فٱمتثل أوامره وٱجتنب نواهيه، كمن عصاه وشاقَّه.

■ فقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ : «**فأخبر ـ تعالىٰ ـ أنه لا يستوي من ٱتبع**

رضوان اللَّه، ومن ٱتبع ما يسخطه ومأواه جهنَّم يوم القيامة».

فلما خلق اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ هذه الدُّنيا جعلها دار الابتلاء والامتحان، ولا يصح الامتحان حتَّىٰ يكون الشيء وضده، ولهذا قيل: الأشياء تتميز بأضدادها، **قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ**: ﴿**وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ﴿٧﴾**﴾ [الشورى].

فجعل اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ فريقًا سعيدًا وفريقًا شقيًا، ثم قال ـ جلَّ وعلاَ ـ : ﴿**فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا**﴾ [هود: ١٠٧]، **وَقَالَ تَعَالَىٰ**: ﴿**وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا**﴾ [هود: ١٠٨].

وَقَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿**أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾**﴾ [ص]، **وَقَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ**: ﴿**أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾**﴾ [القلم].

فميَّز اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ بين «المصلح» و«المفسد»، وبين «التَّقي» ـ الذي يخافه ويلتزم حدوده ـ وبين «الفاجر» ـ الذي تعدىٰ حدوده وفسق عن أمر ربه ـ ، وبين «المستسلم» في الظاهر؛ بسبب ٱنقياد الباطن، وهذا الصنف مثَّله النبي ﷺ بقوله: «**فإنما المؤمن كالجمل الآنف حيثما قيد ٱنقاد**» [صحيح سنن ٱبن ماجة رقم ٤١ والسلسلة الصحيحة رقم ٩٣٧]؛ وبين «المجرم» الذي تمرد علىٰ الفطرة قبل الشّرعة لجعظريته، فٱتبع ما يملي عليه هواه؛ ولا يفسد الإنسان إلَّا سوء الظَّن وٱتباع الهوىٰ، لهذا قال ـ تعالىٰ ـ : ﴿**يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ**

فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ ﴿٢٦﴾ [ص].

فالهوىٰ يُنسِّي العبادة؛ ويَسْتَجهل التذكير، ولهذا لا يفلح متّبع الهوىٰ أبدًا، ولو في الأمور المباحة؛ **فقد يميل الإنسان في مباحٍ لشيءٍ يهواه، وبعد فترةٍ يتبيَّن له أنه أخطأ في ميله، والسبب أنَّ الهوىٰ يغطي الاستقباح الذي في الشيء؛ فيحجبه فلا يرىٰ، إلَّا إذا جاءت عناية اللَّه، ووقف علىٰ دليل النَّفارة من ذلك، فسجنه من أشدّ السُّجون إحكامًا،** ولهذا قال شيخ الإسلام ٱبن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ : «المأسور من أسره هواه»، وقوله هذا من جوامع الكلم؛ يخص الدّين والدُّنيا.

ثم اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ لما ميَّز بين الفريقين؛ لإيجابه أشياء، أقامها الفريق السعيد ـ جعلنا اللَّه منه في الدُّنيا والآخرة ـ وٱستنكف عنها الفريق الشَّقي، فحلت عناية اللَّه ـ تعالىٰ ـ بـ«السُّعداء»، بأن وفَّقهم، ولطف بهم، وأعانهم، ودفع عنهم كل سوء، ولم يدعهم ويكلهم إلىٰ أنفسهم، وهنا مغزىٰ قوله ﷺ: «**لا يزال اللَّه يغرس في هذا الدّين غرسًا يستعملهم في طاعته**» [صحيح سنن ٱبن ماجة رقم ٨ والسلسلة الصحيحة رقم ٢٤٤٢].

فهؤلاء هم حملة لواء التجديد، للسنَّة النبوية والقرآن المجيد، في كل زمان، وهم الذين يقيمون لبنة الخلافة ويشيّدون صرحها.

فمنهم «العالم» العامل بعلمه؛ المبتغي به مرضات اللَّه، المعظّم لشعائره، المهوّن من مسالك الطَّاغوت، الموضّح قبحها، النَّائي عن المداهنة أو التزلُّف، لا يباع ولا يشترىٰ، المتورّع عن الأشياء المشتبهة

التي لم يتبيَّن قبحها أو حسنها بصورة جليّة، الماسك بأنفه والقائل: «رغم أنفي للحقّ»، «رغم أنفي للحقّ»، «رغم أنفي للحقّ»، فهو رباني فيما أتاه اللَّه ـ علمًا وحكمةً وحلمًا ـ وبذلك أُمر، **قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:** ﴿**كُونُوا۟ رَبَّـٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ** ﴿٧٩﴾﴾ [آل عمران]، يربي الناس بالتَّدرج من الصغير إلىٰ الكبير، **ويخاطبهم بما تستوعبه عقولهم، باللَّفظ الدَّقيق ليتجنَّب التَّلفيق، لا يلقي الكلام علىٰ عواهنه، فهو قائمٌ بما أمر، لا يحابي في ذلك الأمير أو المأمور.**

وإذا خاف البطش من الذين أهلكتهم الصفات السَّبُعُية، تراه يعرّض بالحقّ مخافة الكتمان لما أتاه اللَّه ـ تعالىٰ ـ ، **وفي الغالب تراه يصدع ولا يخاف في اللَّه لومة لائمٍ، محبّب غياهب السجون، علىٰ موالاة الصنف الخبيث** ـ السَّبعي علىٰ الضعفاء من بني جلدته، البهيمي المنقاد أمام الكافر الصائل، أو الكافر البعيد المخوّفه بكرسيه ـ .

ومنهم «العابد الزاهد» ـ في ما لا ينفع في الآخرة ـ المتعبد بالدَّليل، المحافظ علىٰ توحيده؛ المجتنب لكل نقيض، المبتعد عن سماع الشبه المرجفة، التي تهين توحيده، بالافراط أو التفريط، الباذل لماله في سبيل الإصلاح والصَّلاح لا يخشىٰ الفقر؛ زهد في دنياه، وجعل الجنَّة مبتغاه، فبشراه بشراه.

ومنهم «المقارع» المعظّم للحرمات، أينما سمع حرمة تنتهك، ودم مظلومٍ يسفك، وطريق للَّه ـ تعالىٰ ـ يحسَّك، نهض لا يبالي في أيٍّ كان مصرعه، يطالب النّزال، من شروق الشمس إلىٰ الزَّوال، لا يخشىٰ اللَّحد، مؤثر ما عند الفرد الصَّمد، فلقد ترك الولد، لعلمه أنه مجبنة،

مبخلة، محزنة[١]، وسارع يلقي في قلوب الأعداء الرّعب، بما تيسّر له من حديد الصُّلب، فخشاه العدو الصائل الجاسّ خلال الدّيار وحَقِب، وفيه وفي أمثاله قال أئمة العلم ونخبة الفكر: «**ولولا المجاهدون لهلك الدّين، ولكنا ذمة لأهل الكفر**[٢]».

ما من الثلاثة إلَّا علىٰ ثغرٍ من ثغور الإسلام، يخشىٰ أن يؤتىٰ الإسلام من قبله، فهذه هي الطائفة القائمة بأمر اللَّه ـ تعالىٰ ـ، المقاتلة لمن شنأ حدود اللَّه، لا يضرّها من خذلها فضلاً عمَّن عاداها، فهذا الصنف أحاطت بهم عنايته؛ فأنبتهم نباتًا حسنًا، وسلك بهم سبله، ودحض بهم أنوف أعدائه ـ قتلاً، وأسرًا، وقولاً، ـ : ﴿أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾﴾ [الصَّافَّات]. فهؤلاء هم صفوة الأمة، بل صفوة الصَّفوة، فبشراه من تحيَّز وتعصَّب معهم، فكان سندًا وساعدًا لهم، في صغير الأشياء أو كبيرها، فإنها الصَّفوة التي لا تحقر من المعروف شيئًا، وتعلم أنه يصبح مجمع النُّقط بعد فترة سيلاً.

أما «الأشقياء» ـ نعوذ باللَّه أن نكون منهم في الدُّنيا والآخرة ـ حلَّت فيهم حكمته لاستنكافهم عن الحقّ، فخذلهم، وأصل الخذلان: «الترك» و«التخلية»، لهذا يقال: للشاة المتخلفة مع ولدها في المرعىٰ عن القطيع: «خذولٌ»، فوكلهم إلىٰ أنفسهم، وتخلَّىٰ عنهم، وأعرض

(١) يقول عليه الصلاة والسلام: «**إنَّ الولد مبخلة مجبنة محزنة**» [صحيح سنن ابن ماجة رقم ٢٩٧٢ وصحيح الجامع الصغير وزيادته رقم ١٩٩٠].

(٢) قلت: القول لإمام الدُّنيا ابن حزم الأندلسي رحمه الله ـ تعالى ـ في «رسالة التلخيص لوجوه التخليص ضمن رسائل ابن حزم ٣/ ١٥٣، ١٥٤».

عنهم، فٱفترسهم الشيطان وتعبَّدوه من دون اللَّه ـ تعالىٰ ـ، لأنهم الصّنف القاصي عن العبودية، والذِّيبُ[(١)] لا يأكل من الغنم إلَّا القاصية، فلما أسلموا للشيطان أنفسهم وجعلوا له عليهم سلطانًا؛ لأنهم لبُّوا دعوته وأجابوه إليها، كانوا بذلك قومًا بورًا.

فكيف يستوي عبَّاد الرحمن، وعبَّاد الشيطان، ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ۝٣٦﴾ [القَلَم] ؟!!

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ

---

(١) قلت: كتبتها بدون همزة؛ لثبوت ذلك في اللسان العربي المبين، وهذا اللسان هو الذي كتبت به رواية «ورش عن نافع»، فالهمزة محذوفة قراءة وكتابة فيه، كـ«الاَرض» و«الاَنهار» و«الاَلهة» وغير ذلك، ومن تدبَّر كتاب «أصول ٱعتقاد أهل السنَّة والجماعة» للحافظ أبي القاسم اللالكائي وجد ذلك باديًا، فكتب أئمة «الأندلس» و«المغرب» ـ بولاياته الخمسة ـ ؛ كـ«ٱبن حزم» و«ٱبن عبدالبر» و«الحميدي» و«ٱبن بشكوال» وغيرهم، كتبت بهذا الخط العربي ـ حذف الهمزة في الكتابة والقراءة ـ، إلَّا أنَّ المحققين والطَّابعين لذلك الميراث، أضافوا الهمزة في كتب هؤلاء؛ لأنهم من المشرق، ومن ميزة خطهم ـ إثبات الهمزة كتابة، وإظهارها قراءة ـ والمطابع قد تكون محصورة إلَّا هناك.

وهذا يذكرني بأخٍ طالب للعلم من بلاد المشرق ٱسمه «كمال بن محمد البغدادي»؛ من أشراف اليمن الجنوبي، وجدَ «التحفة السَّنية بشرح المقدمة الآجرومية» مطبوعة بهذا الخط ـ وهو الأصل ـ ؛ ومن خصوصية هذا الخط ـ زيادة على حذف الهمزة كتابة وقراءة ـ أنه يعجم «الفاء» بواحدة من تحتٍ و«القاف» بواحدة من فوق، فذهب يصحح ذلك، ظنَّ أنَّ الخطأ مطبعيٌّ؛ فأوضحت له ذلك، وأخرجت له «مصحف ورش»، فصعق وسرّ في آنٍ واحدٍ بذلك.

فهذا هو الذي كان يحملني دائماً أثناء إقامتي في تلك الدّيار، على عدم إمامة العامة في الصلاة مخافة أن يقولوا أنني ألحن في التلاوة، فقد كنت أمتنع عن ذلك؛ إلَّا إذا كانت الإمامة بطلاب العلم، وفي البيت لمانعٍ شرعيٍّ كقوله ﷺ: «**لا صلاة بحضرة طعام، ولا هو يدافعه الأخبثان**» [صحيح الجامع الصغير وزيادته رقم ٧٥٠٩].

فإذا كان المانع هذا، والناس من الخاصة؛ فلا أمتنع إذا قدِّمت للصلاة. فما كتبته كان ثمرة في خذف الهمزة عن الذِّيب؛ ليستفيد اللَّبيب.

﴿هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ⑳﴾ [الحشر].

أما صنف البهائم؛ الذين تولُّوا الشيطان، وعصوا الرحمن، نقول لهم: ﴿كُلُوا۟ وَتَمَتَّعُوا۟ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [المرسلات].

■ وقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ : «**ولا ريب أنَّ عبادة الرحمن وحدها ونصرها، وكون الإنسان من أهلها من رضوان اللَّه. وأنَّ عبادة القباب والأموات ونصرها والكون من أهلها مما يسخط اللَّه**».

فعبادة الرحمن ـ التي هي ما أوجبه الإسلام ـ ، وعبادة القباب والأموات ـ التي زيَّنها المشركون عُبَّاد الأصنام ـ لا تجتمعان في القلب، متىٰ حلت إحدهما ٱنتفت الثانية، لأنَّ لكل منهما لها خصال، متىٰ ظهرت علىٰ الشخص نسب إليها، فمحال أن يستوي الذين قالوا: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾ [آل عمران]، والذين: ﴿يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [المائدة : ٨٠].

وعبادة الرحمن ٱسم جامع لما يحبه اللَّه ـ تعالىٰ ـ ويرضاه، من الأقوال والأعمال؛ الظاهرة والباطنة، وعبادة القباب والأموات؛ التي زينها الشيطان للذين تولوه هي: ٱسم جامع لما يبغضه اللَّه ـ تعالىٰ ـ ويسخطه، من الأقوال والأعمال؛ الظاهرة والباطنة، وإن زيّنت بزينة التَّقوىٰ، ولبِّست بتلبيس الورع.

فجعل اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ الصِّراع بين أصحاب العبادتين للبلاء والامتحان، قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ﴾ [محمد : ٤]، وَقَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾ [آل عمران : ١٥٢]، لأنه علم أنَّ صاحب العبادة الحقَّة، قد ينفذ إليه سهمٌ من سهام إبليس ـ

اللَّعين ـ فيريد بعبادته تلك حظوظ الدُّنيا، لهذا قال ـ تعالىٰ ـ في آية اللّقاء والنّزال للأعداء؛ ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ ۚ﴾ [آل عمران: ١٥٢].

فتبيَّن من محنة الكفار، أنَّ منهم من يريد الغنائم، ومنهم من يريد الشهادة، فهذه تصفيةٌ خاصة؛ لأنَّ كل منهما يقاتل ولا يخشىٰ العدو، لكن نفذ إلىٰ أحدهما لما رآه من الدُّنيا، **لأنَّ طلب الشيء وحبه وإرادته فرعٌ عن الشعور والإحساس والتَّصور**، فلما كان طالب الشهادة، شعوره وإحساسه وتصوره أنَّ الجنَّة فيها كل محبوب ومطلوب، بل «**ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر علىٰ قلب بشر**»، زهد في الذي لا يعادلها ألبتة، أحبَّ ذلك حبًا عظيمًا فأقبل علىٰ طلبه، وباب ذلك الشهادة، فحرص علىٰ طلبها لعلَّ يظفر بمراده.

فهذه الصفوة يخرج اللَّه ـ تعالىٰ ـ دائمًا منها صفوتها، لهذا قال اللَّه ـ تعالىٰ ـ : ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾﴾ [الأحزاب]. فالزلزال حصل ليخرج به اللَّه ـ تعالىٰ ـ من جمع الوصفين؛ «الإعراض عن الدُّنيا كليًا»، و«الإقبال علىٰ الآخرة سعيًا»، من الطائفة المؤمنة بقوله: ﴿هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾؛ فهذه هي «التَّصفية الخاصة».

أما «التَّصفية العامة»؛ يتميَّز بها الموافق لما أراد اللَّه وأحبَّه؛ وأمر بتحصيله، من المنافق، فلولا بلاء الفقر والفقراء، لادَّعىٰ الغني الإحسان وحب الإنفاق، ولولا المرض لادَّعىٰ المصح الشكر والعافية، لهذا

قال اللَّه ـ تعالىٰ ـ : ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء : ٣٥]، ولولا الحروب السّجال، لادَّعىٰ كل مدَّعي الصبر خلال النّزال، ولهذا قال اللَّه ـ تعالىٰ ـ : ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾﴾ [آل عمران].

فلولا البلاء والامتحان للتَّمحيص لادَّعىٰ كل إنسان ما يهواه، ولقد علم أنه صعب عليه التحصيل، وما أحسن في هذا ما قيل:

وَالدَّعَاوِى مَا لَمْ تُقِيمُوا عَلَيهَا ... بَيِّنَات أَبْنَاؤُهَا أَدْعِيَاء

فدعوة الإيمان وحب الجنان، تثبتها بيّنة الصبر علىٰ محنة الكافر الفاجر، ودعوة حبّ محاب اللَّه؛ تثبتها بيّنة الصبر علىٰ ما يسخطه ويبغضه، ودعوة الجهاد تثبتها بيّنة الصبر علىٰ مكارهه، ودعوة العلم، تثبتها بيّنة التحقيق المؤصَّل، ودعوة الصَّدع تثبتها بيّنة البعد عن التّزلف والدّخول علىٰ السلاطين، ودعوة طلب العلم تثبتها بيّنة الصبر علىٰ جفوته، ودعوة الإخلاص تثبتها بيّنة التّجرد من حظوظ النفس فضلاً عن النَّفيس، وكل ذلك هو معنىٰ قوله ـ تعالىٰ ـ : ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [هود : ٧]، وقوله ـ تعالىٰ ـ : ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ﴾ [الملك : ٢].

فَهَذَا الحَقُّ لَيسَ بِهِ خَفَاءٌ ... فَدَعْنِي مِنْ بُنَيَّاتِ الطَّرِيقِ

فعبادة الرحمن جالبة للسَّعادة الأبدية، والعبادة الطَّاغوتية؛ من

قبابٍ، وأضرحة الأموات، وما شابهها؛ مما يزينه الشيطان ويجلب عليه بخيله ورَجله جالبةٌ للشقاوة السَّرمدية.

وعبادة القباب أول من أظهرها هم «بنو بُوَيْه» الدَّيالمة الرافضة، لما دخلوا في الإسلام ليفسدوا فيه، فالزنادقة القرامطة «بنو عبيداللَّه القَدَّاح» ـ مجوس الأهواز ـ لما ٱدَّعوا نسب أهل البيت؛ وإلىٰ اليهودية تميت[1]، وقصدوا «المغرب الأقصىٰ» ٱستجاب لهم كل مسرف كذَّاب، أو جاهل من الرَّعاع مرتاب، فبنوا الدَّولة، وأعظموا الفرية، وسبُّوا الرعيل الأول علىٰ المنابر، وٱتخذوا المشاهد والقباب علىٰ المقابر، وزيَّنوها بالفسيفساء والمرمر، فٱنبهر جهلاء وصوفية البربر، فوقعوا في عبادتها يعظمونها، وصريح السنَّة والتَّجرد لعبادة اللَّه ـ تعالىٰ ـ وحده يسخطونها.

فحصل بهم البلاء، وعجز عن صدّه أولوا العقول والدَّهاء، حتَّىٰ لطف اللَّه ـ تعالىٰ ـ بالعباد، وقوَّض حصونهم من تلك البلاد، بأصحاب السنَّة كـ«المعز بن باديس» رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ ، وليس «المعز

(١) قال الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالى ما لفظه: «نقل المؤيد الحموي في تاريخه ـ يعني: «المختصر في أخبار البشر»، أنَّ المهدي ٱسمه فيما قيل: سعيد بن الحسين، وأنَّ أباه الحسين قدم «سَلَمِيَّة». فوصفت له ٱمرأة يهودي حداد، قد مات عنها. فتزوَّجها الحسين بن محمد بن أحمد بن عبدالله القَدَّاح هذا وكان لها ولدٌ من اليهودي، فأحبه الحسين وأدَّبه. ولما ٱحتضر عهد إليه بأمور، وعرَّفه أسرار الباطنية، وأعطاه أموالاً، فبثَّ له الدُّعاة.» [سير أعلام النبلاء ١١/ ٥٧٤].

قلت: هذا الولد اليهودي ترجمه الذهبي بٱسمه «عبيدالله أبو محمد» ـ يعني: عبيدالله بن عبدالله القَدَّاح؛ المتَّسم بالمهدي، وهو أوَّل الباطنية دخولاً إلى «المغرب الأقصى»، فٱستجاب له جهلاء البربر، وحصل به وبذريته المصائب العظام، التي قوَّضت صرح الإسلام في تلك الديار، فقيَّض الله ـ تعالى ـ لهم من هدم مذهبهم، وأجهز على نسلهم؛ فٱندحروا بلا رجعة.

ٱبن تميم بن معد» الزنديق ـ الذي كان أول ملوكهم دخولاً للقاهرة ـ ، فبقوا فيها نحو مائتي سنة يظهرون الزندقة والبدع الفاجرة، فقيَّض اللَّه ـ تعالىٰ ـ لها «صلاح الدّين الأيوبي»، فأزال عنها دعوة العبيدية البويهية ـ القرمطية الباطنية ـ من عبادة القبور والأصنام، وأظهر بها دين الإسلام، فلقد قال العلماء في دارهم آنذاك: لقد كانت دار ردَّة ونفاق كـ«دار مسيلمة الكذَّاب».

ولهذا كنت أقول دائمًا، ومازلت أقول للذي يدَّعي الحسنية ـ نسب أهل البيت النَّبوية ـ في «المغرب الأقصىٰ»: إني لأخشىٰ أن تكون من بقايا العبيدية، فالنسبةُ الحسنيةُ في «الجزائر» ثابتةٌ، بفروع شجرة لاحبة، فما وجدت في «المغرب الأقصىٰ» أحدًا يدَّعي من ينبوع أهل البيت يسيل، إلَّا وكان للرفض والتَّشيع يميل، إلَّا قلَّة قليلة، معتصمة بالسنَّة الجليلة، نحسبهم واللَّه ـ تعالىٰ ـ حسيبهم، وإلىٰ ظاهر صالح أعمالهم نكلهم.

وهلمَّ لأضرب لك لما أتخوف منه مثلاً، لتجد ما أقوله لك أمام عينيك ماثلاً، فها هو المحدث «أحمد بن محمد بن الصديق الغماري» في «**الجَوَابِ المُفِيدِ للسَّائِلِ المُسْتَفِيدِ**»، أجد ما أريد، يسوق أسانيد ويصحّحها في كفر معاوية ـ رضي اللَّه عنهما ـ ، بل يتَّهم إمام أهل السنَّة «أحمد بن حنبل» أنه ذكر الرواية ولم يصرّح بٱسم المعني، فقال بما لفظه: «هكذا ستره أحمد في المسند علىٰ عادته» [الجواب المفيد للسائل المستفيد ص ٥٨].

وقال في «الصفحة» التي قبلها ما لفظه: «... ولذلك ٱضطر

بعضهم إلىٰ تحريفه فرواه بعضهم فٱقبلوه بالباء ـ يعني: معاوية بن أبي سفيان ـ وٱضطر النَّاصبي الكبير «عبداللَّه بن أبي داود» صاحب السنن، ـ أعني: الأب صاحب السنن ـ ؛ التي هي أحد الكتب الستة، أما الإبن فله مؤلفات أخرىٰ وكان ناصبيًا خبيثًا».

ويقول في العلاَّمتين المصلحين؛ «بشير الإبراهيمي» و«عبدالحميد بن باديس» رَحِمَهُمَا اللَّهُ ـ تعالىٰ ـ ما لفظه: «والبشير الإبراهيمي وعبدالحميد بن باديس من بابة «ٱبن العربي العلوي» **في نشر معالم «الوهابية»، ومحاربة الحقّ والفضيلة بٱسم الدّين والسنَّة، ومن بغض عبدالحميد بن باديس وتمسكه بعداوة أهل البيت طبعه لذلك الكتاب الخبيث كمصنفه «العواصم والقواصم» لابن العربي المعارفي النَّاصبي الخبيث.**

ولا أعرف واحدًا من الرجلين إلَّا أني لما ذهبت إلىٰ «قسنطينة» وقعت إليَّ مكتبته، فٱشتريت منها الكثير، وعرفت أنه كان يقتني كتبًا علمية جيدة.» [الجواب المفيد للسائل المستفيد ص ٦٦].

أما في «الحلاَّج» الزنديق[١] فيقول ما لفظه: «أما الحلاَّج فكلام

---

(١) قال الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ ـ تعالى ـ ما لفظه: «قال السُّلمي: وحكي عنه ـ يعني: الحلاَّج ـ أنه رُئي واقفًا في الموقف، والناس في الدُّعاء، وهو يقول: أنزِّهك عما قَرَفَكَ به عبادُك، وأبرأ إليك مما وحَّدك به الموحدون.

قلت ـ يعني: الذهبي ـ : **هذا عين الزندقة، فإنه تبرأ مما وحَّد الله به الموحدون الذين هم الصحابة والتابعون وسائر الأمة، فهل وحَّدوه ـ تعالى ـ إلَّا بكلمة الإخلاص التي قال رسول الله** ﷺ: **«من قالها من قلبه، فقد حرم ماله ودمه»**.

فإذا برىء الصوفي منها، فهو ملعونٌ زنديق، وهو صوفي الزِّيِّ، والظاهر، متستر بالنسب إلى العارفين، وفي الباطن فهو من صوفية الفلاسفة أعداء الرسل، كما كان جماعة من أيام النبي←

«التَّنوخي» المعتزلي فيه غير غريب؛ بل الأغرب منه كلام مثل «الخطيب» صاحب التاريخ، فقد أطال فيه جدًا، وكل ذلك باطل. والرجل كان من كبار الصوفية؟! ومن لم يخالط كتب القوم لا يعرف مقامه. ومن يقرأ ترجمته من تاريخ «الخطيب» يكاد يجزم بأنه دجَّال، فٱعرف هذا علىٰ سبيل الاختصار.» [الجواب المفيد للسائل المستفيد ص ٥١].

أما الآن؛ فجهّز سمعك أيها الموحد، لتسمع طامته الكبرىٰ التي لا طامة فوقها ألبتة، فها هو يشكك في كفر الذي قال ـ تعالىٰ ـ فيه وفي حاشيته المقبوحة: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ [غافر].

فيقول في هذه الطَّامة الكبرىٰ ما لفظه: «ومسألة إيمان «فرعون» ألف فيها إثباتًا وٱنتصارًا للشيخ الأكبر العلاَّمة «الجامي»، ورد عليه ذلك المغفل «علي القاري» الحنفي بكتاب سمَّاه «فرا لعون من مدَّعي إيمان فرعون» مطبوعٌ بالأستانة هو والأصل المردود عليه، ولكن ٱنبرىٰ له العلاَّمة الصوفي المطَّلع المتضلع من العلوم المعقولة والمنقولة

ﷺ منتسبون إلى صحبته وإلى ملَّته، وهم في الباطن من مَرَدَةِ المنافقين. ـ إلى أن قال ـ : **فما ينبغي لك يا فقيه أن تُبادر إلى تكفير المسلم إلَّا ببرهان قطعي، كما لا يسوغ لك أن تعتقد العرفان والولاية فيمن قد تبرهن زَغَلُه، وٱنهتك باطنه وزندقته.**

ـ إلى أن قال ـ : فتدبر يا عبدالله نحلة «الحلاَّج» الذي هو من رؤوس القرامطة، ودعاة الزندقة، وأنصف وتورَّع وٱتق ذلك، وحاسب نفسك، **فإن تبرهن لك أنَّ شمائل هذا المرء شمائل عدوٍّ للإسلام، محب للرئاسة، حريص على الظهور بباطل وبحق، فتبرأ من نحلته، وإن تبرهن لك ـ والعياذ بالله ـ ، أنه كان ـ والحالة هذه ـ محقٍ هادٍ مهدي، فجدّد إسلامك** وٱستغث بربِّك أن يوفقك للحق، وأن يثبت قلبك على دينه، فإنما الهدى نورٌ يقذفه الله في قلب عبده المسلم.»

[سير أعلام النبلاء ١١/ ٣٤٢، ٣٤٣ «ترجمة الحلاَّج الحسين بن منصور»].

«محمد بن رسول البرزنجي» فألف كتابًا لطيفًا سمَّاه «التأييد والعون لمدَّعي إيمان فرعون» أتىٰ فيه بما يبهر العقول كما في أبوي النبي ﷺ وقد قرأت الجميع والحمد للَّه. و«التأييد» عندي عليه خطه.

وقد ألف «كنون» الفقيه الفاسي رسالة في الرد علىٰ «ٱبن العربي[1]» قرأتها أيضًا، وللعلاَّمة «الجامي» كتاب سمَّاه «الجانب الغربي في نصرة ٱبن العربي» ألفه بالفارسية[2]، وترجمه «ٱبن رسول البرزنجي»، وسمَّاه «الجانب الغيبي» في مجلد كبير، أجاب فيه عن جميع ما أشكل من كلام الشيخ، ولعبدالغني النابلسي، «الرَّد المتين» أيضًا وكلاهما موجود.

وللبحث مجال في أدلة الجميع، **وصاحبك الذي يقول إنَّ الدَّليل علىٰ كفره قطعي، لعله لا يفهم معنىٰ القطعي، واللَّه ـ تعالىٰ ـ يخبر عنه أنه آمن عند خروج روحه، أو عند معاينته الهلاك، وعاتبه اللَّه علىٰ ذلك إذ تأخر بإيمانه إلىٰ ذلك الحين، ولم يقل بعد ذلك إنه لم يقبل إيمانه. فأين الدَّليل القطعي الذي خرقه الشيخ ـ رضي اللَّه عنه ـ؟! ثم ما**

---

(١) الصوفي الخبيث؛ صاحب «الفتوحات الربانية» و«فصوص الحكم».

فعادة أهل السنَّة والجماعة يصفونه «بٱبن عربي»؛ يحذفون من ٱسمه «ال» التعريف ليميزوا بينه وبين العلاَّمة السنِّي؛ «ٱبن العربي» المالكي، صاحب «أحكام القرآن» و«العواصم والقواصم» و«الناسخ والمنسوخ في القرآن».

(٢) لاحظ كلمة بـ«الفارسية»، تجد الزندقة مصدرها إلَّا «الفرس» إلى أن يأتي الكافر الأكبر «مسيح الدَّجال»؛ والسبب هو الحنق على العرب لما زال ملكهم على أيديهم، فكانوا أصحاب منعة وقوَّة؛ حتَّى لقّبوا بـ«الأحرار» فهالهم ذلك، فأظهروا الرفض، وأبطنوا الكفر المحض.

فالفرس وما ٱجتمع عندهم من «يهود» شيعة الدَّجال الكبرى؛ لقوله ﷺ: «**يخرج الدَّجال من يهودية أصبهان، معه سبعون ألفًا من اليهود عليهم الطَّيالسة**» [مسلم رقم ٧٣١٨].

الحكمة في قوله ـ تعالىٰ ـ : ﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ ولم يقل فرعون، وما الدَّاعي إلىٰ ذلك التأويل يذكره المفسرون، فالمسألة ٱجتهادية لا قطع فيها أصلاً.

وأنا قرأت رسالة «البرزنجي» بمصر سنة إحدىٰ وخمسين أي: منذ ثلاث وعشرين سنة، ولم يبق بذهني من أدلته شيء إلَّا أنه أجاد وأفاد، علىٰ أنَّ «العارف الشعراني» يقول: إنَّ الشيخ الأكبر يتكلم علىٰ فرعون آخر غير «فرعون موسىٰ» ولكنه ٱعتذار ظاهر الضعف.

و«الفتوحات» و«الفصوص» مشحونة بالمعارف الإلهية التي عجز أن يأتي بمثلها كبار العارفين لا بالطَّامات، نعم هي طامات علىٰ الجهلة لأنها سبب في هلاكهم ووقوعهم في محاربة اللَّه ـ تعالىٰ ـ بمحاربة أوليائه.

والشيخ الأكبر ـ يعني: ٱبن عربي صاحب الطَّامات ـ لا يوجد له حرف واحد في «الحلول»، ومحال عقلاً أن يدَّعي الحلول، وهو ينكر وجود غير اللَّه معه مطلقًا، ففي من يحل ولا وجود لغيره معه عنده وهذه الكائنات كلها في قوله أوهام لا حقيقة لها؟!

والخوض في هذا الباب صعب علىٰ أمثاله، فإما أن يؤمن بكلام أهل اللَّه، وإما أن يسلم، وإلَّا فالهلاك المحقق؟!.» [ٱنتهىٰ بكامله من الجواب المفيد للسائل المستفيد ص ٩٦، ٩٧].

أحببت أن أنقل النَّص بكامله؛ لتعلم أيها الموحد المحافظ علىٰ الأصول، الغاضب إذا ٱنتهك جنابه، **أنَّ «الرفض» بٱسم التشيع و«التصوف» إذا عقد القران بينهما أنجبا لنا البدعة الفاجرة ـ الانحلال**

العقدي والخلقي ـ ، فلا تجد صوفيًا قبوريًا يدعو إلىٰ شركياته، إلَّا وتجد الرَّفض باطنه، أو وراءه يأزه أزًا.

ويذكّرني إلحاد هذا الرافضي ـ بٱسم الحسنية أو التحبب لأهل البيت والدّفاع عنهم أوالتَّصوف ـ ، بالمعتزلي المعطل الذي أراد أن ينفي صفة الكلام عن اللَّه ـ تعالىٰ ـ تبعًا لبدعته التي أُشْربها قلبه، فقرأ لأحد علماء السلف قوله ـ تعالىٰ ـ : ﴿**وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا** ﴿١٦٤﴾﴾ [النساء]؛ بالنَّصب لِلَفظ الجلالة، ليكون موسىٰ عليه السلام هو المتكلم، فقال له العالم الربانيُّ: فما تفعل بقوله ـ تعالىٰ ـ : ﴿**وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ**﴾ [الأعراف: ١٤٣]؟! فبهت الذي ألحد.

لأنَّ قوله: «آل فرعون ليس فرعون بعينه» إلحاد في القرآن واللسان، فلفظ «آل فلان» في الكتاب والسنَّة واللسان يدخل فيه ذلك الشخص، مثل قوله ـ تعالىٰ ـ في الملآئكة الذين ضافوا إبراهيم: ﴿**إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمٖ مُّجۡرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ**﴾ [الحجر: ٦٠]، ثم قال: ﴿**فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ**﴾ من القائل؟! أليس لوطًا؟! ﴿**إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ مُّنكَرُونَ ﴿٦٢﴾**﴾ [الحجر].

وإلَّا كان قوله ـ تعالىٰ ـ : ﴿**إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٖۖ نَّجَّيۡنَٰهُم بِسَحَرٖ ﴿٣٤﴾**﴾ [القمر]. أنَّ لوطًا من المهلكين ـ والعياذ باللَّه ـ .

وهل كان قوله ﷺ لما قال: «**اللَّهمَّ صل علىٰ آل أبي أوفىٰ**» [متفق عليه]، يعني به أهله دونه؛ و«أبو أوفىٰ» هو صاحب الصدقة؟!!

فماذا نقول للذي أعرض عن هذا كلّه، ثم ذهب يلحد ٱتباعًا لبدعته؟!

نقول: تدبرنا الأمر، فوجدنا هـٰهنا إلَّا صنع اللَّه ـ تعالىٰ ـ ولطفه، ولقد ٱنتدب للرَّد علىٰ هذه الفرية العظيمة، والطَّامة الكبرىٰ شقيقه المحدث «عبداللَّه بن صديق الغماري» بمقالة زيَّف فيها ما ٱدَّعاه من الباطل سمَّاها «ٱستمداد العون لإثبات كفر فرعون»، بالرغم أنه يشاركه في «التَّشيع» و«التَّصوف»، إلَّا أنه رأىٰ أنَّ ذلك لا يطاق، ومن جنس كلام شيطان الطَّاق.

فأحمد بن محمد بن الصديق الغماري لولا «الرَّفض» بٱسم التَّشيع والتَّصوف لكان عالم الدُّنيا في وقته، وفرد المغرب ومحدِّثه دون منازع، ويعلم هذه الشهادة كل من فتح اللَّه ـ تعالىٰ ـ عليه في علم الحديث، وأوَّل من يعرف ذلك العلاَّمة «الألباني» رَحِمَهُ اللَّهُ ـ تعالىٰ ـ فهو ٱلتقاه، ودارت بينهما مناقشات وحوارات، أشار إلىٰ بعضها صاحب البدعة في «**الجَوَابِ المُفِيدِ** ص ٦٠، ٦١».

والعجب أنَّ الرجل الغارق في صوفيته يقول في «كتاب التوحيد» لابن خزيمة رَحِمَهُ اللَّهُ ـ تعالىٰ ـ ما لفظه: «... **ومرادي من نفاسة الكتاب ذكر الأدلة الصَّريحة لمذاهب السلف مع الأسانيد الصحيحة، والكلام عليها بما يقطع شغب كل مبتدع أشعري من أفراخ الاعتزال**» [الجواب المفيد للسائل المستفيد ص ٨٠].

ويثني علىٰ «ٱبن قيم الجوزية» رَحِمَهُ اللَّهُ ـ تعالىٰ ـ ويحث علىٰ قراءة كتبه ويقول: إنها نافعة جدًا، ويذم شيخه «ٱبن تيمية» رَحِمَهُ اللَّهُ ـ تعالىٰ ـ ويعاديه كـ«الكوثري» ويقول فيه: إنه يبغض الصوفية وأهل اللَّه.

فأفضل ما وجدت في هذا الكتاب من نفاسة المقالات؛ مقالة

سمَّاها «وجوب الصيام علىٰ رؤية أيِّ قطر من أقطار الأرض وشذوذ المغاربة في هذا الباب».

وعلىٰ كلّ أنَّ هذه العائلة الغمارية ـ الخمسة الأشقاء ـ «أحمد» الذي ذكرنا طاماته و«عبداللَّه» و«الزمزمي» و«عبدالحي» و«عبدالعزيز» وترتيبهم في العلم علىٰ ترتيب أسمائهم الآنف، كلهم ٱنتحلوا «التَّشيع» للدَّس، و«التَّصوف» للانحراف، وما ذكرناه وأطلنا عنان القلم فيه؛ **لتعلم أيها الموحد أنَّ الشَّرَّ الذي يعطل التوحيد لا يدخل إلَّا من هذا الباب، وأنَّ موالاة الكافرين معظمها لا تأتي إلَّا من هذا الصنف الخبيث، ولتعلم أنَّ «الرَّفض» و«التَّصوف» أخوانٌ من الرضاعة، فالبدعتان حرب علىٰ أهل الإيمان، فما ٱستشرفت بدعة وطال عنقها، إلَّا وكانوا هم حُضَّنها.**

أما ما حملني علىٰ قراءة هذا الكتاب؛ علىٰ ما فيه من طامات كِذاب، وصية جليلة للعلاَّمة المعلمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ يقول فيها ما لفظه: « ـ إنَّ من الطَّبع الذي يتطبع به الإنسان ـ أنه إذا عرف في طائفة أنهم علىٰ الحقّ في كثير من المسائل، وعرف في طائفة أخرىٰ أنهم علىٰ باطل في كثير من المسائل، **ثم ذكرت له مسألة ٱختلفت الطائفتان فيها فإنه يتسرع إلىٰ الحكم بأن الحقّ فيها مع الطائفة الأولىٰ، ولو لم يعرف لهم حجة، بل قد تتلىٰ عليه الحجج الموافقة للطائفة الثانية، وتكون قوية ولا يعرف حجة الطائفة الأولىٰ، ولكنه لا يستطيع دفع ذلك الوهم عنه، وهذا من أشنع الغلط.** وفي الحديث: «**الكلمة الحكمة ضالة المؤمن، حثيما وجدها فهو أحقّ بها**» [أخرجه الترمذي وٱبن ماجة].

ـ إلىٰ أن قال ـ : ومنها: **أنه قد لا يوجد الحقّ في بعض المسائل عند**

من ٱشتهر بالحقّ، لأنَّ من شأن الضَّالة أنها تقع في محل غير مناسب لها، فلا توجد إلَّا فيه، ولا توجد في المحل المناسب لها، **فمن ٱقتصر علىٰ طلبها في المواضع المناسبة لها لم يظفر بها.**

ومنها: **أنه لا ينبغي للمؤمن أن يستنكف عن طلب الحقّ عند من ٱشتهر بخلاف الحقّ، ولا عن قبوله منه.**

فإنَّ من ضل خاتمه ـ مثلاً ـ فوجده في كنَّاسة، أو بيد مشرك، أو مبتدع، أو من يلابس القاذورات ـ مثلاً ـ؛ **لم يمنعه ذلك من أخذه، ولو ٱمتنع لعدّ أحمق.**

ومنها: **أنه ينبغي للمؤمن أن يتعرف الحقّ من حيث هو حقّ، ولا يلتفت إلىٰ حال من قاله، حتَّىٰ لو ٱختلف عليه وليٌّ وفاجرٌ، أو إمامٌ وجاهلٌ، لم يحمله ذلك علىٰ تلقي كلام الولي أو العالم بالقبول، بدون تحقق أنه الحقّ،** كما أنَّ من ضل خاتمه ـ مثلاً ـ فلقيه ولي وفاجر، أو إمام وجاهل، بيد كل منهما خاتم؛ يقول له: أرىٰ أنَّ هذا خاتمك، لم يلتفت إلىٰ جلالة الولي أو الإمام، ودناءة الفاجر أو الجاهل.

ومنها: **أنَّ ترك الأخذ بقول ولي أو إمام لا يكون تحقيرًا له، ولا ٱستخفافًا بحقه، فإنَّ من عرف أنَّ خاتمه هو الذي بيد الفاجر أو الجاهل فأخذه، وترك الذي بيد الولي أو الإمام؛ لم يعد مهينًا لهـٰذين، ولا مسيئًا إليهما، كما أنه لا يعد معظِّمًا مبجلاً لذلك الفاجر أو الجاهل، وإن كان عليه شكره.** ومن أمعن في تدبر الحديث ظهر له أكثر مما ذكرنا.

ومما يحسن ذكره هنا قوله ـ تعالىٰ ـ : ﴿**وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ أَن صَدُّوكُمۡ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ أَن تَعۡتَدُواْ**﴾ [المائدة: ٢].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ٨ ﴾ [المائدة].

ومن العدوان وترك العدل أن ترد قول العالم بدون حجة، ولكن لأنك تسيء الظَّن به، أو لأنَّ كثيرًا من الناس، أو أكثرهم يخالفونه ويدَّعون عليه أنه يخالف الحقّ في بعض المسائل، وكما أنَّ هذا عدوان علىٰ ذلك العالم، فهو عدوان علىٰ الحقّ أيضًا، لأنَّ عليك أن تطلبه بالحجة والبرهان، فتركت ذلك، وعدوان علىٰ نفسك أيضًا لأنك ظالمٌ لها.» [رفع الاشتباه عن معنىٰ العبادة والإله ص ٧٨ ـ ٨٠].

وكذلك ما ذكره الأمير «عبدالقادر الجزائري» ـ الحسني الزَّاهد ـ نزيل دمشق في كتابه «*ذِكْرَى العَاقِل وَتَنْبِيه الغَافِل*»؛ ومما ذكره من تلك المقالات الحسنوات ما لفظه: «**ٱعلموا أنه يَلْزَم العاقل أن ينظر في القول ولا ينظر إلىٰ قائله، فإن كان القول حقًا قبله، سواء كان قائله معروفًا بالحقّ أو بالباطل، فإنَّ «الذهب» يستخرج من التراب و«النرجس» من البصل و«الترياق» من الحيَّات، ويجتنىٰ «الورد» من الشوك؛ والكلمة من الحكمة ضالة العاقل، يأخذها من عند كل من وجدها عنده سواء كان حقيرًا أو جليلاً.**

ـ إلىٰ أن قال ـ : ـ فيجب علىٰ العاقل ـ أن لا يعاف العسل إذا وجده في محجمة الحجَّام. ويعرف أنَّ الدَّم قذرٌ لا لكونه في المحجمة ولكنه قذر في ذاته، **فإذا عدمت هذه الصفة في العسل فكونه في ظرف الدَّم المستقذر لا يُكسبُه تلك الصفة**، ولا يجب نفرةً عنه. وهذا وهمٌ باطلٌ

غلب علىٰ أكثر الناس، **فمهما نسب كلام إلىٰ قائلٍ حسن ٱعتقادهم فيه قبلوه، وإن كان القولُ باطلاً؛ وإن نُسبَ القول إلىٰ من ساء فيه ٱعتقادهم ردُّوه، وإن كان حقًّا. ودائمًا يعرفون الحقّ بالرجال ولا يعرفون الرجال بالحقّ؛ وهذا غاية الجهل والخسران** ـ إلىٰ أن قال ـ : والمتَّبعون من الناس علىٰ قسمين:

قسمٌ عالمٌ مسعدٌ لنفسه ومسعدٌ لغيره، وهو الذي عرف الحقّ بالدَّليل لا بالتقليد، دعا الناس إلىٰ معرفة الحقّ بالدَّليل، لا بأن يقلدوه.

وقسمٌ مهلكٌ لنفسه، ومهلكٌ لغيره، وهو الذي قلَّد آباءه وأجداده فيما يعتقدون ويستحسنون، وترك النظر بعقله ودعا الناس لتقليده، والأعمىٰ لا يصح أن يقود العميان... ـ إلىٰ أن قال ـ : فإنَّ العقل المتجرد للفكر في حقيقة من الحقائق، **ربما لا تنكشف له، لكونه مجبوبًا بٱعتقاد سبق إلىٰ القلب وقت الصِّبا، علىٰ طريق التقليد، والقبول بحسن الظَّن، فإنَّ ذلك يحول بين القلب والوصول إلىٰ الحقّ، ويمنع أن تنكشف في القلب غير ما تلقاه بالتقليد، وهذا حجاب عظيم حجب أكثر الخلق عن الوصول إلىٰ الحقّ، لأنهم محجوبون بٱعتقادات تقليدية رسخت في نفوسهم وجمدت عليها قلوبهم**».

فهذا مسلكُ المميِّزة بين الحقّ والباطل، لا تتحاشىٰ في تبيّينه وٱقتنائه أين وجد.

فالطائفة الكافرة إذا قالت الحقّ، نقول: أصبت وأنت كافرة، والطَّائفة المؤمنة إذا قالت الباطل، نقول: أخطأت وأنت مؤمنة، وإذا حرَّفت المحرفة، نقول: حرَّفت وأنت محرّفة ومتزلّفة.

فالمحرَّرُ موافقٌ لما نحن بصدده في هذا الشَّرح، فقد يقرأ لي بعض المحقِّبة النَّاعقة بكل متجرِّدٍ من الدَّليل، فينفر ممَّا أقول؛ ويدَّعي أنَّ في ذلك تشدُّدٌ، وإذا سئل ما حجَّتك في ذلك، قال: لم تقل «الشَّيخية» ولا «الفوزانية» ولا «اللّحيدانية» ذلك.

قلنا: هل هذه أصابت الحقّ كلّه لم يعزب عنها شيء منه؟! **بل هذه عارضت الحقّ اللاَّحب بحجج واهيةٍ عن الحقّ حائدةٍ، وٱدِّعاء الصحَّة والصواب؛ لا يكون بدون نصوص السنَّة والكتاب، فالحقُّ واحدٌ في نفسه لا يتعدد، وبالنصوص الواضحة تَلَبَّد.**

فٱعجبوا أيها المنصفون من هذه الفضيحة المردية، والسَّمجة المبدية، **فالنَّواكة لا تروج إلَّا علىٰ سفهاء الأحلام، وأشباه الأنعام. فما يظهر من فهمٍ وعلمٍ علىٰ أيدي الذين دأبهم التَّنقيب عن الحجة، لا يتوجَّب علىٰ العاجزين عن معرفتها، كما عليهم أن لا يصادموها بمحض الرأي ـ من نخالة فكرٍ أو غثاء قولٍ ـ**، فهذا عارضٌ من القول، فلنرجع إلىٰ المأمول.

■ وقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ : «**فلا يستوي عند اللَّه من نصر توحيده ودعوته بالإخلاص، وكان مع المؤمنين. ومن نصر الشّرك ودعوة الأموات وكان مع المشركين**».

كيف يستوي من حمىٰ الحمىٰ، وأوضح معالم التوحيد يدعو لها، ويقيم لها البيّنات علىٰ صحتها، بالحجج النقلية والأدلة العقلية، ويجهز علىٰ كل ليٍّ وإلحادٍ، وتلبيسٍ وتدليسٍ يحرّف المسارات، أو يعيقها بالشبهات، كمن هو سالكٌ سبل الغواية، أينما نادىٰ مناد

الإلحاد والتحريف، ٱستجاب وحمل لواء التزييف، يشارك بما أوتي من قوة؛ بذوده عن الباطل ويزيد الهوَّة، ويقول: ﴿لَا تَسْمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [فصلت]، ومن الميِّت يطلب النَّصر والعون، مستمسك بكل فضيحٍ مردي، ويعتضد بكل قبيحٍ مبدي، قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾﴾ [السجدة].

يدعو إلىٰ الأنداد، ويزيّن الشّرك والإلحاد، وإذا تلكأ السَّالكون في عمياءٍ؛ ٱنتهرهم وقال: ﴿أَنِ ٱمْشُواْ وَٱصْبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ﴾ [ص: ٦]، وإذا قالوا له: ما أيسر سبيل الموحدة، ولقد أوتوا كل الحجج المؤيدة! قال: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ﴿٧﴾﴾ [ص]. قلنا: ﴿هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾﴾ [الزمر].

فلقد أخبر ربنا ـ جلَّ وعلاَ ـ أنَّ الطريقين متمايزان، لكل منهما مبداه ومنتهاه في الدُّنيا والآخرة، قَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ﴾ [فاطر: ٢٢]، ومن لطف به المولىٰ ـ سبحانه وتعالىٰ ـ وهداه، وأوقفه علىٰ قبح الشّرك ومنتهاه، فتلك السَّعادة الدنيوية؛ القائدة إلىٰ الراحة الأبدية، فالسَّعيد من جُنِّب العثر، ولمعلم التوحيد حدق وبصر، وذلك فضل اللَّه يسوقه لمن يشاء هو القائل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ﴾ [فاطر: ٢٢]، ومن صرف عنه فلا يتطبب بطبٍ، ولا يرتدع بحكمٍ، قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾﴾ [فاطر].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ﴾ [الأنعام: ٨١]؛ الموحد، أم المشرك الملحد؟!!

■ وقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ : «**فإن قالوا: خفنا!!. قيل لهم: كذبتم، وأيضا: فما جعل اللَّه الخوف عذرًا في ٱتباع ما يسخطه، وٱجتناب ما يرضيه**».

أسرع كلمة إلىٰ قلوب المرجفة؛ كلمة «خفنا»، فتجد الموهون؛ أسير الشبهات، وذليل الشهوات، كلما ذكِّر لا يتذكَّر، وأمام هذه الكلمة لا يتزحزح ولا يتقهقر، «خفنا» «خفنا».

قلنا: كذبتم، وفي هذه الكلمة ألحدتم، فالخوف معه «النَّأي»، فالفرار بالدّين، يهب اللَّه ـ تعالىٰ ـ فيه «الحكم» و«الحجة» و«السّعة»، قَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً﴾ [النساء: ١٠٠]، وإذا أدركه الموت؛ ﴿فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [النساء: ١٠٠]، و«الذّلة» و«الهوان» ليس فيهما إكرام ولا يقبل ذلك إلَّا من تطبَّع بهما.

مَنْ يَهُنْ يَسْهُلِ الهَوَانُ عَلَيْهِ ... مَا لِجُرْحٍ بِمَيِّتٍ إِيلَامُ

يقول العلاَّمة محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ : «لو نقدِّر أنَّ السلطان ظلم أهل «المغرب»، ظلمًا عظيمًا في أموالهم وبلادهم، ومع هذا خافوا ٱستيلاءهم علىٰ بلادهم ظلمًا وعدوانًا، ورأوا أنهم لا يدفعونهم إلَّا بٱستنجاد «الفرنج»، وعلموا أنَّ «الفرنج» لا يوافقونهم، إلَّا أن يقولوا نحن معكم علىٰ دينكم ودنياكم، ودينكم هو الحقّ، ودين السلطان هو الباطل، وتظاهروا بذلك ليلاً ونهارًا، مع أنهم لم يدخلوا في دين «الفرنج»، ولم يتركوا الإسلام بالفعل.

لكن لما تظاهروا بما ذكرنا، ومرادهم دفع الظلم عنهم، هل يشك أحد أنهم مرتدون، في أكبر ما يكون من الكفر والردَّة؟!! ـ إلىٰ أن قال ـ :

فتأمل هذا تأملاً جيدًا وتأمل ما صدَّرتم به الأوراق ـ يعني به: «محمد ٱبن عيد» الذي أرسل إليه كراسة يسأله فيها عن أشياء خاصة بنواقض الإسلام ـ من موافقتهم فيما ينقض به الإسلام، ومعرفتكم بالنَّاقض، فإذا تحققتموه **وأنه يكون بكلمة، ولم تُعتقد، ويكون بفعلٍ ولو لم يتكلم، ويكون بالقلب من الحب والبغض ولو لم يتكلم ولم يعمل تبيَّن لك الأمر.**»

[الدُّرر السَّنيَّة في الأجوبة النَّجدية ١٠/ ١١٦، ١١٧].

فهؤلاء دخلوا في حمأة الردَّة بكلمة قالوها كذبًا ولم يعتقدوها، لقضاء مأربٍ ودفع مظلمةٍ ظنوا أنها تعصم أموالهم ودنياهم، فلم تعصم دينهم ـ وكفروا بذلك ـ، فما ظنك بمن يفعل ذلك وليس له من الأعذار شيء؛ فلقد سلَّط الكافر الفاجر علىٰ نفسه، وبهذا تعلم معنىٰ قوله ـ تعالىٰ ـ : ﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَـٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾﴾ [النساء].

فالآية عامة وظاهرة، فمتىٰ ٱقترف المؤمن المعصية ودخل فيما يسخط اللَّه ـ تعالىٰ ـ ، وناقض الإيمان بـ«ٱعتقادٍ» أو «قولٍ» أو «فعلٍ»، بل قال أو فعل ولم يعتقد ذلك، فقد جعل سبيلاً للكافر ينفذ منه إليه، فالمخالفة أورثت الذِّلة، كما أنَّ الطاعة تورث العزَّة؛ فٱعتصم بذلك، فالتوحيد والتوكل والإخلاص يمنع من ذلك، كما أنَّ الشِّرك وحبّ الدُّنيا يوجب ذلك.

■ وقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ : «**وكثير من أهل الباطل إنما يتركون الحقّ خوفًا من زوال دنياهم، وإلَّا فيعرفون الحقّ ويعتقدونه؛ ولم يكونوا بذلك مسلمين**».

ٱعلم ـ أرشدك اللَّه ـ ، أنَّ حبَّ الدُّنيا رأسُ كل خطيئة، ـ وأعني

بذلك ـ المحبة التي يترتب عليها الولوج في المعاصي الشَّرعية التي ثبت النَّهي عنها، فالحياة الدُّنيا هي المتاع العاجل؛ هذا فيما هو مباح ولم يأت نصٌّ شرعيٌّ ينهىٰ عن ذلك، وسمِّيت دنيا لدنوِّها وقربها منَّا، فجملة ما في الحياة الدُّنيا الشَّهوات الجسمية والنَّفسية؛ والطبع الإنساني جبل علىٰ محبة ذلك ـ كمحبة المال، ومحبة الشرف، ومحبة الرياسة، ومحبة العلوّ والظَّفر من كل شيء بأحسنه ـ، وهذا هو متاع الحياة الدُّنيا؛ قضاء شهوة جسمانية، أو شهوة نفسانية. **قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ**: **﴿أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَـٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَـٰمًا ۖ﴾** [الحديد: ٢٠].

فكل ما في الدُّنيا متاع الغرور، **قَالَ تَعَالَىٰ**: **﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾﴾** [آل عمران]، **وَقَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ**: **﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾﴾** [القصص]. فلقد زيّن للناس هذا المتاع؛ المحتوي علىٰ الشهوات، فمن قضىٰ منه شهوته؛ بما سمح له الشَّرع، **قَالَ تَعَالَىٰ**: **﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ﴾** [القصص: ٧٧]، قاده إلىٰ المتاع الدَّائم الذي لا يزول، **قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ**: **﴿وَإِنَّ ٱلْـَٔاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾﴾** [غافر].

فالخطورة كامنة في إيثار المتاع الزائل علىٰ الدَّائم، **قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ**: **﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾﴾** [الأعلى]؛ فإذا فتر زاجر التَّقوىٰ، وٱنفلت عقال القناعة، حلَّت علىٰ مؤثر الدُّنيا الطَّبائع الشيطانية؛ الافتتان بحب ذلك والإفراط فيه، وإرخاء عنان النَّفس في طلب ذلك وتحصيله بكلّ وسيلة، مع الزَّجر من حين إلىٰ آخر بزاجر

التَّسويف ـ «سوف أقصر»، «سوف أقصر»، «سوف أقصر» ـ وهذا مسلكٌ إبليسيٌّ يقود إلىٰ شعاب الأماني.

وجنايةُ من تطبَّع بهذا الطبع علىٰ الملَّة عظيمةٌ، وأثرها علىٰ تقويض صرح الإسلام جسيمةٌ، إذا كان صاحب منصبٍ أو جاهٍ أو سلطانٍ.

قال عليه الصلاة والسلام: «**ما ذئبان جائعان أرسلا في غنمٍ؛ بأفسد لها من حرص المرء علىٰ المال، والشَّرف لدينه**» [صحيح سنن الترمذي رقم ٢٣٧٦].

فهذا دليلٌ علىٰ أنَّ هذا الحرص يفسد الدّين والدُّنيا، وهو موطن الذَّم؛ لأنه يصد عن الإيمان والعمل الصالح، أما ما كان يقوِّم الدّين ويعين علىٰ الطاعة، ويسد أبواب المعصية فيحمد بل يكون واجبًا أحيانًا وهو ما لابدَّ منه.

فخصلتان ـ «الشَّرف» و«المال» ـ، مفسدتان مهلكتان؛ فهما سبب الفساد والإفساد في الأرض قلَّ من ينجو منهما، **قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ**: ﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡۜ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلۡطَٰنِيَهۡ ﴿٢٩﴾﴾ [الحاقة]؛ فلما كان الشّرك غالبًا علىٰ النُّفوس قاد حتمًا إلىٰ هذا المصير، فالشّرك الأصغر والخفيُّ قلَّما ينجو منهما، لهذا أرشد النبي ﷺ لمن أحسَّ بذلك أن يقول: «**اللَّهم إني أعوذ بك من أن أشرك بك شيئًا نعلمه، ونستغفرك لما لا نعلمه**» [صحيح الترغيب والترهيب رقم ٣٦]، لأنَّ الشّرك في هذه الأمة أخفىٰ من دبيب النَّمل.

يقول شيخ الإسلام ٱبن تيمية رحمه الله ـ تعالىٰ ـ ما لفظه: «**قلَّ أن تجد ذا سلطان أو مال إلَّا وهو مبطأٌ مثبِّطٌ عن طاعة اللَّه ومحبته، متبع**

هواه فيما آتاه اللَّه، وفيه نكول حال الحرب والقتال في سبيل اللَّه والأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر، فبهذه الخصال ـ يعني بهما: الحرص علىٰ الشَّرف والمال ـ **يكتسب المهانة والذم دنيا وأخرىٰ.**» [مجموعة الفتاوىٰ ٢٠/ ٨٠ ط/ جـ ١٤٤ ط/ ق].

فهذا عين ما نشاهده من حكام القوانين الوضعية المرتدين ـ عند السلفية الشرعية، ولاة الأمور عند المرجئة الجدد ـ ، فلقد ٱجتاح الحلف الصليبي البلاد وأفسد العباد، وقال عبَّاد الصليب ـ في الدنمارك ـ في النبي ﷺ بالتثليب ـ ؛ ٱستهزءوا به بالرسوم والمسرحيات، وما رأينا غيرة علىٰ الحرمات من هؤلاء، بل رأينا أشد من ذلك نكاية ـ قمع المتظاهرين الذين أخرجتهم الغيرة إلىٰ الشوارع يفرغون غيض قلوبهم في الصّياح والتنديد ـ ، ولقد علموا أنَّ ذلك غير نافع ولا مجدي، وإنما النفع في قلَّة الكلام والعمل بما أوجبه الإسلام؛ **فالحرص علىٰ ملء الكرش، والخوف من ذهاب العرش، قادهم إلىٰ الذّلة والمهانة في الدُّنيا والآخرة، ومن علم مهلك «فرعون» و«قارون»، علم كم في حب الرياسة والشَّرف والسلطان من الخسران.**

فإذا كان جمع المال بالطريقة المشروعة السَّليمة، وعدم إنفاقه في موضعه المأمور به، هو نوعٌ من الفساد، فكيف إذا كان الحرص علىٰ جمعه بالطُّرق المنهي عنها شرعًا، بل بما يصادم أصل الدّين ـ كموالاة الكافرين بالمشورة والعين ـ مع العلم أنَّ ذلك يضره؟!

فهذا الصنف من الناس هو «الأرذل» و«الأبخس» و«الأذل» علىٰ وجه المعمورة وإن هملج به البرذون؛ لا خلاق لهم في الآخرة. **قَالَ ٱللَّهُ**

تَعَالَىٰ: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [هود]. فشرار الخلق من أطاله حكم هذه الآية الكريمة.

فلقد أعجبني ما ذكره العلاَّمة «الشوكاني» رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ عن هذا الصنف الخبيث ـ الذي يحرص علىٰ الرياسة والشَّرف والمنصب والمال ولو بذهاب دينه ـ؛ فقد وصفهم وذكر من أحوالهم بأبلغ العبارة وأوضح الإشارة كأنك تعاينهم، فأحببت أن أذكره هـٰهنا؛ لتعلم النفوس الزَّكية، أنَّ الشَّرَّ علىٰ الملَّة لا يأتي إلَّا من قبل هذا الصنف؛ الذي يريد العلو والفساد في الأرض، لأنَّ المصلح وإن علا برتبته ورياسته، وشرّف بماله لا يريد الفساد، **قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ**: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا﴾ [القصص: ٨٣].

يقول العلاَّمة الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ واصفًا قطره اليمني وما حلَّ فيه من قبل هذا الصنف ـ الحريص علىٰ المال والرياسة ولو بذهاب دينه ـ ما لفظه: «وأما ثالث الثلاثة، وهو القاضي: ـ هذا بعدما ذكر «حال العامل» و«حال الكاتب»؛ لأنَّ الولاية منحصرة في هؤلاء الثلاثة ـ .

فهو عبارة عن رجل جاهل للشرائع، إما جهلاً بسيطًا، أو جهلاً مركبًا، وإن ٱشتغل بشيءٍ من الفقه، فغاية ما يظفر به منه هو ما يظفر وكيل الخصومة، ومن يمارس الحضور في مواقف الخصومات من مسائل تدور في الدَّعوىٰ والإجابة، وطلب اليمين والبينة، وليس له من العلم غير هذا **لا يعرف حقًّا ولا باطلاً، ولا معقولاً ولا منقولاً، ولا دليلاً**

ولا مدلولاً، ولا يعقل شيئًا من علوم الشرع، فضلاً عن غيرها من علوم العقل، ولكنه ٱشتقىٰ إلىٰ أن يدعىٰ قاضيًا، ويشتهرُ ٱسمُه في النَّاس، ويرتفع بين معارفه وأهله، فعمد إلىٰ الثياب الجيِّدة فلبسها، وجعل علىٰ رأسه عمامة كالبرج، وأطال ذيل كمِّه حتَّىٰ صار كالخُرْج، ولزم السكينة والوقار وٱستكثر من قوله «نعم» و«يعني»، وجعل له سبحة طويلة يديرها بيده.

ثم جمع له من الحطام قدرًا واسعًا، وذهب به يدور في الأبواب ويتردد في السِّكك وٱستعان بالشفعاء بعد أن أرشاهم ببعض من ذلك المال ليشتروا له هذا المنصب الجليل الذي هو مقعد النبوة، ومكانًا فيه يترجم عن كتاب اللَّه وسنَّة رسوله، ويفصل الخصومات عن عباد اللَّه بما أنزله في كتابه المبين، وبيَّنه رسوله الأمين، ثم يذهب هذا الجاهل البائس إلىٰ قطر من الأقطار الوسيعة، فيأتي إليه وأهل الخصومات أفواجًا، فيحكم بينهم بحكم الطَّاغوت في الحقيقة، وهو في الصورة حكم الشَّرع، وليس بشرع، لأنَّ هذا القاضي المخذول لا يعرف من الشرع إلَّا ٱسمه، ولا يدري من العلم بشيءٍ بل يجهل حدَّه ورسمه، فينتشرُ عنه في ذلك القطر الواسع من الطَّواغيت ما تبكي له عيون الإسلام، وتتصاعد عنده زفرات الأعلام.

وكيف يهتدي إلىٰ فصل الخصومات بالحقّ جاهلٌ ٱشترىٰ هذا المنصب كما يشتري ما يباع في الأسواق من المتاع؟! فولاية مثل هذا المخذول وتحكُّمه في الشريعة المطهرة هي جنايةٌ علىٰ اللَّه، وعلىٰ رسوله، وعلىٰ كتابه، وعلىٰ سنَّته، وعلىٰ العلم وأهله، وعلىٰ الدّين

والدُّنيا.

ولا فرق بين بعث مثله ليحكم بجهله، وبين بعث رجل من أهل الطَّاغوت العارفين بالمسالك الطَّاغوتية كـ«ٱبن فرج»، وفصيله، و«الغزي»، ونحوهم من حكام الطَّاغوت ـ إلىٰ أن قال ـ : **فهو في الحقيقة ضالٌّ مضلٌّ، شيطانٌ مريدٌ، بل أضرُّ علىٰ عباد اللَّه من الشيطان، ومن أين للشيطان، وأنَّىٰ له أن يظهر للناس في صورة قاضٍ ثم يفوَّضُ في قطرٍ من الأقطار فيه ألوفٌ مؤلفةٌ من عباد اللَّه، فيحكم بينهم بالطَّاغوت بصورة الشرع، ثم يكون شهيدًا علىٰ ما يحدث بذلك القطر من المظالم، ومعينًا عليها، وموسعًا لدائرتها من دون أن يأمر بمعروفٍ أو ينهىٰ عن منكرٍ، بل لا يجري قلمُه قطُّ بما فيه جلب خيرٍ للرَّعية أو دفع شرٍّ عنهم.**

بل هو مادام في هذا المنصب لا همَّ له ولا مطلب إلَّا جمع الحطام من الخصوم، **تارة بالرَّشوة، وتارة بالهدية، وتارة بما هو شبيه بالتَّلصص، ثم يدافع عن المنصب الذي هو فيه ببعض هذا السُّحت الذي صار يجمعه، ويتوسَّع في دنياه بالبعض الآخر. فهذا أمر لا يقدر عليه الشيطان، ولا يتمكن منه، ولا يبلغ كيده لبني آدم إليه.** وفي هذا ما يكفي من كان له قلبٌ أو ألقىٰ السَّمع وهو شهيدٌ.» [الفتح الرباني من فتاوىٰ الشوكاني ١١/ ٥٧٤٤ ـ ٥٧٤٧ من رسالة «الدَّواء العاجل لدفع العدو الصائل»].

فإذا كان هذا حال من ولج القضاء يريد بذلك الشَّرف والمال، فكيف يكون حال من ولج المجالس الشّركية اليوم ـ المسمَّاة بالمجالس البرلمانية ـ التي تُصدر القوانين الوضعية الكفرية، وتصادق علىٰ الأحكام الطَّاغوتية التي تصدّ عن الشريعة الربَّانية؟!!

فغاية ما عند هؤلاء المخذولين، السَّعي الحثيث، للولوج إلىٰ هذه البرلمانات الشّركية ولو علىٰ حساب دينهم وذهاب آخرتهم بشيءٍ من حطام الدُّنيا الزائل، هذا إذا ظفروا به، فعلىٰ تركيبتهم الخبيثة، وتطبّعهم بالصفات القبيحة؛ السَّبُعُية التَّسلطية، تجدهم جهلاء بالمنقول والمعقول؛ إلَّا ما كان من الالتواءات الشيطانية لجمع المزاود المالية، ففقههم فيها عجزت عن معرفته الشياطين.

تجدهم سعاة ليلاً نهارًا؛ يرشون الناس لشراء أصواتهم أثناء الحملات الإنتخابية، ليشتروا هذا المنصب ـ أعني: عضوية البرلمان ـ المخزي في الدُّنيا والآخرة؛ مع علمهم أنَّ هذا المنصب صدٌّ عن سبيل اللَّه، مقوّضٌ لشريعة الرحمن، مُهَوِنٌ من مسالك الشيطان، فهو عوض أن يكون مع حزب الرحمن يأمر بالمعروف وينهىٰ عن المنكر، ٱختار حزب الشيطان ويتعاون علىٰ الإثم والعدوان؛ ولا ينقطع ينبوع السَّيلان ـ حطام الدُّنيا الزائل ـ .

فتجد الصَّادق منهم مع جهله بالنقل والعقل، إذا أرشدته إلىٰ خطورة ذلك المنصب المخزي؛ أنه يصادم عقيدته ويذهب دينه، تعلَّل بعللٍ باردةٍ عن الحقِّ حائدةٍ؛ بأنه يريد الإصلاح، فكيف يريد أن يكون مصلحًا وهو يلج ما يفسد الأنام ويحارب الإسلام؟!!

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [البقرة].

فإذا به بعد فترة يسيرة تجده ينطق بالباطل يسعىٰ فيه بسعيٍ حثيثٍ مع علمه أنه باطلٌ، فقلَّما تجده أخرسَ لا ينافح، فهو يعتقد أنَّ تلك

المجالس شركية ـ لتصديرها وتصديقها علىٰ القوانين الوضعية الكفرية ـ ، فالخوف من زوال ما تحصَّل له من منافعٍ بسبب ذاك المنصب المشؤوم، حمله علىٰ البقاء والتشبُّث به.

فٱعتقاده أنَّ منصبه الطَّاغوتيّ ينقض أصل الدّين لا يجعله مسلمًا، فمتىٰ كانت الاعتقادات كافية في ثبوت أصل الإيمان[1]؟!!

---

(١) ٱعلم ـ رحمك الله ـ أنَّ المشارك في عضوية البرلمان الكفري ـ المصادم للشريعة من كل جوانبها ـ لا يخلو من حالاتٍ ثلاثٍ:

الأولىٰ: إما أن يقسم علىٰ ٱحترام الدستور الكفري مع علمه بكفرية هذا الدستور؛ وما حواه من أنظمة مصادمة للشريعة الغراء؛ فهذا كافرٌ كفرًا ينقل من الملَّة.

الثانية: وإما أن يشارك في إقرار نظام مخالف للشريعة ـ بلا خلاف ـ فهذا أيضًا كافرٌ كفرًا لا يثبت معه التَّوحيد.

الثالثة: وإما أن لا يقسم على ٱحترام الدستور الكفري ولا يشارك في إقرار نظام يصادم الشريعة، فهذا مخطيء عاصٍ آثم ـ إذا كان المشارك يتبنَّ الإسلام منهجًا للتغيير ـ كما هو حاصل اليوم من الأحزاب الإسلامية ـ سواء كانت «إخوانية المنهج»، أو «سلفية المعتقد إخوانية المنهج» ـ ؛ كـ«السرورية» وما شابهها.

أما إن كان يتبنى الأفكار الهدَّامة كـ«الليبرالية» أو «الديمقراطية» أو «الاشتراكية» وما شابهها **فهو كافر بسبب ذلك ـ وإن لم يصادم الشريعة بنظامٍ ـ** .

وٱستثناؤنا المخطيء العاص من التكفير ـ بسبب منهجه الإسلامي؛ البدعي في التغيير ـ ؛ ولما له من تأويلٍ يعذر به ـ ولو كان ضعيفًا ـ ؛ فكثير منهم ـ إن لم نقل غالبهم ـ لما يقسمون على ٱحترام الدستور ينوون به «القرآن» ـ بٱعتباره دستور هذه الأمة ـ ؛ بهذا الاصطلاح البدعي الدَّخيل، فهؤلاء لا يفزع إلى تكفيرهم ـ طالما لهم شبهة تأويل تدفعهم للتغيير لما طرأ على الأمة من ٱنحراف ـ بهذا المسلك البدعي المخالف لمنهج التغيير التَّوقيفي ـ ، وبما يقيمون من الشعائر من حيث الجملة؛ وٱعتراضهم للقوانين المخالفة للشريعة ـ وعدم إقرارها ـ لكن لا يسلمون من نسبتهم للبدعة؛ بسبب مسلكهم ـ وهذا الحكم يثبت في المشائخ والمقلدة سواء ـ .

فليحمل تفصيلنا على ما أجملناه في هذه الفقرة؛ التي نشرحها، وما فصلناه على المناقض لأصل الدّين؛ لتبنّيه، أو لإقراره لنظامٍ كفريٍ ـ يصادم الشريعة أو يعطلها ـ وإن قال: الشريعة أفضل وأحكم؛ لأنه مستحلٌ، ـ بسببٍ عدمِ تمكُّن هذا النَّاقض من الاستقباح في القلب ـ ؛ وسنستوفي معنى «الاستحلال» في بابه ـ إن شاء الله ـ بالتَّفصيل.

وهذا هو معنىٰ قول صاحب «**الدّلائل**» رَحِمَهُ اللهُ ـ تعالىٰ ـ : «**وإلَّا فيعرفون الحقّ ويعتقدونه؛ ولم يكونوا بذلك مسلمين**».

فالإقرار بالحقّ دون ٱلتزامه لا يثبت الإيمان؛ إذا كان هذا الحقّ ينبني عليه دعامة الدّين ـ أعني: مسألة الإيمان ـ ، فلو كان الإقرار وحده نافعًا لنفع الذي قال:

وَلَقَدْ عَلِمْتُ بِأَنَّ دِينَ مُحَمَّدٍ ... مِنْ خَيْرِ أَدْيَانِ البَرِيَّةِ دِينًا

ولنفع اليهود الذين جاءوا إلىٰ النبي ﷺ فقالوا: «نشهد إنك نبيٌّ، قال: **فما يمنعكم أن تتبعوني؟!** قالوا: إنَّ داود دعا ربه أن لا يزال في ذريته نبي، وإنا نخاف إن تبعناك؛ أن تقتلنا اليهود» [رواه ـ مطوَّلاً ـ الترمذي رقم ٢٧٣٣ وٱبن ماجة رقم ٣٧٠٥ وأحمد في المسند ٤/ ٢٣٩].

فما تكلم به «أبو طالب» و«اليهود» **هو الإخبار عمَّا في النَّفس من علمٍ وجزمٍ بذلك الحقّ؛ وهو «الإقرار»، فلم ينفعهم ولم يدخلهم في الإسلام، لأنَّ الإقرار دون الالتزام؛ الذي هو الحب والانقياد، ـ وذلك هو عمل القلب المؤثر في الظاهر ولابد ـ غير كافٍ في ثبوت أصل الإيمان.**

فما قاله المؤلف في هذه الجزئية ـ التي ٱستوفيناها بهذا الشَّرح ـ يظهر معتقده في مسألة الإيمان، **كما هو يهدم مقولة المرجئة وطائفتهم الجدد؛ الذين علَّقوا الإيمان علىٰ الإقرار، مع ثبوتهم للأعمال ودخولها فيه بشرط الكمال، وهذا القول هو أخبث أقوال المرجئة؛ لأنه لا يشعرك أنهم يخرجون العمل عن حقيقة الإيمان**، ولقد بسطنا هذا القول كل البسط، مع أقوالٍ وشبهاتٍ أخر في مصنَّفٍ لطيفٍ، أشرنا إليه في

التَّوطئة، أرشد إليه لمن أراد أن يعرف مخازي القوم ليكون في منأىٰ عنها. واللَّه ـ تعالىٰ ـ وليُّ التَّوفيق.

«الدَّلِيلُ السَّادِس»

قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ﴾ [النساء: ٩٧]. أي: في أيِّ فريق كنتم، أفي فريق المسلمين أم في فريق المشركين؟

فٱعتذروا عن كونهم ليسوا في فريق المسلمين بالاستضعاف؛ فلم تعذرهم الملآئكة، وقالوا لهم: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾﴾ [النساء]. فلا يشك عاقلٌ أنَّ أهل البلدان الذين خرجوا عن المسلمين، صاروا مع المشركين وفي فريقهم وجماعتهم. هذا مع أنَّ الآية نزلت في أناسٍ من أهل مكة أسلموا وٱحتُبسوا عن الهجرة. فلما خرج المشركون إلىٰ بدر، أكرهوهم علىٰ الخروج معهم، فخرجوا خائفين. فقتلهم المسلمون يوم بدر؛ فلما علموا بقتلهم تأسَّفوا، وقالوا: قتلنا إخوانَنا. فأنزل اللَّه فيهم الآية.

فكيف بأهل البلدان الذين كانوا علىٰ الإسلام، فخلعوا ربقته من أعناقهم، وأظهروا لأهل الشّرك الموافقة علىٰ دينهم، ودخلوا في طاعتهم، وآووهم ونصروهم، وخذلوا أهل التوحيد، وٱتبعوا غير سبيلهم، وخطَّئُوهم، وظهر فيهم سبُّهم، وشتمهم، وعيبُهم، والاستهزاء بهم، وتسفيه رأيهم ـ في ثباتهم علىٰ التوحيد والصبر عليه، وعلىٰ الجهاد فيه ـ وعاونوهم علىٰ أهل التوحيد طوعًا لا كرهًا، وٱختيارًا لا ٱضطرارًا. فهؤلاء أولىٰ بالكفر والنار من الذين تركوا الهجرة شحًّا بالوطن، وخوفًا من الكفار، وخرجوا في جيشهم مكرهين خائفين.

فإن قال قائلٌ: هلاَّ كان الإكراه عذرًا ـ للذين قتلوا يوم بدر ـ علىٰ

الخروج؟

قيل: لا يكون عذرًا ؛ لأنهم في أول الأمر لم يكونوا معذورين. إذا أقاموا مع الكفار، فلا يعذرون بعد ذلك بالإكراه؛ لأنهم السبب في ذلك، حيث أقاموا معهم وتركوا الهجرة.

الشَّرْحُ :

يخبر المولىٰ ـ سبحانه وتعالىٰ ـ في هذه الآية الكريمة، أنَّ الظالمين سواء كانوا ظلمة الظلم الأكبر ـ النَّاقض لأصل الدّين ـ أو الأصغر، أو ما دونهما؛ كظلم النَّفس بٱقحامها المشاق، والتَّعرض للبلاء مما لا تطيقه؛ لأنَّ الظلم دواوين ـ ومن تقحَّم أيّ ديوانٍ منه فلا ينتظر يسر ولا نصر، **قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:** ﴿**وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ** ⑧﴾ [الشورى]. وأنَّىٰ يتأتَّىٰ للظالم ولاية أو نصرة، هيهات هيهات؛ وإن أتاه مددٌ من جنسه، فهو مددٌ فرعونيٌّ شيطانيٌّ ليس له عاقبة عاجلاً أم آجلاً.

■ فقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ : «**قَوْلُهُ تَعَالَىٰ:** ﴿**إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ**﴾ [النساء : ٩٧]. **أي: في أيِّ فريق كنتم، أفي فريق المسلمين أم في فريق المشركين؟**».

سؤالٌ ٱستفهاميٌّ ٱستنكاريٌّ من الملآئكة الكرام لهؤلاء الظالمين؛ لتركهم الهجرة من دار الكفر مع القدرة عليها، فقوله ـ تعالىٰ ـ : «**ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ**» ينفي عنهم الإكراه، **والظلم أنيط بالبقاء فقط، ورتّب علىٰ ذلك الوعيد الشَّديد، إلَّا أنَّ الآية فيها وعيدٌ لا تكفيرٌ،** ودليل ذلك قول الملآئكة «**فِيمَ كُنتُمْ**» أي: في أيِّ فريقٍ كنتم، أفي فريق المسلمين أم في

فريق المشركين؟

فمناط الحكم يدور علىٰ تكثير سواد الكفار، لا علىٰ التصديق أو التكذيب، فلو كان غير ذلك، لقالت الملآئكة: كيف تصديقكم؟! فإذا أجابوا بالاستضعاف في الأرض، قالت الملآئكة: كذبتم، مثل ما يقول اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ والملآئكة للمجاهد الذي قاتل رياء: كذبت، بل قاتلت ليقال جريء[1]. **فلم تكذّبهم الملآئكة في إيمانهم، وإنما في تعليلهم**، وممَّا يدل كذلك علىٰ هذا المناط ـ تكثير سواد الكفَّار فقط ـ قول الصحابة الكرام: «قتلنا إخوانَنا»، فلو كان الحكم يدور علىٰ التصديق أو التكذيب؛ لم يقولوا: «قتلنا إخوانَنا»، فالأخوة تحقَّقت لعلمهم بإيمانهم وصدقهم في ذلك، ولا كانوا تأسَّفوا علىٰ قتلهم، فالكافر والمنافق لا يُتأسف علىٰ قتله، بل يُتبشبش بذلك، مع شكر اللَّه ـ تعالىٰ ـ علىٰ قلعه من هذه الأرض، لأنه من جملة المستراح منه[2].

---

(١) يقول عليه الصلاة والسلام: «**إنَّ الله إذا كان يوم القيامة ينزل إلى العباد ليقضي بينهم، وكل أمة جاثيةٌ، فأوَّل من يدعو به رجلٌ جمع القرآن، ورجلٌ قتل في سبيل الله، ورجلٌ كثير المال، فيقول الله للقارىء: ألم أعلمك ما أنزلت على رسولي قال: بلى يا ربّ قال: فماذا عملت؛ فيما علمت؟ قال: كنت أقوم به آناء الليل وآناء النهار، فيقول الله له: كذبت، وتقول الملآئكة له: كذبت، ويقول الله له: بل أردت أن يقال فلانٌ قارىءٌ فقد قيل ذلك ـ** إلى أن قال ﷺ **ـ ويؤتى بالذي قتل في سبيل الله فيقول الله: فيماذا قتلت؟ فيقول: أمرت بالجهاد في سبيلك حتَّى قتلت، فيقول الله له كذبت، وتقول له الملآئكة: كذبت، ويقول الله: بل أردت أن يقال فلانٌ جريءٌ، فقد قيل ذلك. يا أبا هريرة أولئك الثلاثة أول خلق الله تُسْعِرُ بهم النار يوم القيامة.**» [صحيح الجامع الصغير وزيادته رقم ١٧١٣ وأخرجه مسلم في كتاب الإمارة رقم ٤٩٠٠ بدون لفظة «وتقول له الملآئكة: كذبت» كما هو مخرج في السلسلة الصحيحة برقم ٣٥١٨].

(٢) عن أبي قتادة، قال: كنَّا جلوسًا عند رسول الله ﷺ، إذ طلعت جنازةٌ، فقال رسول الله ﷺ: «**مستريحٌ ومستراحٌ منه؛ المؤمن يموت، فيستريح من أوصاب الدُّنيا ونصيبها وأذاها،** ←

■ وقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ : «**فٱعتذروا عن كونهم ليسوا في فريق المسلمين بالاستضعاف؛ فلم تعذرهم الملآئكة، وقالوا لهم:** ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾﴾ [النساء]».

فٱعتذروا بالاستضعاف وظَنَّوْه إكراه، فلم يُعذروا به، لأنَّ الإكراه مع عدم القدرة علىٰ الدَّفع، فالمكره هو من يدفع الفساد الحاصل بٱحتمال أدناهما، وهو الأمر الذي أكره عليه، وهؤلاء كانت لهم القدرة علىٰ الهجرة فتأخروا عنها لمالٍ أو غرضٍ دنيويٍّ فحصل لهم ما حصل، كالذين لم يهاجروا من «الأندلس» لما تغلَّب الكفَّار عليها، ففتنوا في دينهم، ولم يظفروا بدنياهم، فبئس البقاء في ديار الكفر مع القدرة علىٰ الخروج منها والالتحاق بصفوف المؤمنين.

فمن يرد العصمة لدينه؛ فأرض اللَّه واسعة، وسيجد فيها كما قال ـ تعالىٰ ـ : ﴿مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةًۚ﴾ [النساء : ١٠٠]؛ **وجود التَّحقيق، مادام هو مبتعدًا عن الاعتضاد بالشبهات للبقاء والتَّلفيق.**

وآيُّم اللَّه لقد فعلنا ذلك، فما وجدنا؛ لما فررنا من الطَّاغوت الذي أفسد في البرّ والبحر إلَّا الخير والسعة ـ الفتح في العلم، وسيلان القلم في نصرة هذا الدّين الذي لا دين سواه، والسعة في الرزق ويسره، والعزة في الدّين، والصَّلابة في الإيمان، والعصمة من الافتتان بالدُّنيا ـ بل ما أَلَّفناه من كتبنا؛ وهذا الشَّرح النَّفيس الذي نخطّه ـ يسَّر اللَّه إتمامه

والفاجر يموت، فيستريح منه العبادُ والبلادُ والشَّجرُ والدَّوابُ» [صحيح سنن النسائي رقم ١٩٣٠ وبوَّب عليه النسائيُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالى ـ باب: الاستراحة من الكفَّار «كتاب الجنائز»].

علىٰ أحسن وجه ـ ، إلَّا ونحن مُشرَّدون مُغرَّبون مُبعدون عن الأهل والوطن؛ بسبب الطَّاغوت الذي يتربَّص بنا، وبكلّ موحِّدٍ عرف حقيقة «لا إله إلَّا اللَّه» ومقتضاها، الدَّوائر عليه دائرة السُّوء؛ كل ذلك نعدّه نعمة وسعة أضيفت لما مُنح إلينا قبل الفرار؛ نعلن ذلك ولا نسره، **قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:** ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝١١﴾ [الضحى].

نسأل المولىٰ ـ سبحانه وتعالىٰ ـ البقاء علىٰ هذه النعمة، كما نسأله أن يؤتيها لأبنائنا، ولإخواننا، ولكل أهل الخير والفضل؛ الذين همَّهم إصلاح ما أفسد الطَّاغوت بالطَّريقة السَّنيَّة السُّنية ـ «المجادلة» أو «المجالدة» ـ ولا ثالث لهما ألبتة. آمين! آمين!

يقول الإمام الجليل ٱبن حزم الأندلسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ ما لفظه: «وما ألَّفنا كتابنا هذا، ـ ويعني به: «**التَّقْرِيبِ لِحَدِّ المَنْطِقِ وَالمَدْخَلِ إِلَيْهِ**» ـ وكثيرًا من كتبنا؛ إلَّا ونحن مغرَّبون مُبعدون عن الوطن والأهل والولد، مخافون مع ذلك في أنفسنا ظلمًا وعدوانًا، لا نُسِرُّ هذا بل نُعلنه، ولا يُمكن المطالبُ إبطال قولنا في ذلك، إلىٰ اللَّه ـ تعالىٰ ـ نشكو، وإيَّاه نستحكم لا سواه، لا إله إلَّا هو.» [التقريب لحد المنطق والمدخل إليه بالألفاظ العامية والأمثلة الفقهية ص ٦١٠].

■ وقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ : «**فلا يشك عاقلٌ أنَّ أهل البلدان الذين خرجوا عن المسلمين، صاروا مع المشركين وفي فريقهم وجماعتهم**».

يعني الشيخ ـ الابن من الوراء ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بأهل البلدان؛ الذين دخلوا في التوحيد، ووقفوا علىٰ قبح النَّديد؛ كما ذكرنا في «سبب التأليف»؛

وهذه الواقعة والفاجعة هي التي كانت وراء تأليفه «للدَّلائِل»؛ التي نخطّ في شرحها ما تراه مبسوطًا أيّها القارىء الكريم، والفضل من قبل ومن بعد للَّه ـ تعالىٰ ـ وحده.

فأهل هذه البلدان لما زحفت الدَّولة العثمانية ـ القبورية الشّركية ـ من «بغداد»؛ مع جهادها لما وراءها من نصارىٰ الصلبان، تولَّوها بأعمالهم؛ يحملون أمتعة وذخائر جنودها، ويدلُّوهم علىٰ الطريق، وكثير منهم دخل في هذه الولاية العملية خوفًا من بطش الجنود، مع إسرارهم البغض لهم، إلَّا الفئة الخانسة التي كانت قبل الغزو؛ تتحيَّن الفُرص، فلما جاءت هذه الفرصة، أظهرت العداوة، وباشرت في الولاية قولاً وفعلاً ـ تسفّه أحلام أصحاب التوحيد، وتدل علىٰ عوراتهم ـ ؛ كما دلَّت علىٰ الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ وقُتل علىٰ إثرها.

فهذه عادة أهل الشقاق والنفاق ـ الذين درسوا في «المدرسة اليهودية» ـ أو ٱقتبسوا من حِيَّلها ومكرها الدَّنيء؛ لإعاقة كل صلاح ومصلح يبتغي نشر الفضيلة؛ لطمس معالم الرذيلة، ومن هؤلاء الباطنية المارقة ـ «الرافضة الإمامية»؛ «الاثنا عشرية»، و«الجعفرية»، و«النُّصرية»، و«الدُّروز»، أو كل داع لمحبة أهل البيت؛ وبالمكر لأهل السُّنة مستخفٍّ يبيت ـ ، أو من ظاهرهم لسفاهة عقله كالقبورية ومنها الأحباش اليوم، أو المتعبدة ببدعة «التأشعر»، فكل هؤلاء إذا نعق ناعق العداوة لأهل السنَّة جاءوا علىٰ بكرة أبيهم متفانّين في خدمتها، كما هو حاصل اليوم من الرافضة الباطنية ـ إخوان اليهود من الرَّضاعة ـ في «العراق»، بل في كل بلد وجدوا فيه.

فالشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ لا يعني بكلامه هؤلاء الزنادقة؛ الذين أحبُّوا الزندقة وٱتخذوها دينًا ـ والعياذ باللَّه ـ، وإنما يعني بكلامه الذين ألقوا السَّلم «مداهنة» لخوفهم علىٰ دنياهم مع ما لهم من كَنّ البغض لهذا العدو المجتاح للدّيار، لأنَّ الواجب عليهم الدَّفع بما أمكن ولم يفعلوا، أو النَّأي وذلك كبيرة كما بيَّنا سابقًا بالحديث الصحيح.

فبهذه الولاية العملية فقط ـ التي ظَنَّوْها إكراه ـ قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ : «صاروا مع المشركين وفي فريقهم وجماعتهم»، فعدَّهم في جملة المشركين بفعلهم هذا، **ومن ظنَّ أنهم تكلموا أو سبُّوا الموحدين فوق ولايتهم هذه، فقد خالج الإرجاء قلبه، وتعسَّف في إخراج مضمون الشيخ، وكلامه الظَّاهر ظهور الشمس في رابعة النهار عن ظاهريته.**

فالشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ قال: «خرجوا عن المسلمين، صاروا مع المشركين»؛ والذي صيَّرهم علىٰ هذه الحالة ـ والعياذ باللَّه ـ **الولاية العملية فقط،** فلا داعي إلىٰ ضرب الدُّسر في الخسر، لأنه لا يجدي نفعًا، وسوف نبسط الرَّد مفصلاً بعد الشرح ـ إن شاء اللَّه ـ ليُعلم أنَّ دعامة الدّين ـ وأعني بها: مسألة الإيمان ـ لها حماة يذبون عنها ٱنتحال المبطلين وتأويل الجاهلين وتليين المميّعين، كما نصون كلام الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ من عبث العابثين وتأويل المتعسّفين، **وكبيرهم في ذلك د. «صالح بن فوزان بن عبداللَّه الفوزان» ـ عضو اللجنة الدائمة ـ الذي جنىٰ علىٰ مقاصد الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ جناية عظيمة، وحمَّله تأويلات جسيمة تصادم عقيدة أهل السنَّة والجماعة ـ السلفية الشّرعية ـ في مسائل الإيمان، الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ بريءٌ منها، وقد أشرنا لذلك**

في المقدمة، وسوف يوضِّح ذلك ـ إن شاء اللَّه ـ وتُعجم الحروف قبل الخاتمة، ليكمل المقصود، ويظهر حسن المطلوب، وهو شرح الرسالة والذَّبّ عنها ـ بالطَّريقة السَّلفية الشّرعية ـ .

فالعمل ـ وهو الولاية العملية ـ صيَّرهم مع المشركين؛ وإن كان يظن الظَّان ـ الذي لم يعرف حقيقة «لا إله إلَّا اللَّه» ولا مقتضاها ـ أنهم والوا به المسلمين؛ لماتُرديتهم مع قبوريتهم، فكيف إذا كان الموالىٰ عدوًّا لدودًا تقليديًا ـ يهوديًا أو نصرانيًا ـ كما هو مشاهدٌ اليوم مع الحلف اليهوصليبي، ـ قطع اللَّه دابره ـ؟!!

أفيشك في ردَّة ما يفعل هؤلاء مع الحلف اللَّدود، ولا أعني بكلامي الباطنية، فهؤلاء مرقوا من الدّين، قبل المجيء والإعانة للصَّلبيين، وإنما أعني بكلامي مرتدة أهل السنَّة، الذين دخلوا في هذه الحمأة بالولاية فقط، فلينأىٰ نقي السريرة بنفسه، وليلجأ إلىٰ ربه، فهو العاصم والنَّاصر، وليتوب من ٱقترف هذه القذورة، وليعلم أنَّ التوبة معروضة، فليبادر إلىٰ ذلك، فالتَّائب من الذَّنب كما لا ذنب له، اللَّهم نسألك أن تصون الموحدين، وتقبل توبة المذنبين الدَّاخلين في هذه الردَّة الصريحة قبل القدرة عليهم، لأنهم إذا قدر عليهم قبلها ﴿أُخِذُوٓاْ وَقُتِّلُواْ تَقۡتِيلٗا ٦١﴾ [الأحزاب]. **وتلك هي سنَّة اللَّه في الذين ٱقترفوا هذه القبيحة الجسيمة.**

■ وقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ : «**هذا مع أنَّ الآية نزلت في أناسٍ من أهل مكة أسلموا وٱحتُبسوا عن الهجرة. فلما خرج المشركون إلىٰ بدر، أكرهوهم علىٰ الخروج معهم، فخرجوا خائفين. فقتلهم المسلمون**

يوم بدر؛ فلما علموا بقتلهم تأسَّفوا، وقالوا: قتلنا إخوانَنا. فأنزل اللَّه فيهم الآية».

قلت: فقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ: «وٱحتُبسوا عن الهجرة» ليس علىٰ إطلاقه، ولا يسلّم له علىٰ هذا المعنىٰ الحصري، لأنَّ ثَمَّ من ٱحتبس كالمستضعفين لضعفهم وقلَّة حيلتهم، أو لسوء البصر والمعرفة بالطريق، كما قال ٱبن عباس ـ رضي اللَّه عنهما ـ: «كنت أنا وأمي ممَّن عذره اللَّه» [رواه البخاري برقم ٤٥٨٨]. **وثَمَّ من حَبَسَ نفسه عن الهجرة لشهوةٍ من غير شكٍّ في الدّين، وهؤلاء هم الذين وصفهم اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ بالظلم لأنفسهم في الآية الكريمة، ولم تعذرهم الملآئكة لما ٱعتذروا.**

يقول العلاَّمة محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ ما لفظه: «إنَّ من أصحاب رسول اللَّه ﷺ من لم يهاجر من غير شكٍّ في الدّين، وتزيين دين المشركين ـ ولكن محبة للأهل والمال والوطن، فلما خرجوا إلىٰ «بدر»، خرجوا مع المشركين كارهين، وقتل بعضهم بالرمي، والرامي لا يعرفه، فلما سمع الصحابة أنَّ من القتلىٰ فلانًا وفلانًا، شقّ عليهم، وقالوا: «قتلنا إخوانَنا»، فأنزل اللَّه ـ تعالىٰ ـ: ﴿**إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ**﴾ ـ إلىٰ قوله تعالىٰ ـ ﴿**فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا** ﴿٩٩﴾﴾ [النساء].

فمن تأمَّل في قصتهم، وتأمل قول الصحابة: «قتلنا إخوانَنا»، علم أنه لو بلغهم عنهم كلام في الدّين، أو كلام في تزيين دين المشركين، لم يقولوا: «قتلنا إخوانَنا» فإنَّ اللَّه ـ تعالىٰ ـ قد بيَّن لهم ـ وهم قبل الهجرة

ـ أنَّ ذلك كفرٌ بعد الإيمان، بقوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿**مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ**﴾ [النحل: ١٠٦].» [شرح ستة مواضع من السيرة ضمن جامع الفريد ص ٢٥٠، ٢٥١].

فكأنه يقول العلاَّمة «محمد بن عبدالوهاب» والابن الذي من الوراء ـ «سليمان بن عبداللَّه بن محمد بن عبدالوهاب» رحمهما الله ـ تعالىٰ ـ ؛ أنَّ الوعيد الشديد الذي في الآية تناول الذين تأخروا عن الهجرة ولم يلتحقوا بصفوف المؤمنين، فكيف بمن توفَّر له ذلك ولم يفعل؟ بل لم يقتصر علىٰ ذلك فقط، وإنما زاد في الولاية؛ بأن ظاهرهم وأعانهم علىٰ الموحدين!! فإن كان لهؤلاء عذر، وذلك هو الضلال البعيد، فمن باب أولىٰ أن يكون للذين تأخروا عن الهجرة عذر، فإذا لم يعذرهم اللَّه ـ تعالىٰ ـ علىٰ ذلك، علمنا قطعًا أنَّ الموالِيَ بالدَّل علىٰ العورة والإعانة بالقدرة، لا يعذر مطلقًا ولو ٱدَّعىٰ ما ٱدَّعىٰ، **لأنَّ الفعل يكذب اللسان، ويخبر بما ٱستقر في الجنان.**

ومما يبيّن ذلك بوضوحٍ تامٍّ أنَّ الذين خاصموا بعذرهم ـ وهو التأخر عن الهجرة لمشحة المال والوطن ـ خُصموا؛ ما رواه ٱبن جرير الطبري وٱبن أبي حاتم عن السدي قال: «لما أسر «العباس»، و«عقيل» و«نوفل»، قال رسول اللَّه ﷺ: **ٱفد نفسك وٱبن أخيك.** قال: يا رسول اللَّه ألم نصل قبلتك ونشهد شهادك؟ **قال: يا عباس، إنكم خَاصمتم فخصمتم،** ثم تلا عليه هذه الآية: ﴿**أَلَمۡ تَكُنۡ أَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٗ فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ٩٧**﴾ [النساء].» [تفسير ٱبن كثير ١/ ٧٢١ والدّر المنثور ٢/ ٣٦٦].

فالمتأمل في الخبر، والحادق بالبصر في الأثر؛ يجد التصريح بأنَّ الخصومة كانت في الهجرة، فمدَّعي التوحيد المقيم بين ظهراني المشركين؛ القادر علىٰ الهجرة، ولم يفعل، هو مخصومٌ محجوجٌ، حجته مدحوضة عند ربه، فكيف بعد ذلك إذا زاد عليها العظائم النَّاقضة لأصل الإسلام، كالإعانة، والإراقة لدم المسلم؟!! فهذا مما يعرفه المبتدىء في العلم، بل هذا ما لا يسع جهله.

■ وقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ - تعالىٰ - : «**فكيف بأهل البلدان الذين كانوا علىٰ الإسلام، فخلعوا ربقته من أعناقهم، وأظهروا لأهل الشّرك الموافقة علىٰ دينهم**».

فالشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ - تعالىٰ - يذكر فاجعة أهل البلدان التي كانت محيطة به، وذاقت طعم التوحيد، وتبشبشت به قلوبهم، كيف ينتكسون هذه الإنتكاسة، ويدخلون في هذه الحمأة، ويخلعون ربقة الإسلام من أعناقهم - لما ظاهروا العساكر التركية - المشركة القبورية - ، وأظهروا لهم الموافقة علىٰ معتقدهم العفن، ولو «مداهنة» أو «مدارة» لهم، لأنَّ الخوف معه النَّأي، **وصلاح السَّريرة، وصحة العقيدة معه الدَّفع بما أمكن، ولا يشترط لذلك شرط**، فلما لم يفعلوا هذا، وظاهروهم ولو بمخالفة الباطن كفَّرهم الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ وأخرجهم من الإسلام بهذه الولاية الزَّائفة.

فإذا كان هؤلاء خلعوا ربقة الإسلام من أعناقهم بفعلهم هذا، فالموالي للحلف اللَّدود - عبَّاد الصليب واليهود - اليوم، خلع ربقة الإسلام من عنقه، وخلع جلباب الحياء، وهتك ستر الرجولة، بل

البهيمة المختصية، خير من ذكورته المخنَّثة.

■ وقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ : «**ودخلوا في طاعتهم، وآووهم ونصروهم، وخذلوا أهل التوحيد، وٱتبعوا غير سبيلهم، وخطَّئُوهم، وظهر فيهم سبُّهم، وشتمهم، وعيبُهم، والاستهزاء بهم، وتسفيه رأيهم ـ في ثباتهم علىٰ التوحيد والصبر عليه، وعلىٰ الجهاد فيه ـ وعاونوهم علىٰ أهل التوحيد طوعًا لا كرهًا، وٱختيارًا لا ٱضطرارًا**».

قلت: هذه الرذائل، والكفر الصراح، زيادات جسيمة في الولاية الكفرية، **قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:** ﴿**إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ**﴾ [التوبة: ٣٧]، فالتَّشفيُّ بالموحدين الذين سلكوا سبيل المؤمنين، وتسفيه رأيهم، والافتراء عليهم، وتشويه سمعتهم، والارتماء في أحضان أعداء التوحيد، والاعتضاد بهم، ومآزرتهم علىٰ الفئة الموحدة كفرٌ مغلظٌ، وردَّةٌ قبيحةٌ، مآل صاحبها «الخزي» و«العار» و«الشَّنار». **قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:** ﴿**أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾**﴾ [القلم]. **وَقَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:** ﴿**أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾**﴾ [ص].

فهذه القبائح المبدية، والمسالك المخزية التي ذكرها الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ علىٰ عهده، قد ذاع صيتها، وزيّن قبحها، ودخل في حمأتها اليوم رهط كثير ـ أفواجًا أفواجًا ـ بل تسابقوا إليها، والمنكرون قبحهم؛ مسفَّهة أحلامهم، وممزَّقة أعراضهم، ومنهشة لحومهم، تارة يرمونهم بالتعصب، وتارة بالغلوّ في الدّين، وتارة بضعف البصيرة وعدم التلقين، وتارة بالتَّنطع والتطاول علىٰ الأستاذين والمعلمين، وكأنَّ الحجة ليس

لها أدلَّة تدلّ عليها، ولا يُظفر بها إلَّا عن طريق أحبار السُّوء، وتناسىٰ هؤلاء المميّعة السالكون في عمياء قوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿ **ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ٣** ﴾ [الأعراف]، ونسوا **أنَّ الحكمة ضالة المؤمن أين ما وجدها فهو أحقّ بها**، فللَّه الحمد، لا «رهبانية» ولا «كنهوتية» في الإسلام، التَّعبد بالدَّليل وإن جاء به الصغير، وتفنيد المزخرف ـ بعد البول عليه ورميه في الحش ـ وإن جاء به الكبير، هذا مسلك السالكين في وضوحٍ.

روىٰ ٱبن فراس بسنده عن هزيل بن شرحبيل أنه قال: «إنَّ رجلاً مات وترك ٱبنته وٱبنة ٱبنه وأخته لأبيه وأمه، فأتوا أبا موسىٰ الأشعري فسألوه عن ذلك فقال: لابنته النصف، والنصف الباقي للأخت، فأتوا ٱبن مسعود فذكروا ذلك له، فقال: لقد ضللت إذن وما أنا من المهتدين إن أخذت بقول الأشعري وتركت قول رسول اللَّه ﷺ.» [الإحكام في أصول الأحكام ٢/ ٣٠١].

قال الإمام الجليل ٱبن حزم رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ معقبًا علىٰ هذا الجميل من القول ما لفظه: «فهذا ٱبن مسعود يسمي القول من الصاحب إذا خالف النَّص؛ ضلالاً وخلافًا للهدىٰ.» [الإحكام في أصول الأحكام ٢/ ٣٠١].

قال أبو عُزير عبدالإله الحسني ـ عفا اللَّه عنه ـ : **وكذلك أنا أقول، ويقول كل صاحب دليل متجرد له، لقد ضللنا إذن وما نحن من المهتدين إن تركنا الحقّ اللاَّحب فيما خالف فيه الصَّاحب، فكيف بعد ذلك إذا كان المخالف حبرَ سوءٍ متمسحٍ بعتبة السَّلاطين؟!!**

فهل يترك الحقّ الأبلج الذي وقعه علىٰ القلب أثلج، ويسلك

مسلكه المزري، ويغض الطَّرف عن قبحه المبدي؟!

فهذا عين مخالفة الميثاق الذي واثقه اللَّه ـ تعالىٰ ـ علىٰ أولي العلم والنهىٰ.

فالقدوة في السُّلوك هي كما قال عبداللَّه بن مسعود ـ رضي اللَّه عنه ـ : «من كان متأسيًا فليتأسىٰ بأصحاب محمد ﷺ، فإنهم كانوا أبرَّ هذه الأمة قلوبًا، وأعمقها علمًا، وأقلها تكلفًا، وأقومها هديًا، وأحسنها حالاً، قوم ٱختارهم اللَّه لصحبة نبيه، وإقامة دينه، فٱعرفوا لهم فضلهم وٱتبعوهم في آثارهم فإنهم كانوا علىٰ الهدىٰ المستقيم.» [جامع بيان العلم وفضله رقم ٩٩٩].

قال أبو العتاهية:

وَالحَقُّ أَبْلَجُ لَا خَفَاءَ بِهِ مُذْ كَانَ يُبْصِرُ نُورَهُ الأَعْمَى

فأعمىٰ البصيرة، وقبيحُ السريرة، هو الذي يغوص في الشبهات، ليظفر بالشَّاذ من الآراء ليجوّزه ويحسّنه للعامة، ويترك ما هو أزكىٰ وأشرح، وهذه الوظيفة لا يقوم بها إلَّا من ٱنسلخ من الدَّليل ليصدّ عن السبيل، والقائمون بها هم الأكلة بٱسم الدّين، قطع اللَّه دابرهم؛ وما أكثرهم ـ لا كثَّرهم اللَّه ـ تعالىٰ ـ .

■ وقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ : «**فهؤلاء أولىٰ بالكفر والنار من الذين تركوا الهجرة شحًّا بالوطن، وخوفًا من الكفار، وخرجوا في جيشهم مكرهين خائفين**».

فالذين قتلوا يوم «بدر»، لحقهم وعيد الآية لتركهم الهجرة، أما الذين كانوا علىٰ عهد الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ **لحقهم التَّكفير والوعيد**

بالنار لموالاتهم المشركين ـ القبوريين العثمانيين ـ مع ما لهم من سابقة جهاد، لما وراءهم من النصارىٰ ـ الصَّقالب البلغار والصرب ـ ، فذنب هؤلاء أعظم من الذين أخرجوا يوم «بدر».

■ وقوله رَحِمَهُ اللَّهُ ـ تعالىٰ ـ : «**فإن قال قائلٌ: هلاَّ كان الإكراه عذرًا ـ للذين قتلوا يوم بدر ـ علىٰ الخروج؟**

قيل: لا يكون عذرًا ؛ لأنهم في أول الأمر لم يكونوا معذورين. إذا أقاموا مع الكفار، فلا يعذرون بعد ذلك بالإكراه؛ لأنهم السبب في ذلك، حيث أقاموا معهم وتركوا الهجرة».

فكيف يكون إيثار الحياة الدُّنيا علىٰ محبة اللَّه ـ تعالىٰ ـ ورسوله وما أوجبه من توحيده والبراءة من أعدائه عذرًا؟!!

أيعقل أنَّ الإنسان يتيسَّر له الخروج من الذُّل والهوان، ثم لا يفعل ذلك؟!

فهذه سفسطة في العقلية الصحيحة؛ ولو كان غير ذلك، لما صحَّ المثل العربي الأصيل: «إنما تجني براقش علىٰ نفسها»، **فمن فُتحت له كوَّة الوسع ولم يلجها فلا وسَّع اللَّه عليه.**

فإذا كان التَّعرض للبلاء مما لا تطيقه النفس ذُلاًّ، لقوله ـ صلوات اللَّه وسلامه عليه ـ : «**لا ينبغي للمؤمن أن يذل نفسه**، قالوا: وكيف يذلُّ نفسَه؟ قال: **يتعرَّض من البلاء لما لا يطيق**» [صحيح سنن الترمذي رقم ٢٢٥٣ وصحيح سنن ابن ماجة رقم ٤٠١٦].

فذل معصية ترك الهجرة، لقوله ـ صلوات اللَّه وسلامه عليه ـ : «**برئَت الذِّمة ممن أقام مع المشركين في بلادهم**» [السلسلة الصحيحة رقم

٧٦٨]؛ ذلٌّ ما فوقه ذلٌ، بل الذُّلُّ نفسه، فإذا ٱنضاف إلىٰ ذلك موالاة الكفَّار بأيِّ ولاية، والدُّخول في حلفهم ضد المؤمنين تحقَّق قوله ـ تعالىٰ ـ : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُوا۟ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [المجادلة : ٥]. وقوله ـ تعالىٰ ـ : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ ٢٠﴾ [المجادلة].

والكبت: هو الإذلال والخزي والتَّصريع علىٰ الوجه، وذلك هو حكم المحادّ، والمحادَّة المعاداة، فعلم أنَّ المحادَّ ليس بمسالمٍ ولا يعقد له أمان، وقوله: «فِى ٱلْأَذَلِّينَ» في صلب الذُّل والهوان؛ ذلّ الدُّنيا، وخزي الآخرة، جزاءً وفاقًا ـ والعياذ باللَّه ـ ، وهل ينتظر المحادّ إلَّا هذا؟!!

فبعدما ذكرنا من فتحٍ ربانيٍّ في هذا «الدَّليل السَّادس»؛ والفضل للَّه وحده ونسأله المزيد، وعدم الحرمان من هذا الينبوع ـ ينبوع الفهم السَّليم للكتاب والسنَّة ـ ، فهما المشكاة التي تهدي إلىٰ اللَّه ـ تعالىٰ ـ والجنَّة؛ نريد أن نذكر فائدةً عزيزةً ٱستنبطها أهل الفضل والعلم ـ صُلحاء السريرة ونُقَاَء العقيدة ـ من الآية الكريمة التي ٱعتمدها المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ في دليله السَّادس، ترد علىٰ أخبث الفرق؛ التي جعلت الدّين كثوبٍ سابريٍّ ـ «المرجئة وطائفتهم الجدد» اليوم ـ ، وما أكثرهم ـ لا كثَّرهم اللَّه ـ تعالىٰ ـ ، لكن وإن كثروا؛ فهم غثاءٌ كغثاء السَّيل، ودخانٌ كدخان اللَّيل؛ لا يسمع لشنشنتهم، ولا ترىٰ كثرتهم، لأنَّ ليس لهم فيما ٱدَّعوا عهدة، ولا فيما زخرفوا عقبىٰ.

يقول المحدث الجليل أبو بكر محمد بن الحسين الآجري رَحِمَهُ ٱللَّهُ

ـ تعالىٰ ـ ؛ بعدما ذكر عدَّة آيات كريمات تدل علىٰ أنَّ الإيمان لا ينفع وحده، ولا تثبت حقيقته إلَّا مع العمل الصالح ـ لأنه ركنٌ وشرطُ صحةٍ فيه ـ ؛ نذكر بعضًا منها؛ لأنها حبالٌ ممدودةٌ، جذبت إليها تلك اللَّطيفة والفائدة المحمودة، التي سوف نذكرها بعد الآيات الكريمات.

قال ـ تعالىٰ ـ في سورة المائدة: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٠﴾﴾.

وقال ـ تعالىٰ ـ في سورة الأنعام: ﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۖ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾﴾.

وقال ـ تعالىٰ ـ في سورة الأعراف: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٤٢﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ۖ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ۖ وَنُودُوٓاْ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾.

وقال ـ تعالىٰ ـ في سورة البراءة: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [البراءة].

وقال ـ تعالىٰ ـ : ﴿لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [البراءة].

قال محمد بن الحسين ـ الآجري ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ما لفظه: «اعتبروا ـ

رحمكم اللَّه ـ بما تسمعون، لم يُعْطِهم مولاهم هذا الخير كلَّه بالإيمان وحده، حتَّىٰ ذكر هجرتهم وجهادهم بأموالهم وأنفسهم.

وقد علمتهم أنَّ اللَّه ـ تعالىٰ ـ ذكر قومًا آمنوا بـ«مكة» ولم يهاجروا معه، ماذا قال فيهم؟! وهو قوله ـ تعالىٰ ـ : ﴿ **إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمِۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٞ ٧٢** ﴾ [الأنفال: ٧٢].

ثم ذكر قومًا آمنوا بـ«مكة»، وأمكنتهم الهجرة إليه فلم يهاجروا، فقال فيهم قولاً هو أعظم من هذا، وهو قوله ـ تعالىٰ ـ : ﴿ **إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْۖ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي ٱلْأَرْضِۚ قَالُوٓاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ٩٧** ﴾ [النساء].

ثم عذر ـ تعالىٰ ـ من لم يستطع الهجرة، ولا النُّهوض بعد إيمانه فقال ـ تعالىٰ ـ : ﴿ **إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ٩٨** ﴾ [النساء].

كل هذا يدلُّ علىٰ أنَّ الإيمان تصديق بالقلب وقول باللسان، وعمل بالجوارح، لا يجوز غير هذا، ردًا علىٰ المرجئة الذين لعب بهم الشيطان، ميِّزوا هذا تَفْقَهُوا، ـ إن شاء اللَّه ـ .» [الشريعة ٢/ ٦٢٢ ـ ٦٢٤].

فتدبر هذا أيّها القارىء الكريم، المبتغي الهدىٰ المستقيم، وإيَّاك أن يلعب الشيطان بمعتقدك، ثم إيَّاك إيَّاك أن يستخفنَّك كلّ أثري بين ـ

المعكوفتين ـ ، فيجلبك إلىٰ المسلك الوخيم ـ مسلك المرجئة الجدد الذَّميم ـ ، الذي عجز في الدَّعوة إليه الرَّجيمُ.

«الدَّلِيلُ السَّابِعُ»

قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ﴾ [النساء: ١٤٠].

فذكر ـ تبارك وتعالىٰ ـ ، أنه نزَّل علىٰ المؤمنين في الكتاب: أنهم إذا سمعوا آيات اللَّه يكفر بها، ويستهزأ بها فلا يقعدوا معهم، حتَّىٰ يخوضوا في حديث غيره. وأن من جلس مع الكافرين بآيات اللَّه، المستهزئين بها في حال كفرهم وٱستهزائهم فهو مثلهم. ولم يفرّق بين الخائف وغيره. إلَّا المكره.

هذا وهم في بلدٍ واحدٍ، في أول الإسلام. فكيف بمن كان في سعة الإسلام وعزّه وبلاده، فدعا الكافرين بآيات اللَّه المستهزئين بها إلىٰ بلاده، وٱتخذهم أولياء وأصحابًا وجلساءَ، وسمع كفرهم وٱستهزاءَهم وٱقرَّهم، وطرد أهل التَّوحيد وأبعدهم؟!!

الشَّرح:

يخاطب المولىٰ ـ سبحانه وتعالىٰ ـ في هذه الآية الكريمة، جميع من أظهر الإيمان؛ بالامتثال إلىٰ الأوامر والانقياد لها، مع سعة الصدر لذلك والتَّسليم له، لأنَّ ذلك من صلب الإيمان وأصله، ولا تثبت حقيقته في القلب إلَّا به، فقد أشار في هذه الآية الكريمة، بل أمر بحكمٍ عظيمٍ يهدم ركن الإيمان لمن لم يمتثل له، وهو عدم القعود؛ ومفارقة المستهزئين في حال ٱستهزائهم بآيات اللَّه ـ تعالىٰ ـ ، وقد صدَّر هذا

الحكم بقوله: «نَزَّلَ عَلَيْكُمْ»، وقرأ الجمهور «نُزِّلَ عَلَيْكُمْ» بضمِ النُّونِ، وكَسْرِ الزاي المشدَّدة.

ففي الآية الكريمة تحريمٌ مطلقٌ في مجالسة المستهزئين بآيات اللَّه، أو بكتابه، أو برسوله، في حال خوضهم في ذلك ـ والعياذ باللَّه ـ ، أو في مجالسة المبتدعة الذين يلحدون في آيات اللَّه ـ تعالىٰ ـ ، ولو بقصد التَّنزيه؛ كتعطيل بعض أسمائه وصفاته، كما فعلت «المعتزلة» و«الأشاعرة» بسلب بعض ما وصف اللَّه ـ تعالىٰ ـ به نفسه، وتأويلها بما لا يريده الشارع الحكيم، وهل توجد جنايةٌ أعظم من الخروج عن ظاهر اللَّفظ؟! أو في مجالسة الفسقة المعلنين بفسقهم في حال الجلوس معهم.

■ فقوله رَحِمَهُ اللَّهُ ـ تعالىٰ ـ : «**فذكر ـ تبارك وتعالىٰ ـ ، أنه نزَّل علىٰ المؤمنين في الكتاب: أنهم إذا سمعوا آيات اللَّه يكفر بها، ويستهزأ بها فلا يقعدوا معهم، حتَّىٰ يخوضوا في حديث غيره**».

يشير المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ ـ تعالىٰ ـ إلىٰ الملفوظ من الآية، أنه محكمٌ ولا يوجد ما ينسخه، وٱجتناب القعود في الحالات الثلاث ـ الكفر والاستهزاء، أو البدعة بالإلحاد أو التَّحريف أو التَّزييف، أو الفسق علىٰ ٱختلاف أنواعه، المحكوم عليه بالشرع أنه فسقٌ ـ ، لا علىٰ ما أحدث بعض الناس في بيئاتهم ومجتمعاتهم؛ من عادات يفسقوا من خالفها، فالفسق هو الخروج عن ظاهر الشرع، لا الخروج عن عادات الناس، ويدخل دخولاً أوليًا في النَّهي؛ الجلوس مع أحبار السُّوء ـ المتزلّفة بالتحريف والتَّزييف للسلاطين ـ ؛ الذين إذا سلمت لهم مآكلهم

ورياساتهم فلا مبالاة بما جرىٰ علىٰ الدّين، وعين التَّقوىٰ هو ٱجتناب هؤلاء وعدم مجالستهم؛ ليسلم للعامة دينهم، ويكونوا علىٰ بيِّنة من أمرهم في هؤلاء؛ الأكلة بٱسم الدّين.

فالآية الكريمة فيها نهيٌّ في تولية الوظائف الحكومية؛ الدَّاعية إلىٰ الإلحاد، كالقنوات الفضائية التي تلحد في آيات اللَّه ـ تعالىٰ ـ وتستهزأ بها، أو البنوك الربوية، التي أذن الشارع الحكيم بحربها، أو الأماكن الفجورية الدَّاعية إلىٰ الانحلال العقدي والخلقي، المسماة بٱسمٍ شيطانيٍّ للتَّزييف، كالسياحة ودور الفن؛ من مسرح وغناء لهز الخسر والأرداف، فهذه الأماكن خصِّصت وشيِّد عمرانها لهزِّ الأسس الإيمانية في المجتمع المسلم، وهي جزءٌ من الحرب اليهوصليبية السَّاعية لإطفاء نور اللَّه ـ تعالىٰ ـ، وإنْ هم في حربهم هذه إلَّا كما قال ـ تعالىٰ ـ : ﴿ **وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ٣٩** ﴾ [النور].

فهم ينفقون النَّفقات، ويشيّدون السروات، ويعقدون المؤتمرات، ويزخرفون الشعارات، لسرابٍ يكون حسرة عليهم، فاللَّه ـ تعالىٰ ـ لا يغلبه غالبٌ ولا يفلت منه هاربٌ، ﴿**وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ٢١**﴾ [يوسف].

■ وقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ : «**وأنَّ من جلس مع الكافرين بآيات اللَّه، المستهزئين بها في حال كفرهم وٱستهزائهم فهو مثلهم. ولم يفرّق بين الخائف وغيره إلَّا المكره**».

فالمجالس لهؤلاء في حال خوضهم في الكفر والإستهزاء، إما زنديقٌ منافقٌ، وإما فاجرٌ فاسقٌ إذا كان خوضهم فيما دون الكفر والردَّة عن الدّين، فقوله ـ تعالىٰ ـ: «﴿إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾» تعليلٌ للنَّهي، فكأنه يقول: إذا قعدتم علىٰ ذاك الحال ولم تقوموا عن الكفار، فأنتم مثلهم في الكفر، وهذه المماثلة ليست في جميع الصفات، ولكنه إلزام شبه بحكم الظَّاهر، وإذا ٱدَّعىٰ المجالس لهؤلاء الكفار الخائضين في كفرهم، أو المرتدين عن دينهم بسبب ٱستهزائهم، سلامته من ذلك لم يقبل؛ فإنه إن لم يفعل معهم المحرمات، ويترك الواجبات، أقرَّهم علىٰ المنكرات، فلم يأمرهم بمعروفٍ، ولم ينهاهم عن منكرٍ، فعلىٰ كل حال هو مستحقٌ للعقوبة.

قال هشام بن عروة: «أخذ عمر بن عبدالعزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ قومًا يشربون الخمر، فأمر بجلدهم الحد، فقيل: إنَّ فيهم صائمًا؟ فقال: ٱبدؤوا بالصائم فٱجلدوه، ألم يسمع إلىٰ قوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾» [جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٣/ ٦١].

فجعل «عمر بن عبدالعزيز» رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ بهذه الآية حاضر المنكر كفاعله، لأنَّ وجب عليه الإنكار ولم يفعل، وفرَّط في أضعف الإيمان ـ وهو الإعراض وعدم القعود ـ ولم يفعل، فلحقه حكم هذه الآية في المثلية بسبب القعود، وإن لم يقترف القول أو الفعل.

وأما قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ: «**في حال كفرهم وٱستهزائهم فهو**

مثلهم».

فهذا كلامٌ مجملٌ من المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ، لابدَّ من توضيحه حتَّىٰ لا تختلط الأحكام ويجنىٰ بها علىٰ الأنام، فرسالة «**الدَّلائل**» ألّفت للرَّد علىٰ المشركة القبورية ـ الدولة العثمانية ومن ظاهرها من الأعراب، أو أصحاب الأغراض الخسيسة ـ، ولقد أوضحنا ذلك وحرَّرنا الجواب وبيَّنا ما هو الصواب.

فالمجالس للكافر الأصلي المستهزىء بآيات اللَّه ـ تعالىٰ ـ أو كتابه، أو رسوله، إن لم يقم من ذلك المجلس فهو مثله في الحكم؛ هذا في الاستضعاف، أما في مرحلة القوة، فعليه القيام ثم الدَّل عليه عند وليِّ الأمر ليقام عليه الحد؛ لأنَّ ذلك من صلب تعظيم شعائر اللَّه ـ تعالىٰ ـ، وقد قال فيها المولىٰ ـ سبحانه وتعالىٰ ـ: ﴿**وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ**﴾ [الحج: ٣٠]. **وَقَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ**: ﴿**وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ۝٣٢**﴾ [الحج].

أما إن كان المجالَس إليه ممَّن دخل في الرّدة بسبب الإستهزاء، لأنَّ وصف الكفر قائمٌ به بما ٱقترف من القول، وإن لم يعلم أنَّ ذلك يرديه، فالذين ٱعتذروا قالوا: ﴿**إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ**﴾ [التوبة: ٦٥]، فلم يعذرهم اللَّه ـ تعالىٰ ـ علىٰ ما ٱقترفوا وقال: ﴿**لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ**﴾ [التوبة: ٦٦]. فعلىٰ المجالس القيام، والدَّل عليه بالإبهام، وقدوته في ذلك عمل الصحابي الجليل الذي دلَّ علىٰ الذين نزلت فيهم آيات الإستهزاء.

وأما إذا كان المجالس لا يعلم من الكلام ما هو ٱستهزاء وٱستخفاف

بآيات اللَّه ـ تعالىٰ ـ ، فعليه أن يجتنب مواطن الريبة ولا يجالس مثل هؤلاء الذين تغلب عليهم الرّعونة والخسَّة والإنحطاط إلىٰ المرذول من القول، فحكم المثلية لا يثبت في المجالس إلَّا إذا علم أنَّ القول ٱستخفافٌ، فهذا هو الجواب، بما وهبه لنا الوهاب، لنكفيَ القول المجمل؛ ونأمن المستشكل، وفي هذا المقدار كفاية لمن له هداية.

وليس في الآية مانعٌ من الجلوس إلىٰ الكفار إذا خاضوا في غير سبٍّ أو ٱستهزاءٍ، أو منكرٍ يروه جائزًا في شرعتهم، أو شعيرة يتديَّنون بها؛ كشرب النَّصارىٰ للخمر تديّنًا، فالطبيب الكافر يجوز مجالسته والتَّطبب بطبِّه، والتاجر الكافر يجوز محادثته والشراء منه، والنَّهيُّ في الآية ـ المعلَّلُ بعدم القعود ـ ؛ هو الإستماعُ لا السَّماعُ، فالرجل المجتاز بالطريق؛ لو سمع الكفر والإلحاد والإستهزاء أو الفسق والمجون من غير قصدٍ منه لم يأثم بذلك بالإتّفاق.

فالأسيرُ المقيَّدُ بأغلاله، المكره علىٰ سماع السبّ والإستهزاء، لا يأثم بذلك، كالأسرىٰ الموحدين الذين في أيدي الصلبيين ـ بـ«غوانتنامو» أو سجن «باجرام» بأفغانستان ـ أو الذين في سجون المرتد ـ الكاره لما أنزل اللَّه ـ تعالىٰ ـ فأحبط عمله ـ ؛ الحاكم بالقانون الوضعي، فهؤلاء ٱستعمل معهم أنكىٰ وأشد العذاب «الجسمي» و«النفسي»، وقهروا في عقيدتهم، ودنس أمامهم المصحف الشريف، ورمي به في الحشّ وأعينهم تنظر إلىٰ ذلك وهم حفاة عراة يعبث بعوراتهم، نسأل اللَّه ـ تعالىٰ ـ أن يفك قيدهم، ويشفي مكلومهم، ويرفع درجتهم في الدَّارين آمين! آمين!

وقوله رَحِمَهُ اللَّهُ ـ تعالىٰ ـ : «**ولم يفرّق بين الخائف وغيره. إلَّا المكره**».

فالخوفُ ليس فيه عذرٌ، ولقد أرشد اللَّه ـ تعالىٰ ـ إلىٰ الإعراض إذا حصل ذلك، بقوله ـ تعالىٰ ـ : ﴿**وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾**﴾ [الأنعام]، فالآيةُ مكيةٌ وفيها ترخيصٌ للمضطر المكره ـ الذي بين أظهر الكفار ـ ؛ إذا ٱضطر إلىٰ مجالستهم، أن يعرض في حال خوضهم في آيات اللَّه ـ تعالىٰ ـ والإستهزاء بها، كالمقيمين المضطرين بين أظهر الدَّنماركيين، الذين ٱستهزأوا بنبيّنا الكريم، ثم إنَّ الآية نسخت بالآية التي ٱعتمدها المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ ـ تعالىٰ ـ في دليله، فآية «الأنعام : ﴿٦٨﴾» وإن نسخت بآية الباب ـ «النساء : ﴿١٤٠﴾» ـ يبقىٰ يعمل بها في حالة الإستضعاف ـ كالمقيم المضطر بين أيدي الكفار ـ المسمَّىٰ في عرف الناس اليوم «اللُّجوء السياسي»، وليس «اللُّجوء البطني»، فهذا لزمه الإعراض متىٰ رأىٰ من الكفار ذلك.

والمراد بالإعراض، هو إظهار المخالفة اللُّطفية، بالقيام عن مجالستهم، لا الإعراض بالقلب أو الوجه، فالإعراض في اللسان: هو الصَّد عن الشيء، تقول: أعرض عن الشيء؛ إذا ولاَّه ظهره.

■ وقوله رَحِمَهُ اللَّهُ ـ تعالىٰ ـ : «**هذا وهم في بلدٍ واحدٍ، في أول الإسلام**».

لأنَّ سورة الأنعام مكيَّة؛ نزلت والمسلم مخالط للكفار آنذاك، مستخف بدينه يخشىٰ التَّنكيل إذا أظهره، ومع هذا حرّم الجلوس معهم

في حالة الخوض في آيات اللَّه ـ تعالىٰ ـ بالإعراض عنهم، فقوله ـ تعالىٰ ـ : ﴿حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ﴾ [الأنعام : ٦٨]، غاية لترك القعود معهم، **ومفهوم الغاية؛ أنهم إذا خاضوا في غير الكفر والإستهزاء ٱرتفع النَّهي، فجاز لهم أن يقعدوا معهم، هذا في مرحلة الاستضعاف، التي لا يقدر فيها المستضعف ـ ببقائه في ديار الكفر ـ أن يغيّر ذلك**، فوجب عليه حينها أضعف الإيمان، وهو الإعراض عنهم وإلَّا كان مثلهم.

■ وقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ : «**فكيف بمن كان في سعة الإسلام وعزّه وبلاده**».

يخبر المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ عن حال الذين فعلوا هذا، وهم في ديار العزة والإباء ـ الدَّرعية التي كانت درعة أهل التوحيد ـ ، فمرحلة القوة هي إظهار العزَّة والإباء، وتنكيس رؤوس أهل الشّرك والإعتداء، فهذه المرحلة تقام فيها الحدود علىٰ المستهزئين، فإن كانوا سبوا اللَّه ورسوله ـ والعياذ باللَّه ـ تراق دماءهم وتجعل هدرًا، كما فعل الأمير «عبدالرحمن بن الحكم الأموي» رَحِمَهُ ٱللَّهُ مع ٱبن أخي حظيته لما ٱستهزأ باللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ وقد أفتاه في ذلك الإمام الجليل «أبو مروان عبدالملك السلمي» رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ .

■ وقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ : «**فدعا الكافرين بآيات اللَّه المستهزئين بها إلىٰ بلاده، وٱتخذهم أولياء وأصحابًا وجلساءَ، وسمع كفرهم وٱستهزاءَهم وٱقرَّهم**».

هذا العمل لا يقدم عليه إلَّا المنافقُ الماردُ، الذي يجيد لعق الفتات المداس بالأحذية، فالذَّليل المهين؛ المضروب عليه بالصَّغار هو الذي

تروق نفسه إلىٰ هذا الدَّنيء من العمل، فهو عدوٌّ لنفسه ولغيره، سالك بها شعاب الذُّل والهوان في الحالتين أحبَّ أم كره ذلك؛ حالة إذا جاسَّ العدوُّ خلال الديار، وفتك بالعباد، وعاثىٰ فيها بالفساد، أن يذله العدو الحقود ـ عبَّاد الصليب واليهود ـ إذا تمكنوا من الديار؛ لا يثقون به، ويستخفُّون به، ويسمعوه المرذول من القول، وإذا قهر العدو وٱنتكس وفرَّ معهم إلىٰ ديارهم؛ ٱستعملوه حمارًا يحمل أسفارًا، وليس له أن يقول تعبت من ذلك، ولا يهنأ براحة بالٍ ولا نفسٍ ولا جسدٍ، كيف واللَّه ـ تعالىٰ ـ يقول: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١]؟!؛ **منهم في «الحكم» و«الوصف»، وما ترتب علىٰ الوصف من هوان**؛ كتبه اللَّه ـ تعالىٰ ـ وجعله سنَّة التي لا تجد لها تبديلاً ولا تحويلاً، **قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ**: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ ۝٢٠ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ۝٢١﴾ [المجادلة].

والغلبة تكون إما بالنصر والظَّفر، وإما بالشهادة والجنَّة، فالدّين الذي قاتل عليه الشهداء لابدَّ أن ينتصر ويظهر، مهما علا العدو وتجبَّر، فيكون للشهداء السَّعادة في الدُّنيا والآخرة، ويكون للأعداء اللَّعنة في الدُّنيا والقبح في الآخرة، والدَّليل فيما صحَّ نقله، وتتوفَّر الهمم والدَّواعي علىٰ نقله، **قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ**: ﴿كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۝٢٥ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ۝٢٦ وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ ۝٢٧ كَذَٰلِكَ ۖ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ۝٢٨ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ ۝٢٩﴾ [الدخان].

وظهور الكفار علىٰ المؤمنين مؤقتًا، هو بسبب ذنوب المسلمين كيوم «أحد»، لكن سرعان ما يوفّقهم اللَّه ـ تعالى ـ إلىٰ التوبة والإستغفار،

وإظهار الضعف والإنابة والإفتقار، فينصرون وتكون لهم العاقبة، كُتب ذلك في الملاحم التي ذُكر وقعها، والتي نشاهدها في عدَّة مواطن من الأرض، والتي سنشاهدها إن طال اللَّه ـ تعالىٰ ـ العمر، ونسأله معها حسن العمل. آمين! آمين! والتي ستكون قبل قيام الساعة؛ سنَّة محكمة لا تحويل ولا تبديل لها.

ثم إنَّ ظهور الكفار المؤقتي، هو بحد ذاته تطهير للنفس ممَّا يخالجها من العُجْب، أو الائتناس بما جُمع من عدَّة وعتاد، **قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ**: ﴿ **لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ** ﴿٢٥﴾ ﴾ [التوبة]. فلما خالج قلوب المؤمنين هذه السَّيئة؛ كتب اللَّه ـ تعالىٰ ـ تطهيرها، لئلاَّ يسقطوا في فخها، فٱستوجب حينها علىٰ المؤمنين أن يظهروا الإفتقار، ويتعبَّدوا اللَّه ـ تعالىٰ ـ بعبودية كمال الحبِّ والذُّل ـ التي هي العبودية الخاصة ـ ولا تكون إلَّا للطائفة المؤمنة، فمتىٰ لهجت القلوب بذلك وٱنكسرت إلىٰ خالقها، نزل عليهم كما نزل علىٰ الذين ولُّوا مدبرين يوم «حنين»، ﴿ **ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ** ﴿٢٦﴾ ﴾ [التوبة].

فالعاقبة لا تكون أبدًا للكافر الفاجر مهما كان النَّصر، **قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ**: ﴿ **وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ** ﴿١٣٢﴾ ﴾ [طه]. وأين التقوىٰ عند الكافر الفاجر؛ الذي خرج عن الفطرة المكمَّلة بالشرعة المنزَّهة؟!!

وعلىٰ كلٍّ، القاعدة المحكمة إلىٰ قيام الساعة، تدور مع الصبرين،

الصبر علىٰ التَّكليف، والصَّبر علىٰ مواجهة المخيف؛ الجاسّ خلال الدِّيار، فمدار النصر والظهور مع الصبر علىٰ متابعة الرَّسول وجودًا وعدمًا، فدوران الحكم مع الوصف وجودًا وعدمًا من غير مزاحمة وصف آخر، قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِيٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْأٓخِرَةِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾﴾ [آل عمران]. فكان ثواب الدُّنيا، النَّصر والظَّفر، وكان ثواب الآخرة، الفردوس جزاء الصبر، فتدبَّر هذا وٱحفظه ـ يرحمك اللَّه ـ ، فإنه من الإحسان الذي يحبه اللَّه ـ تعالىٰ ـ ويبارك فيه.

وقبل أن أختم شرح هذا العنصر، أودُّ أن أذكر حادثتين، هي سنَّة المذلولين المنتكسين إلىٰ يوم الدّين، حادثة ذكرها لي أبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ «عبدالقادر بن عودة الحسني»، وعمي ـ حفظه اللَّه ـ تعالىٰ ـ «علي بن الشريف الحسني»، عايناها بأحوالها، فلقد شاركوا في الجهاد المبارك ضد العدو الصليبي الفرنسي الذي ٱجتاح ديار «الجزائر»، ففتك بالعباد، وأفسد البلاد، وقد ألقي عليهم القبض وسجنا وعذبا إلىٰ آخر أيام العدو.

فكانا ممَّا حدَّثاني به، أنَّ المرتد الموالي للعدو، يقدم علىٰ الأعمال التي يترفع عنها العدو الصليبي، ويقدموه علىٰ الأعمال التي قد يعفىٰ عنها الحمار، فهذا الذل مرتبط بطريقة التَّلازم بالمعصية المكفرة،

من غير وجود سببٍ آخر يزاحم ذلك، ولقد أخبرتني أختي «زليخة الحسني» وهي ٱبنة عشر سنين أو أكثر ـ حفظها اللَّه تعالىٰ ـ، لما جاء العدو الصليبي يفتش بيتنا، كيف أخافهم المرتد الموالي بالكلب حتَّىٰ ألجأهم إلىٰ الركن؛ فلما رأىٰ العريف ـ العدو الكافر الأصلي ـ ذلك المنظر والمظهر المقرف؛ الذي تقرَّف هو منه ولم يتقرَّف منه المرتد، بل أعجبه ذلك؛ شقّ الصفوف وجاءه، فلما وصل إليه، صفعه صفعة لم تشاهدها أختي من قبل، فحنىٰ رأسه الخسيس ولم يتكلم بحرفٍ واحدٍ.

ولما دُمِّر العدو بفضل اللَّه ـ تعالىٰ ـ ثم بفضل المجاهدين الصادقين، فرَّت هذه الزمرة الخبيثة معه، فلما وصلوا الديار الفرنسية، ضرب عليهم السياج ومنعوا الخروج، وقالوا لهم: أنتم خونة خنتم بلادكم، فلا ثقة بكم، وبقوا علىٰ تلك الحال حوالي عقدين من الزمن، ولقد أخبرني من أثق به مؤخرًا، أنهم لما طالبوا بحقوق جراء ما فعلوا، قال لهم رئيس بلدية «مُونْبلْيِي» جورْج فْرَاش: «ٱخرسوا وٱخسأوا ولا تتكلمون، أنتم كنتم دومًا وستضلون دائمًا تحت أقدام الرّجال، لا شرف لكم، أين الجميل من العمل الذي فعلتموه؟!!»[1]. **قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:** ﴿**وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ** ⁽٨⁾﴾ [الشورى].

وهذه الأيام بدأ العدو اليهوصليبي المجتاح لديار «العراق»

(١) قلت: لقد صدق الكافر الفاجر في قوله؛ وكان ذلك الجرح الصادق يوم «١١/ فبراير/ ٢٠٠٦م»؛ ولقد رفعت تلك الفئة الخبيثة عليه دعوة قضائية؛ فخرج منها بريئًا ـ مع إصراره على قوله؛ لأنه صدقٌ ـ، ٱنظر «جريدة لَدِيبَاش» العدد الصادر يوم «١/ ٠٤/ ٢٠٠٩م».

و«أفغانستان» يمنح التأشيرات للخونة المرتدين، ليفروا، وسوف ينالهم الذُّل والهوان، وضنك العيش، وضيق الصدر، ولو أغدق عليهم من جميع الخزانات، فذل المعصية المكفرة يلاحقهم، وألسنة من تولَّوه تقرّفهم، وأرجله تدوسهم ﴿جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾﴾ [النبأ].

■ وقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ : «**وطرد أهل التَّوحيد وأبعدهم؟!!**».

يشير المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ إلىٰ ما قام به «إبراهيم باشا» من فتكٍ وسلبٍ ونهبٍ لأهل التوحيد، فلقد قتل العلماء، ومنهم المؤلف نفسه، وقد ذكرنا ذلك في ترجمته، وسبىٰ الذُّرية وحملها إلىٰ والده «محمد علي باشا» بمصر، وكان يومها من المسبيين زعماء نجد، وآل سعود، وبعض العلماء، من بينهم العلاَّمة «عبداللَّطيف بن عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب» رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ صاحب الكتابات الزَّكية، والأجوبة النافعة المرضية، ومنها «**عيون الرَّسائل والأجوبة عن المسائل**» في مجلدين ضخمين[١].

فلقد ٱصطحب هو ووالده وأعمامه، وهو ٱبن ثماني سنين يومها، فأين النفوس التي ترضىٰ أن يفعل بأهلها ذلك، وتتلذَّذ به؟!! اللَّهم إلَّا النفوس التي تحلَّلت من كل خلقٍ قويمٍ، المشتهية لكل سافلٍ وذليلٍ ذميمٍ؛ لما تطبَّعت به، لأنَّ الطَّبع ـ وهو الأصلية العفنة الحقيرة ـ يغلب التَّطبع، فمهما أظهر المبتلي بذلك خلاف طبعه،؛ للتَّربص واللَّدغ،

---

(١) قلت: وقد حقّقا من طرف مرجىءٍ جلدٍ يدعو إلى قول المنتسبين إلى السَّلفية بالزَّيفية ـ أنَّ العمل شرط كمال في الإيمان وليس ركنًا منه ـ ، ٱسمه «حسين محمد بوَا»، فليحذر القارىء الكريم من حواشيه المزكمة للأنوف.

إلَّا وأظهر الطَّبع مكنون ضميره، ومن أراد مشاهدة ذلك في العيان، فلينظر إلىٰ «المدرسة اليهودية»، ومن تخرَّج من أحظانها كـ«الرافضة الباطنية»، فلقد بلغ بهم المكر والخداع والخسَّة والذلَّة؛ بأن أصبح الشيطان من جندهم.

قال بعض السَّاقطين في هذه الرَّذائل:

وَكُنْتُ امْرَءًا مِنْ جُنْدِ إِبْلِيس فَانْتَهى
بِيَ الفِسقُ حَتَّى صَارَ إِبْلِيسُ مِنْ جُنْدِي

فَلَوْ مَاتَ قَبْلِي كُنْتُ أُحْسِنُ بَعْدَهُ
طَرَائِقَ فِسْقٍ لَيْسَ يُحْسِنُهَا بَعْدِي

يذكر العلاَّمة ٱبن قيم الجوزية رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ رذائل وخصائص المدرسة اليهودية فيقول ما نصّه: «فالأمة الغضبية هم «اليهود» أهل الكذب والبهت والغدر والمكر والحيل، قتلة الأنبياء وأكلة السحت ـ وهو الربا والرشا ـ أخبث الأمم طوية، وأرداهم سجية، وأبعدهم من الرحمة، وأقربهم من النقمة، عادتهم البغضاء، وديدنهم العداوة والشحناء، بيت السحر والكذب والحيل، لا يرون لمن خالفهم في كفرهم وتكذيبهم الأنبياء حرمة، ولا يرقبون في مؤمن إلًّا ولا ذمة، **ولا لمن وافقهم عندهم حق ولا شفقة، ولا لمن شاركهم عندهم عدل ولا نصفة، ولا لمن خالطهم طمأنينة ولا أمنة، ولا لمن ٱستعملهم عندهم نصيحة؛ بل أخبثهم أعقلهم، وأحذقهم أغشَّهم، وسليم الناصية ـ وحاشاه أن يوجد منهم ـ ليس بيهودي علىٰ الحقيقة**، أضيق الخلق صدرًا، وأظلمهم بيوتًا، وأنتنهم أفنية، وأوحشهم سجية، تحيتهم لعنة

ولقاؤهم طيرة، شعارهم الغضب ودثارهم المقت.» [هداية الحيارىٰ في أجوبة اليهود والنصارىٰ ص ١٠].

فالذي تربَّىٰ وترعرع في أحظان هذه المدرسة النَّتنة ـ كالحمر الوحشية؛ الرافضة الباطنية ـ ومن شاكلها، متىٰ قدر عليهم؛ يستعمل فيهم قوله ـ تعالىٰ ـ : ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ﴾ [النور : ٢]؛ فهذا الطَّبع الخبيث وما يفعله ـ من شهوة المكر والحيل والخداع ـ نشوتها توجب السُّكر، **قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ**: ﴿إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ (٧٢)﴾ [الحجر]، فحالة السُّكر، يرفعها عصا القهر، لهذا يقال: حمرة خجل، وصفرة وجل؛ وهذه الصفرة متىٰ حدثت لشخصٍ، أذهبت عنه السُّكر ولو شرب صاحبه الدَّنانين، بل يفقد النعاس والسَّكينة، فكيف إذا نشأت هذه الصفرة من الانتقام لحرمات اللَّه ـ تعالىٰ ـ؟! والواقع شاهد عيان في المجالس التي أنشأها العدو اللَّدود في ديار المسلمين، كيف تتبعها عصبة الموحدين، وجُنَّة المؤمنين، يأخذونها ويقتّلونها تقتيلاً، **قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ**: ﴿فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا (٧٦)﴾ [النساء].

«الدَّلِيلُ الثَّامِن»

قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ [المائدة].

فنهىٰ ـ سبحانه ـ المؤمنين عن ٱتخاذ اليهود والنصارىٰ أولياء.

وأخبر أنَّ من تولاَّهم من المؤمنين، فهو منهم. وهكذا حُكم من تولَّىٰ الكفَّار من المجوس وعبَّاد الأوثان، فهو منهم.

فإن جادل مجادلٌ في أنَّ عبادة القباب، ودعاء الأموات مع اللَّه ليس بشرك، وأنَّ أهلها ليسوا بمشركين. بَان أمرُه، وٱتضح عنادُه وكفره.

ولم يفرّق ـ تبارك وتعالىٰ ـ بين الخائف، وغيره. بل أخبر ـ تعالىٰ ـ أنَّ الذين في قلوبهم مرضٌ يفعلون ذلك خوفًا من الدَّوائر. وهكذا حال هؤلاء المرتدين خافوا من الدَّوائر، وزال ما في قلوبهم من الإيمان بوعد اللَّه الصَّادق بالنَّصر لأهل التوحيد. فبادروا وسارعوا إلىٰ أهل الشّرك، خوفًا أن تصيبهم دائرة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [المائدة].

الشَّرْحُ:

في هذه الآية الكريمة، نداءٌ من الرحمن لأهل الإيمان؛ بأن يمتثلوا إلىٰ ما في الآية الكريمة من حكمٍ معلَّلٍ، والخطاب إلىٰ كل من أظهر الإيمان ظاهرًا، وبذلك يدخل المنافق فيه، إلَّا أنه لا ينفعه هذا الإمتثال في الآخرة بما أبطن خلافه، لكنه يقيه في الدُّنيا تبعات عدم الإمتثال إن

لم يمتثل له، وكما هو معلومٌ أنَّ هذا الخطاب يتناول جميع قرون الأمة إلىٰ قيام السَّاعة، فالاعتبار بعموم اللَّفظ.

والنَّهيُ المعلَّلُ يمنع منعًا باتًا أن يعامل الأعداء معاملة الأولياء، في «المصادقة» و«المعاشرة» و«المناصرة»، والولاية ضد العداوة، وأصل الولاية: المحبة والقرب، وأصل العداوة: البغض والبعد.

وقولنا: المحبة والقرب، لأنَّ الوليّ هو القريب، يقال: هذا يلي هذا، أي: يقرب منه، والمحبة المقصودة، هي ما نشأت علىٰ أصل الدّين، لا المحبة الفطرية، الطَّبيعية؛ فهذه قد تكون ببغضٍ دينيٍّ، كمحبة الوالدين المشركين، والزوجة المشركة الكتابية ـ الدَّاخلة في الشّرك من حيث التَّقييد ـ ولقد تقدم توضيح ذلك؛ لأنَّ ترك الاستفصال فيه إيهامٌ، فلا تلازم بين المحبتين، فهؤلاء توجب محبتهم النَّفقة والصّلة والمواساة، وتمنع فيهم الميراث والنُّصرة والموالاة.

■ فقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ : «**فنهىٰ ـ سبحانه ـ المؤمنين عن ٱتخاذ اليهود والنصارىٰ أولياء**».

لأنَّ اليهود والنصارىٰ علىٰ غير دين الإسلام؛ الذي هو دين الأولين والآخرين، فالمخالفة الدّينية أنشأت هذا التَّمايز والتَّباعد، المستلزم للبغض والمخالفة في كل شيء، فإذا كان اللَّه ـ تعالىٰ ـ أثبت الولاية بين أولي الأرحام إلَّا بشرط الإيمان، **قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ**: ﴿**وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ**﴾ [الأحزاب: ٦]؛ علمنا قطعًا أنَّ البراءة من القريب المخالف للدّين واجبةٌ لتحقيق أصل الدّين، فما بالك بالبعيد، فاللَّه ـ سبحانه تعالىٰ ـ هو الذي قطع

هذه الولاية في كتابه، وأوجب البراءة منهم ولو كان أقرب قريب.

يقول عليه الصلاة والسلام: «**أوثق عرى الإيمان الحبُّ في اللَّه والبغض في اللَّه**» [السلسلة الصحيحة رقم ٩٩٨].

فكلما كان الحبُّ أقوىٰ، كان البغض للمنافي أشد، فمحبة اللَّه ـ تعالىٰ ـ موجبة لمحبة ما يحبه أو من يحبّه، فقبول هذا وٱنشراح الصَّدر به والمسارعة بذلك دليل عقالٍ بعروة الإيمان؛ ولا يتحقق ذلك إلَّا بالشَّرط الثاني، وهو «البغض» و«البعد» و«المنافرة» لما يكرهه اللَّه ـ تعالىٰ ـ أو من يكرهه، **فوجود الملزوم بدون لازمه ممتنعٌ**.

قال عبداللَّه بن المبارك:

تَعْصِي الإِلٰهَ وَأَنْتَ تُظْهِرُ حُبَّه ... هٰذَا لَعَمْرِي فِي الفِعَالِ بَدِيعُ

لَوْ كَانَ حُبُّكَ صَدِقًا لَأَطَعْتَه ... إِنَّ المُحِبَّ لِمَنْ يُحِبُّ مُطِيعُ

لهذا كان النبي ﷺ يقول في دعائه: «**اللَّهم إني أسألك حبَّك وحُبَّ من يحبُّك وحب عملٍ يقربني إلىٰ حبِّك**» [أخرجه أحمد ٥/ ٢٤٣].

فمحبة اللَّه ـ تعالىٰ ـ ٱستلزمت وجود موجبات الأسباب الموجب لها، ـ في الحبّ والبغض، وفي القرب والبعد ـ، لهذا قال النبي ﷺ: «**من أحبَّ للَّه، وأبغض للَّه، وأعطىٰ للَّه، ومنع للَّه؛ فقد ٱستكمل الإيمان**» [السلسلة الصحيحة رقم ٣٢٠].

فهذه هي العبودية الحقَّة ـ التي تدور في فلك الحب والبغض، والولاية والعداوة ـ، من ٱستكملها كان من المحسنين؛ وتحققت فيه المعيَّة الخاصة، وهذه حقَّقها الرعيل الأول رضي الله عنهم ـ أجمعين ـ بشهادة قوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿**مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ**

بَيْنَهُمْۖ ﴾ [الفتح: ٢٩]. **فجعل خاصية المعيَّة المحمدية؛ مترتبة علىٰ الولاية والعداوة ـ وبذلك علمنا أنَّ وجودها يترتب عليها أصل الدّين ـ** فإن لم تكن هذه الخاصّية في المسلم علمنا أنَّ أصل الدّين فيه منتفٍ، والفرق بين وجودها وإظهارها واضحٌ. فالوجودُ ملازمٌ لأصل الدّين، والإظهار يختلف بٱختلاف الزمان والمكان.

يقول ٱبن قيم الجوزية رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ ما لفظه: «فإنَّ الإيمان علمٌ وعملٌ، والعمل ثمرة العلم، وهو نوعان: **عمل القلب ـ حبًّا وبغضًا ـ ، ويترتب عليهما عمل الجوارح ـ فعلاً وتركًا ـ وهما العطاء والمنع. [والنُّصرة والعداوة].**» [إغاثة اللَّهفان من مصايد الشيطان ٢/ ٨٢٦].

يقول عليه الصلاة والسلام: «**المسلم أخو المسلم، لا يَظْلِمُه ولا يُسْلِمُه**» [البخاري رقم ٢٤٤٢]. فجعل الولاية الإيمانة سببًا لعدم ظلمه، أو إسلامه للأعداء.

■ وقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ: «**وأخبر أنَّ من تولاَّهم من المؤمنين، فهو منهم. وهكذا حُكم من تولَّىٰ الكفَّار من المجوس وعبَّاد الأوثان، فهو منهم**».

فمن تولَّىٰ أهل الكتابين، بل الكفَّار علىٰ ٱختلاف نِحلهم، فهو منهم؛ وصار حُكْمُه حُكْمَهُم أي: من جملتهم وفي عدادهم، فموالاة الكافرين معصيةٌ موجبةٌ للكفر المغلَّظ، وخصَّ اللَّه ـ تعالىٰ ـ «اليهود» و«النصارىٰ» بالذكر في الآية الكريمة، لفرط عداوتهم وٱستمرارها إلىٰ قيام الساعة، والواقع شاهد عيان، وشهادة الحال أبلغ من لسان المقال؛ عساكرُ معسكرةٌ، ومدافعُ منصَّبةٌ لدك معاقل الإيمان، في «العراق»

و«أفغانستان» و«الشيشان» و«...»، شعارهم فيها: ﴿أَنِ ٱمْشُواْ وَٱصْبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ﴾ [ص: ٦]، لكن عقبىٰ ما جيَّشوا الدَّمار، وفي الآخرة النَّار، ومن سلم منهم، لحقه عذاب اللَّه ـ تعالىٰ ـ بسننه الكونية ـ كالريح الصرصر العاتية، أو الفياضنات المدَّمرة الطَّافية ـ، قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٣١﴾﴾ [الرعد].

لكن إذا نظرنا إلىٰ هذه الولاية الموبقة الموجبة للرّدة المغلَّظة، علمنا أنها غير ناشئة عن محبةٍ؛ لأنَّ من تولَّىٰ اليهود والنصارىٰ خاصة، والكفار عامة،، إنما تولاَّهم لكسب منفعةٍ أو دفع مضرةٍ، لا أنه يحبهم لأجل دينهم، فهذه قليلةُ الحدوث، ومتىٰ ٱستحكمت في القلب، ٱنتقل بذلك محبهم إلىٰ دينهم كليًا؛ يتهوَّد أو يتنصر، في الباطن والظَّاهر، فمحبة الدّين هي التي توجب الانتقال إلىٰ ذلك الدّين، والآية الكريمة لا تدور علىٰ هذا الانتقال، إنما علىٰ الانتقال الذي لا يشعر أنه ٱنتقالٌ، فكثير من الواقعين في هذا النَّاقض المنقل إلىٰ الردّة، يظنون أنهم باقون علىٰ إسلامهم، **فمن علَّق من الباحثين اليوم الولاية بالمحبة، فقد أبعد النُّجعة، ودخل دهليز الإرجاء، علم ذلك أم لم يعلم.**

يقول شيخ الإسلام ٱبن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ في آية الدَّليل الثامن ما لفظه: «والمفسرون متفقون علىٰ أنها نزلت بسبب قومٍ ممن كان يظهر الإسلام وفي قلبه مرضٌ، خاف أن يغلب أهل الإسلام فيوالي الكفَّار من اليهود والنصارىٰ وغيرهم للخوف الذي في قلوبهم، **لا لاعتقادهم أنَّ محمدًا كاذبٌ واليهود والنصارىٰ صادقون.**» [مجموعة الفتاوىٰ ٧/ ١٢٤

ط/ جـ ١٩٤ ط/ ق].

فإذا نظرنا في واقع المرتدين اليوم ـ حكَّام القوانين الوضعية ـ وجدنا أنَّ توليتهم لعبَّاد الصليب واليهود، مدارها علىٰ خوف ذهاب المكاسب الدنيوية ـ ملء الكرش والمحافظة علىٰ العرش ـ لا علىٰ التصديق أو التكذيب، ولا علىٰ محبة الدّين، كيف وهم يحجّون، ويقيمون الموائد الرمضانية لإفطار الصائم، ويعلنون المسابقات القرآنية؛ يجاهرون بذلك ولا يخفونه أمام من تولَّوه؟! فإذا عرفنا هذا علمنا أنَّ الولاية كانت نصرةً لحفظ لقمة؛ سببها خوف ذهابها، فأحدثت هوَّة، **قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠٧﴾﴾** [النحل].

فكفرهم تعيَّن بسبب الاستحباب، المبني علىٰ الخوف والارتقاب، مع علمهم أنَّ ذلك يضرّهم في الآخرة، ومع بعدهم عن التكذيب أو محبة دين من تولَّوه، فكان ما عملوا من الأعمال الآنفة هباءً منثورًا، **قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾** [الفرقان].

فالأعمال النافعة، ما كانت محافظة علىٰ العروة الواثقة، ـ موالاة المؤمنين ومعاداة الكافرين ـ ؛ في السّر والعلن، أما عند المرجئة وطائفتهم الجدد اليوم، فأعمال هذا الصنف الخبيث، نافعة وحجة داحضة في ثبوت إسلامهم، ووجوب طاعتهم، والتَّبرؤ ممن عاداهم أو كشف عوارهم، وتسميتهم خوارج ـ تحريفًا وتزييفًا ـ لإظهار الباطل، وزخرفة العاطل، حفاظًا علىٰ الموائد وملء المزاود.

وقد تكون الموالاة في خاصية واحدة توجب الرّدة ـ والعياذ باللَّه ـ ، كالعمل بالنّظام المحرّم ـ المستبدل الشريعة بالقانون الوضعي ـ أو الدَّل علىٰ إراقة الدَّم المسلم، وهذه الأعمال من الخيانة للَّه ـ تعالىٰ ـ ولرسوله، **قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ**: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الأنفال].

يقول ٱبن جرير الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ ما لفظه: «ينهىٰ اللَّه المؤمنين عن خيانة اللَّه ورسوله، والخيانة للَّه ورسوله بإظهار الإسلام في الظَّاهر، وإخفاء الغش والكفر في الباطن، **أو إظهار المشركين علىٰ عورات المسلمين، وإخبار المشركين بما خفي عنهم من أخبار المسلمين.**» [جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٤/ ٦١].

فجعل الإمام الجليل ٱبن جرير الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ إخبار المشرك بما خفي عليه من سرّ المسلم، أو الدَّل علىٰ عورته، من الخيانة النَّاقضة لأصل الدّين، فكيف بذلك إذا كان المشرك يعلن العداوة للمسلم، ويقول بملء فيه، إنها عداوةٌ دينيةٌ، وحربٌ صليبيةٌ، ثم بعدها يقدم العدوّ لنفسه ولغيره من المسلمين ـ المدَّعي الإسلام والحسن فيه ـ علىٰ تلك الخيانة النَّاقضة لأصل الدّين، ثم بعد ذلك يتبجَّح أنه باقٍ علىٰ إسلامه، بل يحسن خدمته؟!! وقطعًا هذا ما فعله حكَّام القانون الوضعي اليوم، لا يستثنىٰ منهم أحدًا، بل الذي ٱدَّعىٰ فيهم الإسلام أقدم علىٰ شرّ الطَّوام ـ الإراقة لدم المسلمين؛ بالمال والمشورة والعين ـ ، حتَّىٰ أحبار سوئه، ٱستعملهم في ذلك؛ بإخراج الفتاوىٰ الكاذبة، والدَّعاوىٰ العاطلة في صحة ذلك، فدخلوا في كيد المُوالي، وأصبحوا

من المَوالي، فدخل بذلك كيدهم في قوله ـ تبارك تعالىٰ ـ : ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِى كَيۡدَ ٱلۡخَآئِنِينَ ۝٥٢﴾ [يُوسُف]، وما مكروه من مكرٍ، قال فيه ـ تبارك تعالىٰ ـ : ﴿وَمَكۡرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ۝١٠﴾ [فاطر].

ويدخل في الخيانة العظمىٰ ـ النَّاقضة لأصل الدّين ـ دخولاً أوَّليًا؛ الدَّاعي إلىٰ حوار الأديان، أو المزيّن لذلك، فلم يأمر اللَّه ـ تعالىٰ ـ بحوارٍ قطٍّ مع الكفرة الفجرة ـ الخارجين عن الفطرة المكمَّلة والشّرعة المنزَّهة ـ ، **فالحوار يكون للالتقاء في بعض الطُّرق والإعراض عن الطُّرق المخالفة، وشعارها المداهنة، لإخفاء المنافرة.**

فالمحاورة: هي مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة؛ من تليين الكلام وإعمال المبهم والمستشكل، بل أمر اللَّه ـ تعالىٰ ـ بالمجادلة لإظهار المباهرة وإثبات المباهتة في المخالف، **قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ**: ﴿فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ﴾ [البَقَرَة : ٢٥٨]، ليحيا من حيِيَ عن بيّنة، وليهلك من هلك علىٰ بيّنة.

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحۡسَنُ﴾ [العَنكبُوت : ٤٦]، والأحسن: لا يكون إلَّا بإقامة الحجة علىٰ المخالف، وإظهار البرهان ـ **تعليل المعلَّل وتبيين علَّته، أو إقامة الدَّليل وتوضيح المدلول، أو تبيين اللاَّزم وإظهار ملزومه، أو إظهار البرهان بما دلَّ عليه الرحمن** ـ ، ومن خرج علىٰ هذا الحسن، سقط قطعًا في الخشن والضَّيق.

أما إذا خرج المجادل من أهل الكتابين عن هذه المجادلة بالحسنىٰ وظلم لابدَّ أن يستثنىٰ من هذا الحسن ـ الذي هو سمةٌ ملازمةٌ

لدين الإسلام ـ، **قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:** ﴿**إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ**﴾ [العنكبوت: ٤٦]؛ كالدَّنماركيين الذين سبُّوا خاتم النَّبئين والمرسلين، جادلناهم حتمًا بالخشنىٰ ـ **الغلظة في الخطاب والضَّرب للرقاب** ـ، **قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:** ﴿**لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلۡجَهۡرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ إِلَّا مَن ظُلِمَۚ**﴾ [النساء: ١٤٨]، **وَقَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:** ﴿**وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡبَغۡيُ هُمۡ يَنتَصِرُونَ ٣٩**﴾ [الشورى].

يقول شيخ الإسلام ٱبن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿**وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ**﴾ ما لفظه: «فمتىٰ ظلم المخاطب لم نكن مأمورين أن نجيبه بالتي هي أحسن، بل قال أبو بكر الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لعروة بن مسعود بحضرة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما قال: إني لأرىٰ أوباشًا من الناس خليقًا أن يفروا، ويدعوك ـ **ٱمصص بظر اللاَّت! أنحن نفر عنه وندعه؟!**» [مجموعة الفتاوىٰ ٣/ ١٥٩ ط/ جـ ٢٥٢ ط/ ق].

فلقد أقره صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ هذه العزَّة والانتصار لها، ومن المعلوم أنَّ العزَّة للَّه ولرسوله وللمؤمنين، **قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:** ﴿**وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٣٩**﴾ [آل عمران]، والذلَّة والصَّغار علىٰ المخالفين أينما حلُّوا أو ٱرتحلوا، **قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:** ﴿**إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡأَذَلِّينَ ٢٠**﴾ [المجادلة].

فنقول بالرأس المرفوع، والأنافة المنوع، لكل من سمَّىٰ المقارع للعدو الصَّليبي؛ الجاسّ خلال الدّيار ـ قتلاً ونهبًا ـ «خارجيًا مفرطًا» أو «مبتدعًا شانئًا» أو «باغيًا متأولاً»؛ إذا ٱستحيا: **ٱمصص بظر** «**بوش**» و«**توني بلير**» و«**ساركوزي**»؛ **إن كان لهم بظر المرأة، وقد يكون لهم،**

فإن عدموا الحسي، قطعًا وجد المعنوي لأنهم من المخنَّثين خاصة الأخير منهم ـ فلقد أتقن القيادة والدِّياثة قبل أن يترأس ـ . فهذا عارضٌ من القول لتوضيح المأمول، فلنرجع لما نحن بصدده.

قلت: فممَّا يوضح أنَّ التولية في خصوصية من خصائص الكافرين، قد توجب الإلتحاق بهم في الحكم، وإهدام أصل الدّين؛ بأن يصير حُكمُه حُكْمَهم، وإن ٱبتعد عن الخصائص الأخرىٰ ولم يعمل بها، أو حتَّىٰ ٱدَّعىٰ بطلانها؛ منازعة علي رضي الله عنه وعبداللَّه بن عباس ـ رضي اللَّه عنهما ـ في نصارىٰ بني تغلب؛ هل تؤكل ذبائحهم وتجوز منتاكحتهم أم لا؟.

قال علي رضي الله عنه: «لا تجوز مناكحتهم ولا تحل ذبائحهم، إنهم لم يتمسكوا من النصرانية إلَّا بشرب الخمر ـ ٱنتسبوا إليها ولم يتمسكوا بها عملاً ـ».

فقال عبداللَّه بن عباس ـ رضي اللَّه عنهما ـ : «بل تباح؛ لقوله ـ تعالىٰ ـ : ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ [المائدة : ٥١]».

قال ٱبن جرير الطبري رحمه الله ـ تعالىٰ ـ ما لفظه: «قال ٱبن عباس: تزوجوا من نساء نصارىٰ بني تغلب، وكلوا من ذبائحهم، فإنَّ اللَّه يقول: ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾، **ولو لم يكونوا منهم إلَّا بالولاية لكانوا منهم.**» [جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٣/ ٢٥٣].

فجعل عبداللَّه بن عباس ـ رضي اللَّه عنهما ـ التَّولية في خاصية من خصوصيتهم، والإعمال بشعيرة من شعائرهم ـ دون الأمور الأخرىٰ التي يدور عليها أصل دينهم ـ من صلب الموالاة، بظاهر الآية

الكريمة، وعلىٰ ما قاله ٱبن عباس ـ رضي اللَّه عنهما ـ عامة المسلمين من الصحابة وغيرهم، وهو قول «الحسن» و«النخعي» و«الشعبي» و«عطاء الخراساني» و«حمَّاد» و«إسحاق» و«أبي حنيفة وأصحابه» و«مالك وأصحابه».

قال شيخ الإسلام ٱبن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ ما لفظه: «وما أعلم للقول الأخر ـ يعني به: قول علي ـ قدوة من السلف.» [مجموعة الفتاوىٰ ٣٥/ ١٣٦ ط/ جـ ٢٢١ ط/ ق].

ولقد ٱستعمل أئمة الدّين ظاهر الآية؛ ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ في جميع الخصائص النَّاقضة لأصل الدّين، لأنَّ الولاية ذات مراتب وشعب؛ منها المردية، ومنها الموبقة المخزية. فما كان من أعلىٰ المراتب يلحق بالأعلىٰ، وما كان دون ذلك يلحق بمثله.

سئل ٱبن سرين رَحِمَهُ ٱللَّهُ سؤالاً ما لفظه: «قال رجلٌ لابن سرين: أيبيع الرجل داره للنصارىٰ ليتَّخذوها كنيسة، فنهىٰ عن ذلك وتلا هذه الآية ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾» [جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٣/ ٢٥٣].

■ وقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ : «**فإن جادل مجادلٌ في أنَّ عبادة القباب، ودعاء الأموات مع اللَّه ليس بشرك، وأنَّ أهلها ليسوا بمشركين. بَان أمرُه، وٱتضح عنادُه وكفره**».

فالمجادلة بالباطل غالبًا ما تكون عن شبهة باهرة، أو حيلة ماكرة، فأولياء الشيطان لابدَّ أن يقيموا لشبهاتهم منارات يصدُّون بها عن المسارات، ودائمًا تكون بالمزخرف والمزيّف، ليتربصوا بأهل الحقّ ريب المنون، لكن سرعان ما يُقذفون بشهب الوحي فيندحرون، **قَالَ**

ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ [الأنبياء: ١٨].

فعمدة المزيّفة والمزخرفة والمجادلة بالباطل، هي: **الأقوال الباطلة، الممزوجة بالظنون الآفكة، المعقودة بالأهوية الغالبة**. وهذا تزيينٌ شيطانيٌّ للقبائح المنكرة، **قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ**: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا﴾ [فاطر: ٨]. فإن لم تكن عبادة القباب ودعاء الأموات شركًا فما هو الشّرك إذن؟! فهذه العبادة نوعٌ من أنواع الشّرك، والشّرك من أول ظهوره يتفرَّع ويتعدَّد، وبالشبهة يتلبَّد، فشرك القوانين الوضعية، لم يكن من قبل، ولم يظهر حتَّىٰ في الكافرين قبل هذا الحين، حتَّىٰ ٱستحسنته «العلمنة الكاذبة»، و«العولمة الفاجرة»، فقاوموا لإحلاله في كل مكان بما أوتوا من قوَّة.

فالمجادل في صحة البيان، بعدما أقيم له البرهان، كافرٌ معاندٌ، لا يشك في ذلك ٱثنان، ولا يتناطح في خروجه وردَّته عن الإسلام عنزان، وغالبًا ما يكون هذا العناد لشهوة تكسب منفعة أو تدفع مضرَّة، قال اللَّه ـ تعالىٰ ـ حاكيًا قول موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ لفرعون أثناء الجدال: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾﴾ [الإسراء].

فالمجادل عن الشّرك والمشركين يوضِّح عناده وكفره ويدعىٰ إلىٰ المباهلة علىٰ فعله هذا، **قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ**: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾﴾ [آل عمران].

فالمباهلة سنَّة الأولين مع المنحرفين المُصرِّين، ولو فيما دون أصل الدِّين، والصادق ليس أحبّ إليه من ظهور صدقه، ولا يوجد أحسن من ذلك مع المعاند المبطل. **فالحقّ والباطل نقيضان لا يجتمعان ولا يرتفعان، لأنَّ من الممتنع أن يكون المبطل محقًا فيما ٱدَّعىٰ في الوقت نفسه، لأنَّ ذلك يؤدي إلىٰ ٱجتماع النَّقيضين ووقوع المحال، ولا يقبل بذلك إلَّا المختل عقلاً.**

■ وقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ : «**ولم يفرّق ـ تبارك وتعالىٰ ـ بين الخائف، وغيره. بل أخبر ـ تعالىٰ ـ أنَّ الذين في قلوبهم مرضٌ يفعلون ذلك خوفًا من الدَّوائر**».

فالخوف ليس فيه عذرٌ، إلَّا إذا قرن مع الإكراه، ولا يكون ذلك إلَّا في حالة الاستضعاف التي لا يقدر فيها المكره أن يفعل شيئًا، أما الخوف وحده، فدائمًا الكفار يخوّفون الزمرة المؤمنة ويتهدَّدونها، يقول اللَّه ـ تعالىٰ ـ حاكيًا قول نبيه شعيبٍ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿ **وَلَا تَقْعُدُواْ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًاۚ** ﴾ [الأعراف: ٨٦].

والإعادُ هنا؛ الجلوس بكل طريق يصدُّون المؤمنين والمستضعفين عن سماع الحقّ، أو الإتيان إلىٰ شعيبٍ للاسترشاد إلىٰ سبيل الحقّ، والصَّد يكون بالتخويف والترهيب بالقتل، أو بالترغيب؛ بزيادة الشَّهوات والمستحقَّات؛ إن هم ٱستنكفوا عن الحقّ، وٱتبعوا زيغ الصَّادين، وهذا بالفعل ما يحصل الآن مع الذين تولّوا عبَّاد الصليب واليهود؛ فإن هم حاربوا معهم الطائفة المؤمنة الموحدة ـ التي يُلصقون

بها وصف الإرهاب ـ ٱغدقوا عليهم من المساعدات المالية، ومحوا عنهم الدّيون الوهمية، من «البنك الدولي»؛ الذي أسس لمحاربة اللَّه ورسوله والطائفة المؤمنة، بل لمحاربة كل فضيلة يستحسنها العقل، أما إذا أبوا ذلك، فينشأوا لهم الأزمات المالية، والاضطرابات القبلية، فيهزوا بهم الكرسي ـ ترهيبًا ـ ويبسطوا لهم المال الكسبي ـ ترغيبًا ـ ، فهذه الأعمال مستخرجة من جعبة الغائلة التي يحسنونها.

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٧٥]. فالآية الكريمة توضح سنَّة الشيطان مع أولياء الرحمن، فاللَّعين يتهدد المؤمنين دائمًا ويخوّفهم من جنده وأوليائه، حتَّىٰ لا يجاهدونهم، ولا يأمرونهم بالمعروف ولا ينهونهم عن المنكر، وهذا أقصىٰ الكيد، فهذا المعنىٰ هو المتَّفق عليه عند جميع المفسرين: يخوفهم بأوليائه، قال قتادة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يعظمهم في صدوركم، وهذا بالفعل ما فعل «بوش» اللَّعين، لما ٱستجمع كيد الصَّلبيين، فقد قالها حينها ما لفظه: «فمن ليس معنا فهو ضدنا»، وقال وزير خارجيته آنذاك ـ كلون باول ـ : «فمن لم يأت معنا، فستطاله الذّراع الحديدية الأمريكية».

لكن اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ قال: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ١٧٥﴾ [آل عمران]. فجعل المولىٰ ـ سبحانه ـ الخوف منه شرطًا في تحقق الإيمان؛ فٱنتفاء الإيمان عند ٱنتفاء الخوف، كٱنتفاء المشروط عند ٱنتفاء شرطه، فإذا علمت هذا، عرفت أنَّ الخوف من لوازم الإيمان وموجباته؛ فلا يتخلَّف عنه. فإذا باشر الإيمان القلب بعد هذا الخوف، قال المبشوش به: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ١٧٣﴾ [آل عمران].

والحسب: هو الكفاية، ولا تتحقَّق هذه الكفاية في الإنسان، إلَّا إذا ٱستجاب للَّه وللرَّسول، ولا يستجيب الإنسان إلَّا إذا كان محسنًا، ولذلك قال اللَّه ـ تعالىٰ ـ قبلها: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾﴾ [آل عمران].

والإحسان المذكور هنا، هو فعل المأمور به، وأعظمه وأوجبه؛ الإيمان والتوحيد والإنابة إلىٰ اللَّه والإقبال عليه والتَّوكل عليه ـ مهابة وحياء ومحبة وخشية ـ، فإذا تحقق هذا في الفرد والطَّائفة؛ حلَّت المعيَّة الخاصة ـ معيَّة العناية والحفظ والتأييد ـ، التي في قوله ـ تبارك وتعالىٰ ـ: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [العنكبوت]. بلام الوعد المؤكدة، فتدبر هذا وٱحفظه ـ يرعاك اللَّه ـ، وفِرّ إليه ـ سبحانه ـ كفرار الوليد إلىٰ والدته إذا ٱنتابه الخوف، **قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ**: ﴿فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الذاريات: ٥٠]، والفرار إليه هي العناية بعينها إذا تحقق الفعل بالإنسان، اللَّهم ٱجعلنا من الفارين إليك ـ في السّر والعلن، والضيق والسعة ـ آمين! آمين!

■ وقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ: «**وهكذا حال هؤلاء المرتدين خافوا من الدَّوائر، وزال ما في قلوبهم من الإيمان بوعد اللَّه الصَّادق بالنَّصر لأهل التوحيد. فبادروا وسارعوا إلىٰ أهل الشّرك، خوفًا أن تصيبهم دائرة، قَالَ تَعَالَىٰ**: ﴿فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَـٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [المائدة]».

فمريض القلب ـ أسير الشهوات ـ لما ضعف وازعه الإيماني؛ وليس في التصديق، وإنما في الزَّوال فيما جمع من حطام الدُّنيا الزَّائل ـ من منصبٍ أو مزودٍ ـ خاف أن يغلب الكفار فسارع إليهم بالموالاة

ليحتفظ بما كسب، وهذا في الحقيقة من سوء الظَّن بالمولىٰ ـ سبحانه وتعالىٰ ـ فأولىٰ له أن يسوء الظَّن بنفسه التي هي مأوىٰ كل سوء، ومنبع كل شر، للأصلية المركَّبة فيه ـ «الظلم» و«الجهل» ـ، **قَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ**: ﴿**إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا** ﴿٧٢﴾﴾ [الأحزاب].

فمن فعل ذلك فما عرف اللَّه حقَّ قدره، ولا عرف أسماءَه، ولا عرف صفاته المنعوتة بالجلال والكمال، فالذي يظن أنَّ اللَّه ـ تعالىٰ ـ يسلط الشّرك علىٰ التوحيد، والباطل علىٰ الحقّ إدامة مستمرة، فقد ظنَّ السوء بربه، الذي قال: ﴿**لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓ**﴾ [المجادلة: ٢١]، وكذلك الغلبة تكون لأتباعهم إن هم تشبَّثوا بوصاياهم، فمن دخل هذا الدّهليز ٱستوثق منه القنوط، واليأس من رحمته، **قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ**: ﴿**إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ** ﴿٨٧﴾﴾ [يوسف].

لكن قد يبتلي اللَّه ـ تعالىٰ ـ المؤمنين أحيانًا بالكافرين؛ إذا ضعف توحيدهم، أو ليستخرج المندس فيهم، **قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ**: ﴿**مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ**﴾ [آل عمران: ١٧٩]. فالتَّمييز حصل ليعلم الموافق من المخالف، والطَّيب من الخبيث، والتَّابع من المبتدع.

فإن قال بعد ذلك المسارعُ فيهم خشية الدَّائرة: إنما أنا أبطن لهم المعاداة.

قلنا: الفعل غير نافعٍ، لأنَّ الموطن دفع دافعٍ، يستوجب فيه الصبر والاحتساب، والخوف من الجليل والارتقاب، وإنما هي هنيهةٌ وتهب رياح النَّصر، وعد اللَّه لا يخلف اللَّه وعده، إنَّ وعده كان ﴿**مَأْتِيًّا** ﴿٦١﴾﴾

[مَرْيَمَ].

فكلما ضعف وازع التوحيد، هبت رياح المسارعة إلىٰ أهل الشّرك والنَّديد، والضعف الذي دخل علىٰ هؤلاء؛ كان بسبب دنيا أحبُّوها، وشهوات أشربوها، فقالوا بعد ذلك، ﴿نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ﴾ [المَائدة : ٥٢]، **والدَّائرة تكون علىٰ المال والأحوال، وليس علىٰ التكذيب بصحة الأقوال،** فخافوا أن تزول دولة التَّوحيد، وتستحكم دولة الشّرك والويل والتهديد، فألقوا السلم «مدارة» و«مداهنة» للمشرك القبوري المرتد عن الدّين، أو للمشرك الأصلي الجاسّ خلال الدّيار بالعساكر الصَّليبيين، للحفاظ علىٰ المكتسبات، وإن زالت كل المقوّمات، فقال بعد ذلك المولىٰ ـ سبحانه وتعالىٰ ـ : ﴿فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [المَائدة].

و«عَسَىٰ» من اللَّه ـ تعالىٰ ـ موجبةٌ. ووعدٌ صادقٌ لايتخلَّف قطُّ، فإذا لاحت رياح النَّصر، وسارعت بشائر الفتح، ندم مستحب الدُّنيا علىٰ الآخرة بسبب موالاته، وٱنقشعت سحب الدَّوائر أمام عينيه، فإذا به يرىٰ جزاء الصابرين المحتسبين المتوكلين علىٰ ربهم، فحينها يتنفس صعداء، ولا يخجل من فعلته، بل يقول: ﴿أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ﴾ [النِّسَاءِ : ١٤١]؛ بالمناصرة والمعاضدة بالقتال، وإن كان معهم إنما يكون عينًا للذين تولاَّهم، ولهذا يقول إذا غلب الكفَّار ـ مؤقتًا ـ : ﴿أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النِّسَاءِ : ١٤١]، والاستحواذ: هو التَّثبيط والتخذيل، وقد يكون في صفوف المؤمنين من يسمع لهؤلاء لهوىٰ نفساني، كما فعل «عبداللَّه بن أُبَيٍّ بن سلول»، وكان في المؤمنين من

سمع له، **قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:** ﴿**وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ**﴾ [التوبة: ٤٧].

فهؤلاء حبطت أعمالهم الحبوط الكلي بٱقتراف ناقض أصل الدّين، الذي كان بسبب موالاة الكافرين أو المرتدين، فتراه مضنوكًا مهمومًا مذؤومًا مدحورًا لفعلته المخزية، فليبادر من سقط في هذه الهوة السحيقة، وليتب إلىٰ ربه، فاللَّه ـ تعالىٰ ـ ليس أحب إليه من التَّوبة، وحبالها ممدوة، وطريقها سهلة ومسلوكة، **قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:** ﴿**قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٥٣**﴾ [الزمر]. فالبدار البدار؛ إلىٰ كثرة اللَّهج بالنَّدم والاستغفار.

❋ ❋ ❋ ❋

«الدَّلِيلُ التَّاسِعُ»

قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ [المائدة].

فذكر ـ تعالىٰ ـ أنَّ موالاة الكافرين موجبةٌ لسخط اللَّه، والخلود في العذاب بمجرّدها، وإن كان الإنسان خائفًا. إلَّا من أكره بشرطه. فكيف إذا ٱجتمع ذلك مع الكفر الصَّريح، وهو: معاداة التوحيد وأهله، والمعاونة علىٰ زوال دعوة اللَّه بالإخلاص، وعلىٰ تثبيت دعوة غيره؟!

الشَّرْحُ:

يخبر المولىٰ ـ سبحانه وتعالىٰ ـ في هذه الآية الكريمة، أنَّ يهود المدينة، كـ«كعب بن الأشرف» وأصحابه؛ يتولَّون المشركين من قريش وغيرها، وليسوا علىٰ دينهم؛ يصاحبونهم، ويوادُّونهم، وينصرونهم وهم يعلمون أنهم كفارٌ تحرم موالاتهم في دينهم وما أنزل عليهم في كتابهم، مع أنَّ محمدًا وأصحابه أقرب إليهم من مشركي قريش، بل تجب نصرته وموالاته لتوحيده وإيمانه بالكتب والرسل مثلهم؛ لأنَّ أصل دينهم حقٌّ، والشّرك مبتدع عندهم، ولهذا لا يدخلون في لفظ الإشراك إلَّا من حيث التقييد، ولقد أوضحنا ذلك.

لأجل هذه الحقيقة المعروفة عندهم في دينهم ـ وهي حرمة موالاة الكافرين ـ، قال اللَّه ـ تعالىٰ ـ : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ

أَهۡدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا ﴿٥١﴾ [النساء].

فإنَّ «كعب بن الأشرف»، و«حييَّ بن أخطب»، و«سلامَ بن أبي حقيقٍ»، و«أخاه الرَّبيع»، و«أبا عمَّار» و«وَحْوَحَ بن عامر، و«هودةَ بن قيسٍ»، وغيرَهم من زعماء اليهود، هم الذين حزَّبوا الأحزاب علىٰ رسول اللَّه ﷺ، وشهدوا للمشركين من قريش؛ أنَّ ما هم عليه من كفرٍ وشركٍ مختلقٍ، هو أهدىٰ مما جاء به محمد ﷺ؛ مع أنهم يعلمون كذب ذلك، وبعده عن الحقيقة التي يعلمون بها كل البعد؛ لما قال كبار قريش: أنحن أهدىٰ أم محمد؟! فقال الذين يعلمون الحقيقة وكذبوا فيها ـ الدُّعاة إلىٰ دار البوار ـ: بل أنتم خير وأهدىٰ. فأنزل اللَّه ـ تعالىٰ ـ الآية الآنفة تبطل ما قالوا.

■ فقوله رَحِمَهُ اللَّهُ ـ تعالىٰ ـ: «**فذكر ـ تعالىٰ ـ أنَّ موالاة الكافرين موجبةٌ لسخط اللَّه، والخلود في العذاب بمجرّدها، وإن كان الإنسان خائفًا**».

فكما أنَّ موالاة الكفَّار موجبةٌ لسخط اللَّه ـ تعالىٰ ـ فكذلك كفىٰ بها دليلاً علىٰ ٱنتقاض أصل الدّين، فقوله: «**بمجرّدها**» يدل علىٰ أنَّ موالاة المؤمنين ومعاداة الكافرين يرتكز عليها أصل الدّين، فإذا ٱنتفت هذه الحقيقة علمنا أنَّ أصل الدّين ٱنتفىٰ.

فهذه سمةٌ تدل علىٰ النفاق الأكبر المخرج من الملَّة، وعندما نقول: «النفاق الأكبر»، ليس أنَّ التصديق ٱنتفىٰ وحلَّ محله التكذيب، وإنما عمل القلب الموجب للحب والتَّعزير والتَّوقير والانقياد ٱنتفىٰ بسبب حبِّ الدُّنيا، أو خوف الدَّوائر، فهذا هو الثغر الذي يؤتىٰ منه دائمًا المنافق ـ الخوف علىٰ المنصب، والتَّعليل بعدم وجود المخرج أو

المهرب ـ، وسرعان ما يظهر تعليله البارد، وصدق ركونه إلىٰ الشيطان المارد؛ الذي يوحي ﴿زُخۡرُفَ ٱلۡقَوۡلِ غُرُورٗاۚ﴾.

فموالاة الكفَّار، والرُّكون إلىٰ الذين ظلموا، موجبة لسخطٍ وذمٍّ يقودين لعذابين خالدين، عذابٌ محيطٌ لا يجد مولجه عنه مصرفًا، ـ وهو: الذُّلُ والمسكنةُ والضَّنكُ في العيش، والبترُ من كل شيءٍ بسبب الشَّنآن للإيمان ومعقله ـ؛ في الدُّنيا، وإن كسب ما كسب، والواقع شاهد عيان؛ في الذين حكموا الأمة بالحديد والنَّار، يوالون الذين كفروا من أهل الكتابين، كيف تكون محياهم؟ وكيف تكون مماتهم؟ **قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:** ﴿فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ١٧٦﴾ [الأعراف]. وعذابٌ أخرويٌّ سرمديٌّ علىٰ ما ٱقترفوا في الحياة الدُّنيا؛ من عملٍ قبيحٍ أوصلهم إلىٰ هذه العاقبة المشؤومة، **قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:** ﴿وَّعُقۡبَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ٣٥﴾ [الرعد]، والذي تولَّىٰ الكفَّار فهو منهم كما قال ـ تعالىٰ ـ : ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ﴾ [المائدة : ٥١].

فالعذابان يلحقان من فعل ذلك، ولو تعلَّل الإنسان بالخوف، لأنَّ الخوف ليس عذرًا يتعلَّل به، فمتىٰ كان الكفَّار لا يخوِّفون المؤمنين، بل السنَّة الجارية أنَّ الكفَّار والطَّواغيت والذين تجبَّروا يتهدَّدون ويخوِّفون المؤمنين المستضعفين ـ ينكلون بهم ويذيقونهم شتَّىٰ أنواع العذاب ـ فالكفَّار الأوائل يحرّقون بالنَّار، والذين علىٰ شاكلتهم اليوم يفعلون ذلك، والأوائل يطاردون وينفون من الأرض، ويعرضون الجوائز لمن قبض علىٰ المؤمنين الموحدين وأتىٰ بهم في أغلالهم، والذين علىٰ شاكلتهم اليوم يفعلون ذلك، فماذا الذي تغيَّر حتَّىٰ يتعلَّل الإنسان

بالخوف؟!!

وعاقبة الأوائل الخزيّ والعار والشنَّار في الدُّنيا، وفي الآخرة دار البوار، والذين علىٰ شاكلتهم اليوم عاقبتهم كذلك، فمنهم من ولجها، وٱستريح منه، ومنهم من ينتظر؛ مع لحوقه الخزيّ الدُّنيوي، **قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ**: ﴿**فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَـٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾**﴾ [النحل]، سواء كان العذاب بأيدي المؤمنين ـ قتلاً وأسرًا وتنكيلاً ـ أو بالسنن الكونية التي نراها ونسمع بها من حين إلىٰ آخر.

▪ وقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ : «**إلَّا من أُكره بشرطه**».

وشرط ذلك أن يكون القلب مطمئنًا بالإيمان، **قَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ**: ﴿**وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَـٰنِ**﴾ [النحل: ١٠٦]. وأن يفعل ذلك «مدارة» بسبب الضعف والإكراه المسلَّط عليه، ولا يكون ذلك إلَّا في سلطان الكافر الجاثم في دياره، **قَالَ تَعَالَىٰ**: ﴿**إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً**﴾ [آل عمران: ٢٨]. فهنا تجوز الملاطفة اللّسانية مع المخالفة الجوارحية؛ لحفظ أصل الدّين المرتكز علىٰ الولاء والبراء ـ البغض لكل دين، والنَّأي عن ديار الكافرين ـ، أما الكافر الجاسّ خلال الدّيار، فلا مدارة معه، وإنما الفوز بإحدىٰ الحسنيين ـ مراغمة الكافر الصائل أو الشهادة ـ ، وتلك هي عينُ السَّعادة.

▪ وقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ : «**فكيف إذا ٱجتمع ذلك مع الكفر الصَّريح، وهو: معاداة التوحيد وأهله، والمعاونة علىٰ زوال دعوة اللَّه بالإخلاص، وعلىٰ تثبيت دعوة غيره؟!**».

فالموالاة الجوارحية كالمشورة والدَّل علىٰ العورة، ناقضة لأصل الدّين، حتَّىٰ ولو كانت هذه الموالاة لشهوة ـ كخوف الدَّوائر ـ ، فإذا ٱنضمَّ إليها الكفر الصريح كما ذكره المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ وهو معاداة التوحيد وأهله، والمعاونة علىٰ زوال دعوة اللَّه بالإخلاص ـ كانت هذه الردَّة مغلظة، فموالاة الكفَّار ردَّة مجرَّدة، وكراهية دين اللَّه ـ تعالىٰ ـ ومعاداة أهله ردَّة مجرَّدة، فإذا ٱنضمَّت هذه مع هذه كانت الردَّة المغلظة.

فالكفر المجرَّد له حقائق متىٰ وجدت في القلب ٱنتفىٰ أصل الدّين، كمحبة الكفار لما هم عليه من كفرٍ وتبارٍ، أما محبة الكفَّار لما هم عليه من تقدمٍ دنيويٍّ مخزيٍّ، فهذه من كبائر الذنوب لا تخرج من الملَّة، لكن قد تتدرَّج في القلب وتستحكم وتنتقل من مرتبةٍ إلىٰ أخرىٰ، حتَّىٰ تخرج صاحبها من الملَّة، فليس في الكفَّار ما يحبّ اللَّهم إلَّا المحبة الفطرية الملازمة للقلب، كمحبة الوالدين المُشْرِكَيْن، أو الزوجة المشركة ـ الشّرك الأصلي وليس الطَّارىء علىٰ أصل الدّين ـ ؛ كشرك القبور أو الشّرك المستشرىٰ من القصور، الذي جنىٰ علىٰ الشريعة، وٱستبدلها بالقوانين الوضعية، **فهذه المحبة لا ترقىٰ إلىٰ المرتبة التي يوالىٰ فيها ويعادىٰ، وإنما إلىٰ المرتبة التي ينفق فيها ويواسىٰ**.

وهذا الكفر المجرَّد وحقائقه ـ المتعلّق بموالاة أعداء اللَّه ـ **قد يكون بٱعتقاد ولو لم يبح به، وقد يكون بقولٍ ولو لم يعمل به، وقد يكون بعملٍ ولو يُعتقد خلافه،** ـ كالمعاونة علىٰ زوال دعوة اللَّه وتسمية أهلها بالألقاب المنفّرة الملبّسة للحقائق ـ ؛ كلقب «الخوارج»

و«الغلاة» و«المتعصبة» و«...»، إلىٰ غير ذلك من الألقاب المبتدعة الشَّائنة لدعوة الإخلاص والتوحيد.

فما ذكره المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ حقائق عاشها ورأها بالعين المجرَّدة، بل قُتِلَ وسُفِكَ دمه لأجلها، وهي غيضٌ من الفيض الذي نعيشه، فلقد جيَّش أئمة الكفر العالم بما فيه من أبيضٍ وأحمرٍ وأسودٍ وأصفرٍ لمحاربة أولياء اللَّه ـ تعالىٰ ـ أينما حلُّوا أو ٱرتحلوا، ولقد أعانهم علىٰ ذلك أناس من بني جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا، دعاة علىٰ أبواب الكفر والزندقة يدعون إليها، ليكفر بدعوة الحقّ ويستأنس بغيرها، ولقد زيَّن لهم ذلك الباطل المقيت الأكلة بٱسم الدّين، **فلقد ألبسوهم الألقاب المزيَّفة الملبَّسة، ودعاة الخَتْرِ أغدقوا عليهم الأموال الطَّائلة.**

فحاميُ حمىٰ الدّين غير الآكل بٱسمه، فالأول: له «نية» و«بصيرة» و«علم» و«حلم» و«وقار» و«سكينة»، تجعله قويًا لما هو فيه من معرفةٍ تكفيه مَضغة الأمير ـ كفخِّ الدُّخلة عليه والانبهار فيما هو فيه ـ ، فهذه المَضغة حذَّر منها نبيّنا الكريم ـ صلوات اللَّه وسلامه عليه ـ وقال فيها ما لفظه: «**من سكن البادية جفا، ومن ٱتبع الصيد غفل، ومن أتىٰ السلطان ٱفتتن**» [صحيح سنن أبي داود رقم ٢٨٥٩].

وفي رواية أخرى: «**من بدا جفا، ومن ٱتبع الصيد غفل، ومن أتىٰ أبواب السلطان ٱفتتن، وما ٱزداد أحدٌ من السلطان قربًا إلىٰ ٱزداد من اللَّه بعدًا**» [السلسلة الصحيحة رقم ١٢٧٢].

وتقيه كذلك مَضغة الناس؛ الممزوج بلعابها مكرهم وخداعهم وتلبيسهم فيما تهواه نفوسهم وتأنس إليه.

أما الثانيُّ ـ الآكلُ بٱسم الدّين ـ : له «طيش» و«عجلة» و«حدَّة» ـ ينتفخ أوداجها لما تُعاين الحقّ ـ فتشنأه، وتقوده إلىٰ التَّسرع وعدم الثَّبات، ودخول دهليز المجازفات، فيجني علىٰ الدّين وعلىٰ نفسه وعلىٰ غيره، فيقيّض اللَّه ـ تعالىٰ ـ من يصرف جناياته ومجازفاته علىٰ الدّين، ويلبسه ثوب المقت والمهانة والبغضة جراء ما تجرأ عليه، لتظهر حقيقته للعامة، فهذا هو اللاَّبسُ لثوب الزُّور، واللاَّئق به أن يلبسه اللَّه ـ تعالىٰ ـ ثوب المقت والذّلة والمهانة؛ في الدُّنيا والآخرة.

«فالأولُ» و«الثانيُّ» لا يخلو منهما زمان ولا يفقدان من مكان، بل الصّراع بينهما إلىٰ اليوم الذي أخَّره الملك الدَّيان.

فالفريقُ الأولُ: حلَّت فيه عناية اللَّه ـ تعالىٰ ـ وقال فيه: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾﴾ [غافر].

والنصر كما هو للرسل، فكذلك هو لأتباع الرسل؛ إذا حافظوا علىٰ الوصايا، **وعلىٰ رأسها التَّوحيد والبعد عن النَّديد؛ الذي زخرفه الشيطان المريد.**

والفريقُ الثانيُّ: حلَّت فيه حكمته، ووكله إلىٰ نفسه، وقال فيه: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾ [الزمر: ١٦].

والخاسر: هو الذي يذهب كذبه سرابًا لما تُعاين حقائق الأمور؛ فيشتد خوفه ويضطرب قلبه وتنفر منه السكينة ـ جزاءً وفاقًا ـ ، وكم اليوم من هؤلاء الخاسرين ـ الذين زيّن لهم سوء أعمالهم ويحسبون

أنهم يحسنون صنعًا ـ .

فأين المهرب من الجناية في هذا المنصب؟!! ـ منصب العلم والحلم والوقار والسكنية ليوقّع به عن ربّ العالمين ـ ؛ فإذا كان التَّوقيع بحقٍّ وبحجَّةٍ وعلىٰ بيِّنةٍ ثقله علىٰ النَّفس أكبر من ثقل الجبال الراسيات، فكيف إذا كان التَّوقيع بزورٍ وبجنايةٍ علىٰ النُّصوص؟! ـ اللَّيّ في ظاهر القول وإخراج الباطل في أفضل عبارة، وكسو معناها بقالبٍ حسنٍ ـ ، فالذين يتجرَّؤون علىٰ هذا يحسن فيهم؛ قوله ـ تعالىٰ ـ : ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَمَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿١٣﴾﴾ [العنكبوت]. **فليعلم أحبار السُّوء أنَّ ما هم فيه متبَّر.**

«الدَّلِيلُ العَاشِر»

قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَوْ كَانُواْ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِيِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨١﴾ ﴾ [المَائِدَة].

فذكر ـ تعالىٰ ـ أنَّ موالاة الكفَّار منافيةٌ للإيمان باللَّه، والنبي وما أنزل إليه. ثم أخبر أنَّ سبب ذلك، كون كثير منهم فاسقون. ولم يفرّق بين من خاف الدَّائرة وبين من لم يخف. وهكذا حال كثير من هؤلاء المرتدين، قبل ردَّتهم كثير منهم فاسقون. فجرَّهم ذلك إلىٰ موالاة الكفَّار، والردَّة عن الإسلام ـ نعوذ باللَّه من ذلك ـ .

الشَّرْح :

هذه الآية الكريمة التي ٱتخذها المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ دليلاً مستقلاً؛ تابعة لآية «الدَّليل التاسع»، **وفيها شرطٌ يقتضي أنه إذا وجد، وجد المشروط معه، المبيّن بحرف** « **لَوْ** »، فالآية الكريمة تدل علىٰ أنَّ وجود الإيمان يمنع من ٱتخاذ أعداء اللَّه أولياء؛ **فلا يجتمع الشَّرط وضدّه في القلب.**

وقولنا في القلب ـ نعني به: أنَّ عمل القلب المؤثر في الجوارح عن طريق التَّلازم منتفٍ، ولو كان التَّصديق باقيًا.

فإنَّ هذه الآية الشَّرطية وجوابها؛ هي كالآية الشَّرطية التي قبلها، المتمثلة في قوله ـ تبارك وتعالىٰ ـ : **﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾** [المَائِدَة].

فإنَّ هذا الحرف؛ وهو «**إن**» الشَّرطية تقتضي نفي شرطها إذا ٱنتفىٰ جوابها، ومعناه: إنَّ من ٱتخذهم أولياء، فليس بمؤمن. **فلا يجتمع الشيء وضده في عمل القلب المؤثر في الجوارح عن طريق التَّلازم**، فٱحفظ هذا ـ يرعاك اللَّه ـ وإياك وفتح الثّقوب التي يتسرب منها الدَّاء العضال ـ داء الإرجاء الخبيث؛ الذي سرىٰ في الأمة كسير النار في الهشيم ـ ، لأنَّ من طبيعة النَّفس أنها تحبّ «السكون»، و«الراحة» و«الدَّعة»، والإرجاء يوافق هواها، فلهذا تنجذب إليه هذه النّفوس ـ التي ليس لها همَّة؛ وتحوم دومًا حول الحش ـ .

■ فقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ : «**ثم أخبر أنَّ سبب ذلك، كون كثير منهم فاسقون**».

فحصول الموادَّة والموالاة للكفَّار، تكون دائمًا مسبوقة بخلل طرأ علىٰ القلب؛ فينفي الإيمان الواجب ـ الذي إذا ٱنتفىٰ حلَّ ضدّه ـ وهذا الضّد ينفي أصل الدّين، وهو الفسق الذي يجر إلىٰ الردَّة والكفر ـ والعياذ باللَّه ـ ، أما الخلل المضعّف للإيمان الواجب ـ الذي لا ينفي أصل الدّين ـ ، فهذا إذا ٱجتمع في القلب يجر إلىٰ شرٍّ مستطيرٍ؛ لأنَّ من طبيعة الشَّر أن يجر إلىٰ شرٍّ أكبرٍ. وكلامنا، وفحوىٰ رسالة «**الدَّلائل**» لا تدور علىٰ هذا الفسق ـ الذي يضعّف الإيمان الواجب ولا ينفيه ـ ، لأنَّ من عقيدة أهل السنَّة والجماعة ـ السلفية الشَّرعية ـ ؛ التفريق بين الفسق المخرج من الملَّة ـ النَّاقض لأصل الدّين ـ والتي مدار رسالة «**الدَّلائل**» كلّها عليه، وبين الفسق الأصغر، فهم علىٰ النهج سائرين، وبما ٱصطلح عليه الأوائل قائلين؛ إذا كان هذا الاصطلاح يحفظ

«المعنىٰ» ويحافظ علىٰ «المبنىٰ».

وغالبًا ما يكون هذا الفسق ـ النَّاقض لأصل الدّين ـ ؛ كموالاة الكافرين ومعاداة المؤمنين ناتجًا عن كسبِ منفعةٍ أو دفعِ مضرَّةٍ ـ مضرَّة إلغاء الموائد، ومنع المزاود ـ ، أما المضرَّة الجسدية؛ فهذه تسمىٰ إكراه، وما نتج تحتها فلا حكم له، لأنَّ النبي ﷺ يقول: «**إنَّ اللَّه تجاوز لي عن أمتي الخطأَ والنسيانَ وما ٱستكرهوا عليه**» [صحيح سنن ٱبن ماجة رقم ١٦٧٥ ـ وفي رواية ـ «**إنَّ اللَّه وضع**» من رواية ٱبن عباس صحيح سنن ٱبن ماجة رقم ١٦٧٧].

■ وقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ : «**ولم يفرّق بين من خاف الدَّائرة وبين من لم يخف**».

فخوف الدَّوائر ليس عذرًا؛ يعذر به صاحبه، لأنَّ هذه الدَّوائر تدور علىٰ المكتسبات الدّنيوية؛ من مالٍ وجاهٍ، وهذه آخر كلّية وجب حفظها، فكلّية حفظ الدّين، والذَّب عن المؤمنين المستضعفين؛ لا يقوم أمامها مالُ الدُّنيا بأسره، فكيف بعد ذلك يتعلَّل بهذه الكلّية؛ التي مدار الدَّوائر يدور عليها؛ والتي لا تساوي شيئًا أمام الكلّية الأولىٰ ـ التي مدار قتال الكفَّار عليها ـ ؟! قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ﴾ [الأنفال: ٣٩]. والفتنة المطلقة في القرآن، يُعنىٰ بها الكفر، والمعنىٰ يكون: قاتلوهم حتَّىٰ لا تحل فتنة الكفر، فأين فتنة هذا من فتنة ذهاب المال؟!! ـ الذي تعلَّق بحباله الفاسقون ـ ؛ الذين قالوا: ﴿ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ﴾ [المائدة: ٥٢]. فإلىٰ أين جرَّت بعد ذلك هذه الخشية المزيَّفة ـ التي تدور حول الحش ـ ؟! جرَّت إلىٰ الحبوط الكلّي

للأعمال ـ الذي يستلزم الردَّة والعياذ باللَّه ـ ، قَالَ ٱللَّهُ تَعَـالَىٰ: ﴿حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَأَصْبَحُواْ خَٰسِرِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [المَائِدَة].

ثم أعقبها اللَّه ـ تعالىٰ ـ بآيةٍ عظيمةٍ، تبيّن أنَّ من تولّىٰ؛ فلا يضرنَّ إلَّا نفسه، فاللَّه بالغ أمره؛ بأناسٍ يغرسهم لهذا الأمر، من صفاتهم البادية علىٰ أعمالهم الذُّل للمؤمنين، والتَّواضع لهم، ولين الجانب، والقسوة والشدَّة وعدم الرأفة علىٰ الكافرين، قَالَ ٱللَّهُ تَعَـالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍۚ ﴾ [المَائِدَة: ٥٤].

فهذه الصفات محمدية، أمر بها نبيّنا الكريم ـ صلوات اللَّه وسلامه عليه ـ ، قَالَ تَعَـالَىٰ: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الحِجر]. وَقَالَ تَعَـالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْۚ﴾ [التَّوبَة: ٧٣].

فهذا من الحكمة التي أوتيها رسول اللَّه ﷺ فورَّثها أصحابه؛ فإذا كان من لينٍ ففي مكانه، وما كانت من شدَّة ففي مكانها، ولا يُخلطنَّ ذا بذاك.

قال أبو الطَّيب المتنبي:

إِذَا قِيلَ حِلْمًا قُلْ لِلْحِلْمِ مَوْضِعٌ
وَحِلْمُ الفَتَى فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ جَهْلُ

فهذا البيت يصدق في دعاة الوسطية اليوم ـ بٱسم الإسلام ـ ، الذين غلب عليهم «الضعف» و«الخور»، فلبَّس عليهم إبليس في هذه الصفات المشينة، وأخرجها لهم في قالبٍ؛ لا ينبو عنه السَّمع، ويميل إليه الطَّبع، فظنوها من الحكمة؛ التي من أوتيها فقد أوتي خيرًا كثيرًا،

فراحوا يؤصلون علىٰ طريقها ويدعون الناس إليها، وياليتهم وقفوا إلىٰ هذا الحدّ، وإنما طعنوا في الذين بيَّنوا لهم زيف هذا القالب، وسمَّوهم «خوارج»، فٱنظر أيها البصير المتفحّص ـ الذي لا تخدعك الزَّخرفة في القوالب والأسماء ـ كيف صدق عليهم إبليس ظنَّه، فٱتبعوه في هذا العوج.

فلقد أصبحت «الغلظة» و«الشدَّة» علىٰ الكافر الجاسّ خلال الدّيار ـ قتلاً ونهبًا وأسرًا ـ حماقة وعجلة وطيشًا وقلَّة حكمة!! فٱنظر ما فعلت الوسطية ـ بٱسم الإسلام ـ بأصحابها، فلقد بلغ بهم الأمر أن قَرَفُوا إطلاق وصف الكفر علىٰ الكافر، وسارعوا في نبز طائفة المؤمنين، وعصابة الموحدين، بألقابٍ منفّرةٍ، وحكاياتٍ مزوَّرةٍ ـ يعلمون أنهم براءٌ منها ـ ، أليس هذا من ريب المنون بمن وجبت موالاتهم والذَّب عن عوراتهم؟!؛ وأنَّ هذا من أفضل القربات عند اللَّه ـ تعالىٰ ـ ، اللَّهم غفرًا وشكوًا ـ من قلَّة النَّاصر، وقلَّة الباصر، وقلَّة الواقف الواجل في الأمور التي لا يعلم صحتها من كذبها ـ ، فهذا عارضٌ من القول، ٱستوجب ذكره فلنرجع لما نحن بصدده.

■ وقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ : «**وهكذا حال كثير من هؤلاء المرتدين. قبل ردَّتهم كثير منهم فاسقون**».

يعني: المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ ؛ الذين ٱرتدوا بولايتهم للعساكر التركية ـ القبورية الشّركية ـ لما ٱجتاحت الدّيار النَّجدية؛ فدلُّوا علىٰ العورات، للحفاظ علىٰ المكتسبات، وقالوا لهم: نطيعكم في كل أمرٍ، وليس بعضه، فباعوا دينهم بعرضٍ من الدُّنيا، ووشوا بخيرة الرجال

للعدو الصائل؛ منهم المؤلف نفسه، فقتل علىٰ إثر هذه الوشاية.

فلقد جرَّهم الفسق المستحكم فيهم إلىٰ الردَّة عن الدّين ـ بولايتهم الكافرين، ومعاداتهم المؤمنين ـ، فالفاسق المسبوق بالفسق، هو الذي ينجر إلىٰ هذه الأعمال الدَّنيئة المخزية، فهو خارجٌ عن أمر اللَّه معلنٌ بالمعصية لا يقف فيها عند حدٍّ أبدًا.

فسلطان الفسق غالبٌ علىٰ من ٱقترفه أو تطبَّع به، فالأهواء المزخرفة، والظنون الكاذبة يستجيب لها دائمًا هذا الصنف من الناس، قال اللَّه ـ تعالىٰ ـ حاكيًا مناداة فرعون في قومه: ﴿وَنَادَىٰ فِرۡعَوۡنُ فِي قَوۡمِهِۦ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَيۡسَ لِي مُلۡكُ مِصۡرَ وَهَٰذِهِ ٱلۡأَنۡهَٰرُ تَجۡرِي مِن تَحۡتِيٓۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ٥١ أَمۡ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٞ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ٥٢ فَلَوۡلَآ أُلۡقِيَ عَلَيۡهِ أَسۡوِرَةٞ مِّن ذَهَبٍ أَوۡ جَآءَ مَعَهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ مُقۡتَرِنِينَ ٥٣ فَٱسۡتَخَفَّ قَوۡمَهُۥ فَأَطَاعُوهُۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ٥٤﴾ [الزخرف]. فلو لم يكونوا مسبوقين بفسقٍ؛ ما أطاعوه، ولا ٱستخفَّهم بظنونه الكاذبة، وقياساته الفاسدة.

وهكذا حال كثير من المرتدين ـ بولايتهم للكافرين ـ اليوم، وعلىٰ رأسهم الحاكم بالقانون الوضعي، جاهروا بالفسق بنوعيه، وألفته قلوبهم وتشرَّبته؛ قبل ولوجهم الردَّة، فلما لاح أفقها، ٱستشرفوا لها، لهذا نجدهم اليوم، سعاة ـ ليلاً نهارًا ـ في خدمة رأس الكفر العالمي، المتمثل في «أمريكا وحزبها»، فلقد ٱستجابوا له وقالوا له: نطيعك في كلّ الأمر، فأصغوا لأوامره المزخرفة، وٱقترفوا ما ٱقترفه؛ من محاربةٍ لطائفة الرحمن، ووصفها بكل شرّ وطغيان، فعملهم اليوم شاهد عيان

يعجز عن وصفه اللسان.

■ وقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ : «**فجرَّهم ذلك إلىٰ موالاة الكفَّار، والردَّة عن الإسلام. نعوذ باللَّه من ذلك**».

فالمجاهرة بالفسق، والخروج علىٰ كل ما هو فطري والطَّعن فيه، يجر إلىٰ موالاة الكفَّار، ولهذا تجد غالب التُّحوت[1] يعظّمون الكفرة الفجرة، ويمدحون مدنيتهم المخزية، التي تمرَّدوا فيها علىٰ كل أصلٍ فطريٍ تألفه النَّفس وتنجذب إليه، فيعظّمون ما تتقزّز منه النّفوس، ويصفونه بالإنجاز الحضاري العظيم للإنسانية اليوم، ولقد تأذىٰ من إنجازاتهم هذه، الحيوان قبل الإنسان.

فمن الموالين من برىٰ قلمه في ذلك، ومنهم نفخ أوداجه ونعق لأجله، ومنهم من جيَّش الكتائب يذبّ عنه، ولسان الحال ناطق بذلك، والغريب في كل ذلك، أنك قد تجد من يمدح هؤلاء وأعمالهم الخبيثة الدَّنيئة، ويصفهم بالحكماء، ليس من أصحاب سجيتهم، وإنما من أصحاب كبار العمائم والطَّيالسة، الذين تصدَّروا المجالس، يتخلَّلون الفصاحة فيها كما يخلَّل البقر العشب، فبعدًا لهذا الصنف المزخرف للأقوال الباطلة والأعمال الآفكة بعد المشرقين، هكذا نقول دائمًا،

---

(١) التُّحوتُ: هم الحثالة وأراذل النَّاس؛ الذين لا يعبأ بهم.

يقول عليه الصلاة والسلام : «**والذي نفسُ محمد بيده! لا تقوم السَّاعةُ حتَّى يظهرَ الفحشُ والبخلُ، ويُخوَّنَ الأمينُ، ويُؤتمنُ الخائنُ، ويهلك الوعولُ، وتظهرَ التُّحوتُ.**

قالوا: يا رسولُ الله! وما الوعولُ وما التُّحوتُ؟

قال: **الوعولُ: وجوهُ الناس وأشرافُهم، والتُّحوتُ: الذين كانوا تحتَ أقدام الناس لا يُعلمُ بهم.**» [السلسلة الصحيحة رقم ٣٢١١].

للذي زيّن له سوء عمله فرآه حسنًا.

۞ ۞ ۞ ۞

«الدَّلِيلُ الحَادِيْ عَشَر»

قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ١٢١﴾ [الأنعام].

وهذه الآية نزلت، لما قال المشركون: تأكلون ما قتلتم، ولا تأكلون ما قتل اللَّه. فأنزل اللَّه هذه الآية.

فإذا كان من أطاع المشركين في تحليل الميتة مشركًا ـ من غير فرقٍ بين الخائف وغيره، إلَّا المكره ـ فكيف بمن أطاعهم في تحليل موالاتهم، والكون معهم ونصرهم، والشَّهادة أنهم علىٰ حقّ، وٱستحلال دماء المسلمين وأموالهم، والخروج عن جماعة المسلمين إلىٰ جماعة المشركين؟؟. فهؤلاء أولىٰ بالكفر والشّرك، ممَّن وافقهم علىٰ أنَّ الميتة حلال.

الشَّرْحُ :

ٱعلم ـ رحمك اللَّه ـ إنَّ الوحي ينقسم إلىٰ قسمين؛ كما ٱنقسم الناس إلىٰ قسمين، فمن حكمة اللَّه البالغة بأن جعل لكل قسمٍ وحيه يستمد منه معتقداته ومعاملاته؛ فجعل لأوليائه نورًا يمشون به ويهتدون به في ظلمات الشُّبهات والشَّهوات، ليحيوا حياة طيّبة في الدُّنيا والآخرة.

وهذا النُّور مرشد للفطرة المكمَّلة، فهي تألفه وتأنس به، ولا تنفر منه، لنزاهته ممَّا يريبها، **قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ﴾** [الزمر: ٢٣]. وهذا الأحسن ٱشتمل علىٰ الدّلالات التي تدلُّ علىٰ صحة المسارات، فهو هدىً ونور وهبه لأوليائه يخرجهم به من كلّ رذيلة تنفر

منها الفطرة، إلىٰ كل فضيلة تأنس بها، **قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:** ﴿**ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ**﴾ [البقرة: ٢٥٧].

فهذا النُّور هو الفرقان الخاص بأولياء الرحمن، يفرّقون به بين الحقّ والباطل، والهدىٰ والضلال، والفضائل والرذائل، والمسعدات والمشقيات، والسنَّة والبدعة، والدّلالات الواضحات والدّلالات الملبّسات، فهو وحيٌّ قرآنيٌّ إيمانيٌّ نبويٌّ شرعيٌّ مشتملٌ علىٰ طرق العلم بثلاثها: «الحس» و«الخبر» و«النَّظر».

فأولياء الرحمن، مسعدون لأنفسهم ولغيرهم، يتحرَّون السَّعادة، من الأمور التي يراها قاصر النَّظر شقاوة، كما قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿**كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ**﴾ [البقرة: ٢١٦]. فهذا الصنف لما أقبل علىٰ اللَّه ـ تعالىٰ ـ تولاَّه؛ يحبّ من يحبّه ويعادي ويثأر لمن عاداه؛ كما جاء في الحديث: «**وإني لأثأر لأوليائي كما يثأر اللَّيث الحرب**» [أخرجه أبو نعيم في الحلية ٨/٣١٨، ٣١٩ وكنز العمال ١١٦٠ وعزاه لابن أبي الدُّنيا]. ومعناه: آخذ ثأرهم ممَّن عاداهم كما يأخذ اللَّيث الحرب ثأره.

أما القسم الثاني: فهو وحيٌّ رَعونيٌّ شيطانيٌّ دلالاته «اللَّغو» و«المكاء» و«التصدية»؛ مع هزّ الخصر والأرداف، فهو ظلامٌ دامسٌ ـ وإن لبّس بلباس النُّور ـ يُلقىٰ إلىٰ الذين خسروا أنفسهم وأهليهم في الدُّنيا والآخرة ـ وإن حسبوه هدىٰ ـ، **قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:** ﴿**وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾**﴾ [الزخرف]. **وَقَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:** ﴿**إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن**

دُونِ ٱللَّهِ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأعراف].

وهذا الوحيُّ لا يتنزَّل؛ ولا يُلقىٰ إلَّا علىٰ أصحاب الأهواء المردية، والظُّنون الكاذبة، والأقيسة الفاسدة، **قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:** ﴿ **هَلۡ أُنَبِّئُكُمۡ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾** ﴾ [الشعراء]. فهو وحيٌّ صاحبه طاغوت يلقيه إلىٰ أوليائه؛ ليسلك بهم ظلمات الشُّبهات، ويدخلهم سجن الشَّهوات، **قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:** ﴿ **وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ** ﴾ [البقرة : ٢٥٧].

فلما ٱدعىٰ «المختار بن أبي عبيد الثقفي»؛ الرافضي الكذَّاب[1]، النبوة في «الكوفة»، جاء رجلٌ من أصحابه إلىٰ ٱبن عباس، فقال: «زعم المختار أنه أُوحي إليه. فقال ٱبن عباس: صدق! فٱستغرب الجالسون من كلام ٱبن عباس. فقال: هما وحيان: وحي اللَّه ووحي الشَّيطان، فوحي اللَّه إلىٰ محمدٍ ﷺ، ووحي الشياطين إلىٰ أوليائهم» [جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٣/ ٥٠٧].

وفي رواية: قيل لابن عمر وٱبن عباس: «إنَّ المختار يزعم أنه ينزل إليه، فقالا صدق، **قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:** ﴿ **هَلۡ أُنَبِّئُكُمۡ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾** ﴾ [الشعراء].

وقال الآخر: وقيل له: إنَّ المختار يزعم أنه يوحىٰ إليه. فقال: **قَالَ**

---

(١) يقول عليه الصلاة والسلام: «**في ثقيف كذَّابٌ ومبيرٌ**» [صحيح مسلم رقم ٦٤٤٣ وصحيح سنن الترميذي رقم ٢٢٢٠].

فالكذَّاب: «المختار بن أبي عبيد الثقفي»، والمبير: «الحجاج بن يوسف». ومعنى المبير: المهلك والمفسد، فقد كان منحرفًا عن علي رضي الله عنه وأصحابه، فكان هذا من النَّواصب، والكذَّاب من الروافض.

ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ لِيُجَٰدِلُوكُمۡۖ﴾ [الأنعام: ١٢١]».

ومن هذا الوحي الشيطاني ـ الذي يلقيه المارد ـ والمزخرف بالقياس الفاسد؛ ما كان سببًا في نزول الآية؛ التي ٱتخذها المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ «الدَّليل الحادي عشر».

فسبب نزول هذه الآية الكريمة ما أخرجه «ٱبن أبي شيبة» و«عبد ٱبن حميد» و«أبو داود رقم ٢٨١٨، ٢٨١٩» و«ٱبن ماجة رقم ٢٥٨٦» و«النسائي رقم ٤٤٤٩» و«ٱبن منذر» و«ٱبن أبي حاتم» و«الحاكم وصححه» و«ٱبن مردويه» و«البيهقي في السنن الكبرىٰ رقم ١٨٨٩٧» عن ٱبن عباس ـ رضي اللَّه عنهما ـ أنه قال: «جاء المشركون إلىٰ النبي ﷺ فقالوا: نأكل مما قتلنا، ولا نأكل مما قتل اللَّه! فأنزل اللَّه: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ لِيُجَٰدِلُوكُمۡۖ وَإِنۡ أَطَعۡتُمُوهُمۡ إِنَّكُمۡ لَمُشۡرِكُونَ ١٢١﴾» [صحيح سنن أبي داود رقم ٢٨١٩ وصحيح سنن ٱبن ماجة رقم ٢٥٨٦].

وفي رواية: «فقالوا: ما ذبح اللَّه فلا تأكلوه، وما ذبحتم أنتم أكلتموه» [صحيح سنن النسائي رقم ٤٤٤٩].

وما أخرجه أيضًا «ٱبن جرير» و«الطبراني» و«أبو شيخ» و«ٱبن مردويه» عن ٱبن عباس أنه قال: «أرسلت فارس إلىٰ قريش أن خاصموا محمدًا، فقالوا: ما تذبح بيدك بسكين فهو حلالٌ، وما ذبح اللَّه بشمشار من ذهب ـ يعني: الميتة ـ فهو حرامٌ».

وعن عكرمة البربري رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ أنه قال: «لما حرَّم اللَّه

الميتة، أوحت «فارس» إلىٰ أوليائها من «قريش»، ليجادلوا الرسول ﷺ قائلين: ما ذبحت أنت فهو حلالٌ، وما ذبحه اللَّه فهو حرامٌ! فأنزل اللَّه: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ لِيُجَٰدِلُوكُمۡۖ وَإِنۡ أَطَعۡتُمُوهُمۡ إِنَّكُمۡ لَمُشۡرِكُونَ ١٢١﴾» [جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٣/ ٥٠٥].

وعن قتادة رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ مثله، إلَّا أنه قال: «أوحىٰ إبليس إلىٰ أوليائه الضالين، ...» [جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٣/ ٥٠٥].

أما الرواية التي جاءت عن ٱبن عباس ـ رضي اللَّه عنهما ـ ؛ وفيها: «جاءت اليهود» بدلاً «من جاء المشركون» الظاهر أنها منكرةٌ، لأنَّ اليهود لا تأكل الميتة، وإن صحت الرواية؛ فيكون ما قالوه هو لجاجٌ يعرفون بطلانه؛ ألقوه إلىٰ مشركي قريش ليجادلوا به النبي ﷺ؛ لأنَّ من سماتهم الإلحاد في الحقّ، وجحده، والاستنكاف عنه، بعد ظهوره جليًا، فسجيتهم وطبعهم الذي تطبَّعوا به: هو كره الحقّ وبعضه والإلحاد فيه؛ إذا جاء عن غير طريقهم، فأعقلهم أخبثهم.

وقد نصَّ معنىٰ ما قلته القاضي «أبو محمد بن عطية» الأندلسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ في كتاب «**المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز** ٢/ ٣٤٠» بما لفظه: «وهذا ضعيف ـ يعني: «جاءت اليهود ...» ـ ؛ لأنَّ اليهود لا تأكل الميتة، أما أنَّ ذلك يتجه منهم علىٰ جهة المغالطة، كأنهم يحتجون عن العرب».

ثم أني قد وجدت ما يشير إلىٰ نكارة الرواية بلفظ «جاءت اليهود» ما ذكره العلاَّمة الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ في «صحيح سنن أبي داود» تحت أثر ٱبن عباس «رقم ٢٨١٩ جـ ٢/ ١٩١» ما لفظه: «لكن ذكر

اليهود فيه منكر، والمحفوظ أنهم المشركون».

فلقد أوحىٰ الشيطان إلىٰ أوليائه بما دلَّ النَّص علىٰ فساده، ـ القياس الفاسد، والظَّن الآفك، المقرون بالهوىٰ الغالب ـ أنَّ الميتة حلالٌ ذكَّها اللَّه ـ تعالىٰ ـ فلم لا تأكلوا؟! فٱستجاب فريق الأنعام إلىٰ هذا الوحي، وتشرَّبته قلوبهم؛ لخفَّة عقولهم. فجادلوا به ليدحضوا الحقّ. **قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:** ﴿وَجَٰدَلُواْ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّ﴾ [غافر: ٥].

فالمجادلة إذا كانت بما دلَّ النَّص علىٰ فساده، فهو عينُ الإفساد والفساد، والمستجيب لهذا المفترىٰ ـ المسجوع بسجع الشياطين ـ، إما جاهلٌ، وإما ظالمٌ فاسد يريد علوًّا في الأرض وفسادًا، ولأجل الجاهل بحقيقة أولياء الشياطين، أنزل اللَّه ـ تعالىٰ ـ آية «دليل الباب»، ليبيّن لأوليائه، أنَّ جماع شبه الكفَّار وقرنائهم من الشياطين أوتوا من جهة القياس الفاسد؛ كما أوتي منه كبيرهم وداعيتهم إلىٰ دار البوار لما قال: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾﴾ [الأعراف]. **فلابدَّ في القياس الصحيح من قدرٍ مشتركٍ بين المشبه والمشبه به،** وهذا ما لا تجده فيما قاله اللَّعين، ولا فيما أوحاه إلىٰ المشركين؛ ليدحضوا به عين اليقين.

فلما تبيَّن ٱفتراؤهم وٱتضح بطلانه، قال بعد ذلك المولىٰ ـ سبحانه وتعالىٰ ـ في هذا الملبوس المكذوب: ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾﴾ [الأنعام].

قال ٱبن عباس ـ رضي اللَّه عنهما ـ : «وإن أطعتموهم في أكل ما نهاكم عنه.» [جامع البيان في تأويل آي القرآن ٣/ ٥٠٧].

■ فقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ : «**فإذا كان من أطاع المشركين في تحليل**

الميتة مشركًا ـ من غير فرقٍ بين الخائف وغيره، إلَّا المكره».

فلقد قرن المولىٰ ـ سبحانه وتعالىٰ ـ الطَّاعة في ذلك بالشّرك المخرج من الملَّة، وهذا يسمىٰ «شرك الطَّاعة» ـ الذي هو أصل الشّرك ـ ، فلما قال اللَّه ـ تعالىٰ ـ : ﴿**أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ**﴾ [يس: ٦٠]. علم أنَّ ذلك لا يكون بـ« الصلاة» ولا بـ« الصيام»، وإنما يكون في ٱتباعه في تبديل أحكام الشريعة المنزَّهة ـ تحليل ما حرَّم اللَّه، أو تحريم ما أحلَّ اللَّه ـ ؛ **لأنَّ التَّحليل والتَّحريم حقٌّ للَّه ـ جلَّ وعلاَ ـ بل الربوبية عليه قائمة.**

لهذا لما أشكل علىٰ «عديِّ بن حاتمٍ» رضي الله عنه لما سمع الرسول صلى الله عليه وسلم يقول: ﴿ **ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ** ﴾ [التوبة: ٣١] ـ وكان يومها حديث عهدٍ بالإسلام ـ قال: يا رسول اللَّه ما عبدناهم! فظن أنَّ العبادة مقصورة في «الصلاة» من ركوعٍ وسجودٍ أو «الصيام». فبيَّن له النبي صلى الله عليه وسلم ذلك بقوله: «**أليس يحرّمون ما أحلَّ فتحرّمون، ويحلُّون ما حرَّم اللَّه فتحلُّونه؟** قلت: بلى. قال: **فتلك عبادتهم**» [صحيح سنن الترمذي رقم ٣٠٩٥ وٱبن جرير الطبري رقم ٣٦٧ جـ ٤/ ١٤٨ والبيهقي في السنن الكبرىٰ].

وزاد حذيفة بن اليمان رضي الله عنه تبيين ذلك بقوله: «أما إنهم لم يكونوا يصومون ولا يصلون لهم، ولكنَّهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئًا ٱستحلوه، وإذا حرَّموا عليهم شيئًا أحلَّه اللَّه لهم حرَّموه، **فكانت تلك ربوبيتهم**» [جامع البيان في تأويل آي القرآن ٣/ ١٤٨].

فبيَّن «حذيفة بن اليمان» أنَّ صلب الربوبية مقرونة في التَّحريم

والتَّحليل؛ فمن ٱتبع أو أطاع مغيّر الأحكام وهو يعلم أنه مخالف لما أنزل اللَّه، فقد ٱتخذ ذلك المغيّر ربًا من دون اللَّه ـ تعالىٰ ـ وإن أنف من سماع ذلك ـ ؛ فقد عدل بربه وأشرك به غيره؛ **فمن فعل ذلك فهو مشركٌ كافرٌ خارجٌ من الملَّة وإن زعم أنه مسلم وصلىٰ وصام**. وغالبًا ما يكون هذا الاستدراج إلىٰ هذا الشّرك الأكبر بحيلة التعظيم لشعائر اللَّه ـ تعالىٰ ـ ؛ **فالتَّبديل يكون بالزيادة في الدّين أو النُّقص منه ـ ومداره علىٰ «الكذب والافتراء»، أو «التأويل والغلط» ـ .**

يقول شيخ الإسلام ٱبن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ ما لفظه: «**والتَّبديل** نوعان: أحدهما: **أن يناقضوا خبره**. والثاني: **أن يناقضوا أمره**. فإنَّ اللَّه بعثه ـ يعني به: النبي ﷺ ـ بالهدىٰ ودين الحقّ، وهو صادقٌ فيما أخبر به عن اللَّه، آمرٌ بما أمر اللَّه به؛ كما قال: ﴿**مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ**﴾ [النساء: ٨٠].

وأهل التَّبديل الذين يضيفون إلىٰ دينه وشرعه ما ليس منه، وهم أهل الشَّرع المبدَّل: **تارة يناقضوه في خبره؛ فينفون ما أثبته، أو يثبتون ما نفاه**؛ كالجهمية الذين ينفون ما أثبته من صفات اللَّه وأسمائه ـ إلىٰ أن قال ـ : **ثم إنهم يوجبون ما لم يوجبه، بل حرَّمه، ويحرّمون ما لم يحرّمه، بل أوجبه؛ فيوجبون ٱعتقاد هذه الأقوال والمذاهب المناقضة لخبره، وموالاة أهلها ومعاداة من خالفها.**» [النبوات ١/ ٣٣٢، ٣٣٣].

وهذا بالفعل ما فعل الحاكم بالقانون الوضعي ـ حاكم الأمة بالحديد والنار، ومستضعفها ومهينها ومسلمها لأعدائها؛ من اليهود والنصارىٰ، ينهشوا فيها نهش الكلاب الضَّارية ـ ؛ فلقد والىٰ من أطاعه

في هذا التَّبديل، وأهان وٱستحلَّ عرض ودماء من خالفه.

فالتَّبديل يكون إما بمناقضة الخبر ـ بالإحاء الشَّيطاني المكذوب ؛ كآية الباب، والشِّعر المزخرف المرذول ـ ، فعمدة المخالفين هـٰذين الأصلين لمناقضة الخبر؛ لهذا نزَّه اللَّه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ كلامه منهما بقوله: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [الحاقة]. أو بمناقضة الأمر ـ تحليل ما حرَّمه، أو تحريم ما أحلَّه ـ وٱستحسانه وإنفاذه في الرَّعية، **فالطَّائع لهذا مشركٌ عادلٌ بربه بأقبح أنواع الشّرك ـ «شرك الطَّاعة» الذي هو أصل عبادة الشيطان ـ ؛ التي نبَّه وحذَّر منها إبراهيم** عليه السلام **أباه بقوله:** ﴿يَـٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَـٰنَ﴾ [مريم : ٤٤]؛ ولقد علم أنَّ أباه لم يكن يسجد ويركع للشيطان، **وإنما ٱتبعه في تبديل التَّوحيد وٱستحسان عبادة النَّديد، وسمَّاها له «شفعة» و«قربة» و«زلفة» كما سمَّاها وأوحاها لمشركي قريش؛ لما تبيَّن لهم قُبح فعالهم فقالوا:** ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر : ٣].

لأجل هذا التأصيل والتفصيل في التَّبديل ـ الذي مدار «شرك الطَّاعة» يدور عليه ـ صدع شيخ الإسلام ٱبن تيمية رحمه الله ـ تعالىٰ ـ بما لفظه: «**ومتىٰ ترك العالم ما علمه من كتاب اللَّه وسنَّة رسوله، وٱتبع حكم الحاكم المخالف لحكم اللَّه ورسوله كان مرتدًا كافرًا يستحق العقوبة في الدُّنيا والآخرة**» [مجموعة الفتاوىٰ ٣٥/ ٢١٨ط/ جـ ٣٧٢، ٣٧٣ ط/ ق].

ولم يعذره بالإكراه لأنَّ العالم ـ ببطلان ما دعاه إليه ذاك المبدّل؛ المخالف لحكم اللَّه ورسوله، أو العالم بأصول الشريعة وثاقب النَّظر في أحكامها ـ **عليهما أن يحميان الحوزة ويظفران بالفوزة،** فقال ما

لفظه: «ولو ضرب وحبس وأوذي بأنواع الأذىٰ ليدع ما علمه من شرع اللَّه ورسوله الذي يجب ٱتباعه وٱتبع حكم غيره، **كان مستحقًا لعذاب اللَّه بل عليه أن يصبر. وإن أوذي في اللَّه فهذه سنَّة اللَّه في الأنبياء وأتباعهم.**» [مجموعة الفتاوىٰ ٣٥/ ٢١٨ط/ جـ ٣٧٢، ٣٧٣ ط/ ق]. ولقد تقدَّم ذكره بتمامه وتفصيله في بابه ممَّا يغنينا عن إعادته هـٰهنا.

فلقد بيَّن شيخ الإسلام ٱبن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ مناط الردَّة والكفر بالملَّة يدور علىٰ هذا القبيح من الشّرك؛ «شرك الطَّاعة» الذي دعا إليه الشيطان أولياءه، فٱستجاب هذا المبدّل ـ المناقض للخبر أو الأمر ـ **وإن سمَّاها بلفظٍ ملبوسٍ، أو خفىٰ قبحها المدسوس ـ مصالح مرسلة، أو أحكام معتبرة وميسَّرة ـ ؛ بهواه المايل، ورأيه الفايل،** كما يفعل اليوم الحاكم بالقانون الوضعي، المستكبر والمستنكف المعلّل قبح فعاله ـ من إحلال تلك القوانين الوضعية وإنفاذها في الأمة ـ بعلَّة الخوف من الحلف اللَّدود ـ عباد الصليب واليهود ـ أنَّ لهم قوَّة وصولة وٱستشهد بعدَّة أمثلة مما حصل في ديار الملَّة، كـ«أفغانستان» و«العراق» و«الصومال» و«...»، وتلك هي حججٌ مبيرةٌ، وعن الحقّ محيدةٌ، وإنما فعل فعلته القبيحة، لأجل الحرص علىٰ المسرَّة المنوطة بالشَّهوة ـ ملء الكرش والمحافظة علىٰ العرش ـ والخوف من الفطام والانفصام منها؛ في نظره البائس وقنوطه اليائس ـ أنَّ الذين كرهوا ما أنزل اللَّه لا يُغلبون ولا يُقهرون ـ . وبأس ما ذهب إليه ظنّه، وبأس ما دارت عليه مطيّته، وبأس ما حوته طويّته.

ألا يرىٰ المنكوس المعتمد علىٰ الملبوس، أنَّ الكارهين للكتاب،

جهزت لهم الكتائب، وهم قلَّة قد تشبَّثوا بأصول الملَّة، يجوبون البلاد، ويدعون العباد، بالمجادلة لقاصر النَّظرة، وبالمجالدة لصاحب النَّفرة؛ الذي غايته ملء الكرش، وسيفرغها قطعًا في الحش، أنهم قهروا المسمّم وكووا أنفه بالميسم، ليعلم النَّاكص السَّاقط في حمأة الردَّة بتبديله أو المتَّبع ذلك التَّبديل ـ ولو قال أنا أنكره ـ ؛ لأنَّ ذلك نقضُ لأصل الدّين إنَّ ﴿حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [المائدة].

يقول العلاَّمة الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ في المجادلة التي ألقاها الشيطان إلىٰ أوليائه ليدحضوا بها الحقّ ما لفظه: «المناظرة التي أشرنا لها في الأيام الماضية، ووعدنا بإيضاح مبحثها هنا، وهي المناظرة التي وقعت بين «حزب الرحمن» و«حزب الشيطان» في حكم تحليل لحم الميتة وتحريمه، فحزب الشيطان يقولون: إنَّ الميتة حلالٌ، ويستدلون بوحي من وحي الشيطان، وهو أنَّ الشيطان أوحىٰ إلىٰ أصحابه وتلامذته في مكة أن ٱسألوا محمدًا عن شاة تصبح ميتة من هو الذي قتلها؟

فلما قال: اللَّه قتلها. ٱحتجوا علىٰ النبي وأصحابه في تحريمهم الميتة بفلسفة من وحي الشيطان وقالوا: ما ذبحتموه وذكيتموه بأيديكم حلال، وما ذبحه اللَّه بيده الكريمة بسكين من ذهب تقولون حرام!! فأنتم أحسن من اللَّه إذًا!!

فهذا فلسفة الشيطان ووحي إبليس ٱستدل بها كفار مكة علىٰ ٱتباع نظام الشيطان وتشريعه وقانونه بدعوىٰ أنَّ ما ذبحه اللَّه أحلّ مما ذبحه الناس، وأنَّ تذكية اللَّه أطهر من تذكية الخلق، وٱستدل أصحاب النبي ﷺ علىٰ تحريم الميتة بوحي الرحمن في قوله ـ تعالىٰ ـ : ﴿حُرِّمَتْ

﴿عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ﴾ [المائدة: ٣]. ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةَ﴾ [البقرة: ١٧٣].

فأدلىٰ هؤلاء بنصٍ من نصوص السماء، وأدلىٰ هؤلاء بفلسفة من وحي الشيطان، ووقع بينهما جدالٌ وخصامٌ، فتولىٰ رب السماوات والأرض الفتيا في ذلك بنفسه فأنزلها قرآنًا يتلىٰ في «سورة الأنعام» معلمًا بها خلقه، **أنَّ كل من يتبع نظامًا وتشريعًا وقانونًا مخالفًا لما شرعه اللَّه علىٰ لسان رسول اللَّه ﷺ فهو مشركٌ باللَّه كافرٌ متخذٌ ذلك المتبوع ربًا**، فأنزل اللَّه في ذلك قوله: «**وَلَا تَأۡكُلُواْ مِمَّا لَمۡ يُذۡكَرِ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ**» منه الميتة. أي: وإن قالوا: إنها ذكاةُ اللَّه، وأنها أطهر. ثم قال: «**وَإِنَّهُۥ لَفِسۡقٌ**» أي: إنَّ الأكل من الميتة لفسق. أي: لخروج عن طاعة الرحمن إلىٰ طاعة الشيطان. «**وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ**» من الكفرة ككفار مكة «**لِيُجَٰدِلُوكُمۡ**» لأجل أن يجادلوكم بوحي الشيطان، ما ذبحتموه حلال، وما ذبحه اللَّه حرام، فأنتم أحسن من اللَّه. ثم قال ـ وهو محل الشاهد ـ: «**وَإِنۡ أَطَعۡتُمُوهُمۡ**» أي: **ٱتبعتموهم في ذلك النظام الذي وضعه الشيطان لأتباعه وأقام دليلاً من وحيه عليه** «**إِنَّكُمۡ لَمُشۡرِكُونَ**» **هو الشّرك الأكبر المخرج من ملَّة الإسلام بإجماع المسلمين.**» [العذب النَّمير من مجالس الشنقيطي في التفسير ٥/ ٤٤١ ـ ٤٤٣].

ويقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ تحت ٱستنكار وٱستفهام «عديٍّ» لما سمع النبي ﷺ يقرأ قوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١]. ثم بيَّن له النبي ﷺ ذلك الاستنكار وقال: «**فتلك عبادتهم**» ما لفظه: «**وهذا التفسير النبوي المقتضي أنَّ كل من يتبع مشرعًا فيما أحل وحرم مخالفًا لتشريع اللَّه أنه عابدٌ له، متخذه**

ربًا، مشرك به، كافر باللَّه، هو تفسيرٌ صحيحٌ لاشكّ في صحته، والآيات القرآنية الشاهدة لصحته لا تكاد تحصيها في المصحف الكريم.

وٱعلموا أيها الإخوان أنَّ الإشراك باللَّه في حكمه والإشراك به في عبادته كلاهما بمعنىٰ واحد، لا فرق بينهما ألبتة، **فالذي يتبع نظامًا غير نظام اللَّه، وتشريعًا غير ما شرعه اللَّه، وقانونًا مخالفًا لشرع اللَّه من وضع البشر، معرضًا عن نور السماء الذي أنزله اللَّه علىٰ لسان رسوله، من كان يفعل هذا هو ومن يعبد الصنم ويسجد للوثن لا فرق بينهما ألبتة بوجه من الوجوه، فهما واحد، فكلاهما مشرك باللَّه، هذا أشرك به في عبادته، وهذا أشرك به في حكمه كلاهما سواء،** وقد قال اللَّه ـ جلَّ وعلا ـ في الإشراك به في عبادته: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف].

وقال في الإشراك به في حكمه أيضًا: **﴿لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ ۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾﴾** [الكهف].» [العذب النَّمير من مجالس الشنقيطي في التفسير ٥/ ٤٤٠، ٤٤١].

قال أبو عزير عبدالإله الحسني ـ عفا اللَّه عنه ـ : بل الإشراك في حكمه هو أقبح أنواع الشّرك ـ المسمَّىٰ «شرك الطَّاعة» ـ فإبليس ـ اللَّعين ـ أوحىٰ إلىٰ أوليائه أنظمة وتشريعات ٱستحسنوها وٱستغنوا بها عمَّا جاءت به الرسل، فكان هذا الاتباع عين العبادة التي تعبَّدوه بها، ولهذا قال إمام الحنفاء لأبيه: ﴿يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ﴾ [مريم: ٤٤].

فأعلمه أنَّ ٱتباعه في ذاك النظام والقانون المزخرف، والمسجوع بسجع

الشياطين؛ المخالف للنصوص المنقولة، وللأمور المعقولة، والمصادم للفطرة المكمَّلة، والملحد في الشرعة المنزَّهة، هي العبادة بعينها التي وبَّخ اللَّه ـ تعالىٰ ـ أصحابها بقوله: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَ﴾ [يس: ٦٠]. فلقد تعبَّدوه بهذه الأنظمة والتشريعات والقوانين المسفسفة، ولجُّوا فيها بالسفسطة، فخسروا بذلك أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ـ وذلك هو الخسران المبين ـ.

بل هذه العبادة ـ التي مدار «شرك الطَّاعة» يدور عليها ـ هي التي زادت الشيطان طغيانًا وإناسًا وٱستحسانًا وبقاءً ـ علىٰ العبادة التي تعبَّدوه بها ـ إلىٰ يوم القيامة؛ فلما عاين المصير المشؤوم قال: ﴿إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ﴾ [إبراهيم: ٢٢]، **فقد أقرَّ وٱعترف أنَّ ما كان يفعله أولياؤه هو شرك الربوبية لم يكفر به إلَّا يوم القيامة،** بل بيَّن أنَّ العبادة التي تعبَّدوه بها كانت دعوة إلىٰ هذه التنظيمات والتشريعات المزخرفة بالملبوس ـ مع ما فيها من السّم المدسوس ـ بقوله: ﴿إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُم﴾ [إبراهيم: ٢٢].

فتنبَّه أيها العاكف علىٰ القوانين الوضعية الكفرية ـ التي هي محض زُبالة الأذهان، ونخالة الأفكار، ومرذول الأقوال ـ إلىٰ هذه البراءة يوم القيامة التي تكون بينك وبين من ٱتخذته ربًا ـ وإن نفرت من ذلك نفور الوحوش ـ؛ وإن ٱسْتَشكَلت ذلك، فٱنظر إلىٰ ٱستنكار «عديٍّ» وما بيّن له بالقول الزَّكي، فلا تماري في ذلك مراءً ظاهرًا، فلقد تعبَّدت بالضلال البعيد، قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ۝١٢﴾ [الحج]، والدَّعوة سواء كانت «ٱستغاثة»

أو «ٱستعانة» بتلك التشريعات والقوانين السافلات، فهي دعوةٌ ﴿**لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ**﴾ [الحج: ١٣]. فتنبَّه أيها البليد، أنَّ ما ركنت إليه وٱستجبت لدعوته ﴿**لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ ١٣**﴾ [الحج].

وقبل أن أختم هذا العنصر، أردت أن أنبّه علىٰ بعض الكبوات، التي قد تجدها أيها القارىٰء الكريم في بعض المجلدات؛ التي شرحت السنَّة أو فسَّرت الكتاب، ومنها كبوة القاضي «ٱبن العربي» المالكي رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ لما قال ما لفظه في آية الباب: «**إنما يكون المؤمن بطاعة المشرك مشركًا إذا أطاعه في ٱعتقاده الذي هو محل الكفر والإيمان؛** فإذا أطاعه في الفعل وعقده سليم مستمر علىٰ التوحيد والتصديق فهو عاص فٱفهموا ذلك في كل موضع» [أحكام القرآن ٢/ ٢٧٥].

فالقول تنويهٌ منه؛ أنه يفرّق بين «شرك العبادة» و«شرك الطَّاعة» كالمستدلين بقوله ـ تعالىٰ ـ : ﴿**فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ١٩٠**﴾ [الأعراف]؛ ليفرّقوا بين «شرك العبادة» و«شرك الطَّاعة»؛ وٱستدلوا علىٰ ذلك بقصةٍ باطلةٍ ـ سندًا ومتنًا ـ ؛ ليذودوا بها عن الحاكم بالقانون الوضعي ـ بالشُّبهة المزيَّفة ـ ؛ ثم ليقولوا بعد ذلك: نحن نقرّ ونوافق علىٰ من حكم علىٰ هذا بالشّرك، لكن ليس الشّرك الذي يذهب أصل الدّين، وإنما المضعفه؛ **وجعلوا القصة المنكرة ـ سندًا ومتنًا ـ العمدة للاعتضاد، علىٰ ما تبيَّن قبحه**، ولقد أجهزنا علىٰ هذه الشبهة السَّمجة والعمدة اللَّججة بالقول الصواب؛ الذي منحه لنا الوهاب، في كتابنا «**مَنْهَجِ أَهْلِ السُنَّةِ فِي تَقْرِيرِ عَقِيدَةِ الأُمَّةِ**» وهو مطبوعٌ، سمَّيناه «علَّة عليلة وشبهة قبيحة في باب شرك

الطَّاعة»، فليراجعها من شاء أن يعتمد علىٰ القول المتين ليذفف علىٰ المذهب المشين ـ الذي جاء به «طائفة المرجئة الجدد» ـ الأثرية بين المعكوفتين ـ .

فهذه الكبوة كالكبوة التي عالجناها في كتابنا «**مَسْأَلَة الإِيمَان فِي كَفَتَي المِيزَان**» في باب «التَّبديل» لما قال في قوله ـ تعالىٰ ـ : ﴿**وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ** ﴿٤٤﴾﴾ [المائدة] ما لفظه: «**وهذا يختلف إن حكم بما عنده علىٰ أنه من عند اللَّه؛ فهو تبديلٌ له يوجب الكفر**» [أحكام القرآن ٢/ ١٢٧].

فقلت فيها: أنَّ مناط قوله يدور علىٰ ٱعتقاده، فهو سلك البنيَّة البدعية في دعامة الدّين ـ أعني: مسألة الإيمان ـ؛ فلقد وافق «الأشعري» رَحِمَهُ اللَّهُ ـ تعالىٰ ـ في أنَّ الإيمان: هو مجرد تصديق القلب ومعرفته، فلقد «أظهر الحكم»؛ وهو قوله: وهذا يختلف إن حكم بما عنده علىٰ أنه من عند اللَّه ـ الذي مناطه يدور علىٰ التكذيب ـ «ٱعتقاد الاسم» ـ أنَّ الإيمان مجرد تصديق القلب ومعرفته فقط ـ .

فكذلك هذه الكبوة ظاهرة هنا في قوله: «إنما يكون المؤمن بطاعة المشرك مشركًا إذا أطاعه في ٱعتقاده الذي هو محل الكفر والإيمان»؛ **أخرج العمل كليًا أن يقترن بناقضٍ من نواقض أصل الدّين** ـ ولهذا لا يعدّ ترك الصلاة من الكفر الأكبر، ولا الإعراض عن الشَّرع والإقبال علىٰ القوانين الوضعية إلَّا إذا ٱقترن معها التكذيب ـ .

وٱعلم ـ يرعاك اللَّه ـ أنَّ أهل السنَّة ـ السَّلفية الشَّرعية ـ لما يلفظون لفظة: «ٱعتقاد» أو «هذا مداره علىٰ الاعتقاد» أو «إذا زال الاعتقاد» لا

يعنون ألبتة؛ ما ذهب إليه القاضي ٱبن العربي رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ .

فالاعتقاد ينقسم إلىٰ قسمين: ٱعتقاد خاص بقول القلب: وهو «الإقرار» أو «المعرفة» ومدارهما علىٰ «التصديق» أو «التكذيب».

وٱعتقاد خاص بعمل القلب: وهو «إنشاء الالتزام»، فهذا هو عمل القلب المؤثر في الجوارح بطريقة التَّلازم، ومنه: «المحبة» و«التعظيم» و«الانقياد» و«الاستسلام» و«التعزير» ؛ إلىٰ غير ذلك من أعمال القلوب، ومناط هذه الأعمال علىٰ هذا «الإنشاء»؛ ومن الأعمال الجوارحية ما تكون مترابطة مع هذا القسم لا تنفك عنه ألبتة، فإذا ٱنتفت علمنا أنَّ هذا القسم ٱنتفىٰ؛ وإن بقي القسم الأول ـ أعني: قول القلب ـ ؛ **فلا يصح إذا بقي القسم الأول وحده أن نقول: إنَّ الاعتقاد باقٍ ولم ينتف.**

فهنا زلت أقدام المرجئة من قبل، وطائفتهم الجدد اليوم، لما علَّقوا «زوال الاعتقاد» بزوال القسم الأول ـ قول القلب المرتبط بالتصديق والتكذيب عن طريق التَّلازم ـ ، **فكفر «الاستكبار» وكفر «الإباء» وكفر «الرَّد» وكفر «الإعراض» ليس علىٰ هذا القسم ينبني بتاتًا، ولا يمتُّ إليه بصلةٍ، وإنما مناطه علىٰ عدم الانقياد للأعمال التي تثبت أصل الدّين،** فتنبَّه وٱعرف هذه التفصيلات في كلمة «الاعتقاد» وٱعلم أنه يشمل «قول القلب» و«عمل القلب» معًا؛ المؤثر في الجوارح عن طريق التَّلازم، وإياك أن يستخفَّك طائفة المرجئة الجدد ـ الأثرية بين المعكوفتين ـ ؛ فلقد لعب بهم الشيطان وأتاهم من جهة ما تميل إليه أنفسهم، فنفخوا فيه أوداجهم ـ أعني: هذا الاعتقاد الماجن ـ تارك الدّين كثوب سابري ـ ، وتسمَّنت به بطونهم؛ بما ألقيا إليهم لنشره، وإن

ٱدَّعوا غير ذلك وقالوا: بل تحسدوننا!

قلنا: علىٰ أيِّ شيءٍ نحسدكم؛ علىٰ فشو السِّمن فيكم؛ فحالكم يكذّب مقالكم، للتَّرابط الذي بينهما، فأُفٍّ لكم ولما أنتم فيه، اللَّهم باعد بيننا وبينهم بُعد المشرقين. آمين! آمين! آمين!

■ وقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ: «**من غير فرقٍ بين الخائف وغيره، إلَّا المكره**».

قلت: المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ يردد دائمًا هذه العبارة في كل أدلته التي سبقت ليس تكرارًا ولا ركاكة، وإنما ينبه دائمًا علىٰ ذلك؛ **لأنَّ أهل السنَّة ـ السَّلفية الشَّرعية ـ يتحرّون الدّقة في الألفاظ، بالأقوال المعقولة والمعاني المنقولة، ليحموا «المعنىٰ» ويحافظوا علىٰ «المبنىٰ»، فالاستفسار والتفصيل في الطَّرح هو السّمة البادية علىٰ المذهب، ولك أن تراه في هذا الشَّرح المهذَّب**. وكأنه يقول: ٱحترس! الخوف ليس عذرًا، إنما العذر في الإكراه.

وترديد ذلك في كل دليل؛ ليفصّل المدلول؛ وتلك هي عمدتنا في هذا المأمول، كما نسأله ـ تعالىٰ ـ أن نلزم هذا السَّبيل في كل شرحنا؛ لنشفي العليل ونقنع الغليل. آمين! آمين!

■ وقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ: «**فكيف بمن أطاعهم في تحليل موالاتهم، والكون معهم ونصرهم، والشَّهادة أنهم علىٰ حقّ**».

المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ من فقهه؛ وعلمه ونظره الثَّاقب فيما يدلّل عليه، يستدل لدليله بالمدلول الصحيح؛ ليقيم المدلول الأولىٰ، وهذا لا يقوم به إلَّا من كان ملمًّا بالحجة ومناطها؛ علىٰ الحجة يعتمد، وعن

الإيهام والمجمل يبتعد، فالنَّاظر المتفحّص هو الذي علم أنَّ الحكم يدور مع العلَّة وجودًا وعدمًا بالتَّمرّس، والمؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ قد أحكم هذا الباب، وتجنَّب المعاب.

فموالاة الكافرين المتربصين للدّين وحملته ريب المنون أعظم ردَّة عن الدّين عنده؛ فلهذا صدَّر قوله فيها بـ«فكيف» التي تفيد الاستفهام مع التَّعجب، والتَّعجب إنما هو للمتوقِّف في تكفير من أطاع من زيَّن وزيَّف الأدلة في موالاة العساكر التركية ـ القبورية المشركة ـ وحلَّلها، وشهد معهم الوقائع ونصرهم ـ باليد واللسان ـ وشهد أنهم علىٰ حقّ، ويزاد الكفر المغلظ، إذا كان المشهود له؛ كفرة أصلية ـ «يهودية» أو «نصرانية» أو «مجوسية» ـ كما هو واقع اليوم؛ يسمون قوة الجاسّ خلال الدّيار ـ قتلاً ونهبًا وأسرًا ـ «إستعانة»، وقوة المراغمة «ضلالة»، وهذا من الإلحاد فيما بيَّنه رب العباد.

وقوله «**الكون معهم**»: ليس فقط إذا جاسوا خلال الدّيار، إنما يشمل كل ما هو يناقض أصل الدّين أو فروعه، وأعلىٰ النقض مصادمة للدّين، ٱستحسان وتزيين وإعمال قوانين وتشريعات الكافرين، وتنفيذها في الرَّعية؛ لتكون للمنزَّهة ندّية، **وهذا عينُ الإهانة لمنهج الاستقامة، الذي ٱرتضاه المولىٰ ـ سبحانه وتعالىٰ ـ للعباد؛ ليحيوا بصالح أعمالهم البلاد.**

ومن الخذلان للمؤمنين ولدين ربّ العالمين، أنَّ الإنسان يعلم نجاسة هذه المزابل؛ المحتوية علىٰ خسَّة الرذائل ـ معايب ونواقض تلك التنظيمات والتشريعات ـ ثم يكفّ عن تبيين عوارها، وتلبيساتها

المزخرفة؛ التي هي لفطرة العباد مهدَّدة. فهذا عين التلبيس الذي يوحيه إبليس؛ ويسميه «الطريق الهيّن» وحقيقته «دهليز المداهن».

فكيف يسكت من سمع يقال عن الشّرعة المنزَّهة، التي هي للفطرة مكمَّلة: إنَّ الأنثىٰ تمتُّ بالقرابة التي يمتُّ بها الذكر، فتفضيله عليها ظلم وجور، أو أنَّ تعدد الزوجات عسرة للنفقات، لكن يزينون ٱتخاذ الخليلات، للفتك بالأرحام ولتختلط الأنساب، ويدخل في الميراث من لا حقَّ له، أو أنَّ قطع اليد للسارق عملٌ وحشيٌّ لا ينبغي في عهد النظم المدنية ـ **العهد الذي شُنأ فيه التنزيل، ورفع رأسه فيه الرذيل ـ ؟!!**

فكيف يسكت من علم الشَّرَّ الواضح، والقبح الفاضح، قد نصب المنجنيق، ثم يلزم التلفيق، لتترك الدَّهماء في العمياء؟!! **وهل الشياطين وأعوانهم من الإنس ٱستعانوا علىٰ نشر قبائحهم المبدية، وتلبيساتهم المخزية إلَّا بهذا الصنف الخبيث؛ الذي لحد في صدق الحديث؟!!**

ومن نظر في واقعنا المرير، يجد هذا الصنف يجوب البلاد؛ ويدعو العباد، للذي ٱشتمل علىٰ قبح الفساد؛ ليكون بذلك داعية علىٰ باب جهنم، من أجابه قذفه فيها؛ ورأس هذا الصنف وحربته «أحبار السُّوء»، الذين إذا سلمت لهم موائدهم وما حوته مزاودهم فلا مبالاة بما جرىٰ علىٰ الدّين.

يقول العلاَّمة ٱبن قيم الجوزية رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ ما لفظه: «فتارك حقوق اللَّه التي تجب عليه أسوأ حالاً عند اللَّه ورسوله من مرتكب المعاصي؛ فإنَّ ترك الأمر أعظم من ٱرتكاب النهي من أكثر من ثلاثين

وجهًا ذكرها شيخنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ يعني به: شيخ الإسلام ٱبن تيمية ـ في بعض تصانيفه؛ **ومن له خبرة بما بعث اللَّه به رسوله ﷺ وبما كان عليه هو وأصحابه رأىٰ أنَّ أكثر من يشار إليهم بالدّين هم أقل الناس دينًا** ـ واللَّه المستعان ـ.

وأيُّ دينٍ وأيُّ خيرٍ فيمن يرىٰ محارم اللَّه تنتهك وحدوده تضاع ودينه يترك وسنَّة رسول اللَّه ﷺ يرغب عنها وهو بارد القلب ساكت اللسان؟ شيطان أخرس! كما أنَّ المتكلم بالباطل شيطان ناطق، وهل بلية الدّين إلَّا من هؤلاء الذين إذا سلمت لهم مآكلهم ورياساتهم فلا مبالاة بما جرىٰ علىٰ الدّين؟ وخيارهم المتحزن المتلمظ، لو نوزع في بعض ما فيه غضاضة عليه في جاهه أو ماله بذل وتبذَّل وجدَّ وٱجتهد، وٱستعمل مراتب الإنكار الثلاثة بحسب وسعه. **وهؤلاء ـ مع سقوطهم من عين اللَّه ومقت اللَّه لهم ـ قد بلوا في الدُّنيا بأعظم بلية تكون وهم لا يشعرون، وهو موت القلوب**؛ فإنَّ القلب كلما كانت حياته أتم كان غضبه للَّه ورسوله أقوىٰ، وٱنتصاره للدّين أكمل.» [إعلام الموقعين عن رب العالمين ١/ الجزء الثاني/ ١١٢].

فللَّه علىٰ كل أحدٍ عبودية بحسب مرتبته، فأين العبادة التي تعبَّد بها هذا الصنف ـ صنف الموائد والمزاود أو مغيّر الشكل لأجل الأكل ـ ؟! فهو عوض أن يحرّض علىٰ تنفيذ الحقّ ويصبر عليه؛ وبما جرىٰ في سبيله حتَّىٰ يدمغ الباطل، ويجعل رضىٰ ربّ العباد، أحبّ إليه من رضىٰ العباد، تحيَّز إلىٰ الباطل ليشد عضده، بالفتاوىٰ الكاذبة، والعلل الواهية المزخرفة، ويغوص في بطون النصوص المتشابهات،

ليستخرج الشبهات ـ المركبة من حقٍّ ضئيلٍ وباطلٍ كثيرٍ ـ ليستخفَّ القلوب العمياء بذاك الدَّهاء. فلقد كثَّر سواد العاطل، بزخرفته للباطل، وشنأ الموحدين وحمىٰ حوزة المشركين، فياله من بهتان تشمئز منه فطرة الإنسان. فالشهامة تأبىٰ الرضوخ إلىٰ تلك المهانة. فماذا نقول للذي زيّن له سوء عمله فرآه حسناً؟، نقول كما قال المولىٰ ـ سبحانه وتعالىٰ ـ : ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾ [الكهف].

فهذه الآية يدخل فيها كل عامل عملاً يحسبه قربة، وإن هو إلَّا مغضبة ومبعدة عن المنهاج السليم والطريق المستقيم.

يعلق ٱبن جرير الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ علىٰ هذه الآية الكريمة؛ بعارضٍ من القول مرتبط بالمأمول، ٱستوجب ذكره لتعم الفائدة، فيقول فيه ما لفظه: «وهذا دليل علىٰ خطإ قول بعض أهل الفرق: **إنَّ اللَّه لا يحاسب الكافر إلَّا بعد علمه بوحدانية اللَّه، وقصده للكفر وتعمّده له.**

فأخبرنا اللَّه في هذه الآية أنَّ هؤلاء الكفار ما كانوا متعمدين لكفرهم، بل كانوا يحسبون ويظنون أنهم مطيعون للَّه، عابدون له، ومع ذلك الظن الخاطىء لم يقبل اللَّه عملهم، بل جعله هباءً منثورًا، وكانوا خاسرين به.» [جامع البيان عن تاويل آي القرآن ٥/ ٢١٠].

فليحترس حبر السُّوء؛ ولا يظن في تلك الزَّخرفة في النَّدوات، التي عجَّت بها القنوات، أنها قربة، وإن هي إلَّا كما قال ـ تعالىٰ ـ : ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٣٩﴾﴾

[التوبة].

وقوله «**الشهادة أنهم علىٰ حقّ**»: مع كون هذه الشهادة من الكفر المغلظ ـ إذا كانت فيما يهدم أصل الدّين ـ **قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ**: ﴿**سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ** ﴿١٩﴾﴾ [الزخرف]. فهي من عمدة ما يهين المؤمنين ويقوي شبه المشركين ليشككوا في أصل الدّين، ومن هؤلاء؛ الذين يسمّون «النُّخبة» في البلدان الإسلامية ـ أصحاب الشهادات وخرجي الجامعات ـ الذين يقولون: إنَّ الأديان الثلاثة هي الملَّة الإبراهيمية؛ «اليهودية» و«النصرانية» و«الملَّة الإسلامية» وكلها حقّ، فدعوا الناس وما يختارون.

وبسبب هؤلاء البائسين عمَّت الردَّة عن الدّين، في كثير من بلاد المسلمين، ولهذا شاهدنا تشييد الكنائس بجانب المساجد، ووضع «التوراة المحرفة» و«الإنجيل المحرف» بجانب «القرآن الكريم».

بل زاد بعض صحفية الإعلام الكاذب فوق هذا الكذب المفترىٰ، أنهم يترحمون علىٰ الكفار أصحاب النار، ولا يتحرجون من ذلك، فاللَّه اللَّه في دينكم أيها المسلمون، وٱعلموا أنَّ اللَّه ـ تعالىٰ ـ ناجزٌ وعده وهازمٌ الأحزاب وحده، فكونوا من حزبه، وٱقلعوا هذه العروق الدَّساسة، التي ألفت الخساسة.

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿**يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ** ﴿٨﴾ **هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ** ﴿٩﴾﴾ [الصف]. فزيدوا في غيّكم أيها الأنجاس؛ الذي نفث في روعكم الخنَّاس، وموتوا بغيظكم؛ فلا يكون إلَّا ما أراد اللَّه ـ تعالىٰ ـ

وإنَّ غدًا ناظره لقريب.

■ وقوله رَحِمَهُ اللَّهُ ـ تعالىٰ ـ : «**وٱستحلال دماء المسلمين وأموالهم، والخروج عن جماعة المسلمين إلىٰ جماعة المشركين؟؟**».

يقصد المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ ـ تعالىٰ ـ الذين غزوا الدّيار النَّجدية ـ الدَّولة العثمانية الماتريدية القبورية المشركة ـ ومن ظاهرهم من أعراب البادية، أو من الخانسين الشَّانئين للتوحيد المبتهجين بعبادة النَّديد، أو من والىٰ لخوفه لما جاسَّت العساكر التركية الدّيار، ليحفظ اللقمة. فكل هؤلاء شقوا عصا الطَّاعة وتمايزوا عن الجماعة؛ «موالاة» أو «مداهنة» أو «مدارة» للحفاظ علىٰ المكتسبات وجني الثمرات.

فكل هؤلاء الذي ذكرناهم ٱستحلوا دماء المسلمين وأموالهم ـ وعلىٰ رأسهم الدَّولة العثمانية ومن أعانها علىٰ ذلك ـ ، ولاشكَّ أنَّ من ٱستحل هذه «الدماء» و«الأموال» و«الأعراض» فقد كفر إجماعًا. لكن لنا وقفة مع قوله رَحِمَهُ اللَّهُ ـ تعالىٰ ـ : «**وٱستحلال دماء المسلمين وأموالهم**». **ولاشكَّ أنَّ الجاسِّين وأعوانهم ما تلفظوا بذلك «الاستحلال» الذي أثبته المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ ـ تعالىٰ ـ وصفه فيهم.**

فنظرنا فوجدنا أنَّ «الاستحلال» علىٰ قسمين: قسم مرتبط بالأعمال المنقضة لأصل الدّين، وقسم مرتبط بالأعمال المضعفة لأصل الدّين، وهذا القسم أثبته جميع الطَّوائف الباقية في دائرة الإسلام ـ ومنهم المرجئة وطائفتهم الجدد ـ ، لأنَّ مبداه علىٰ التَّلفظ بذلك الاستحلال ـ «ٱعتقاد حل المحرَّم» ـ ، وهذا ما لنا حاجة إلىٰ ذكره؛ لأنه يرتكز علىٰ أصلٍ أثبته جميع الطَّوائف، وإنما قولنا يدور: علىٰ الذي

أثبته أصحاب قحّ السنَّة ـ السَّلفية الشَّرعية ـ ولاشكَّ أنَّ المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ من أعلامها ـ الذين حموا «المبنىٰ» وحافظوا علىٰ «المعنىٰ»؛ ونفرت منه باقي الطَّوائف وعلىٰ رأسها المرجئة وطائفتهم الجدد؛ لاعتقادها الرديء في دعامة الدّين ـ أعني: مسألة الإيمان ـ ؛ لأنَّ هذا الاستحلال مرتبطٌ بالأعمال المنقضة لأصل الدّين، وعلمنا أنَّ تلك الأعمال ليس فيها تلفظٌ فكيف أثبتت وصف الاستحلال؟!!

فنظرنا فوجدنا أنَّ الإقدام علىٰ تلك الأعمال المنقضة لأصل الدّين؛ يدل دلالة واضحة علىٰ عدم تمكُّن الاستقباح في القلب، وقطعًا أنَّ الاستقباح من عمل القلب ـ الذي إذا ٱنتفىٰ علمنا أنَّ الإيمان منتفٍ ـ وهذا العمل مرتبط بعمل الجوارح عن طريق التَّلازم لا ينفك عنه ألبتة. وأحسن تأصيلٍ ، الجامع للكلام بالتَّفصيل لهذا القسم ـ المسمىٰ «عدم ٱلتزام التَّحريم» ؛ فقد وجدته لشيخ الإسلام ٱبن تيمية ـ قدَّس اللَّه روحه[١] ـ أورده لارتباطه بالمأمول؛ ولتعلم أيها القارىء الكريم أنَّ أصحاب قحّ السنَّة علىٰ بيِّنةٍ من ربهم.

يقول شيخ الإسلام ٱبن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ ما لفظه: «وبيان ذلك أنَّ من فعل المحارم مستحلاً لها فهو كافرٌ بالاتفاق، فإنه ما آمن بالقرآن من ٱستحل محارمه، وكذلك لو ٱستحلها من غير فعل، والاستحلال ٱعتقاد أنها حلالٌ له وذلك يكون تارة بٱعتقاد أنَّ اللَّه أحلَّها وتارة بٱعتقاد أنَّ اللَّه لم يحرمها، وتارة بعدم ٱعتقاد أنَّ اللَّه حرَّمها، وهذا يكون لخلل

(١) قلت: التقديس هو: «التطهير» أو «التعظيم»؛ فإذا كان من الله ـ تعالى ـ للعبد؛ فهو المعنى «التطهير»، وإذا كان من العبد ٱتجاه المولى ـ سبحانه ـ فهو بمعنى «التعظيم».

في الإيمان بالربوبية، أو لخللٍ في الإيمان بالرسالة ويكون جَحْدًا محضًا غير مبني علىٰ مقدمة.» [الصَّارم المسلول علىٰ شاتم الرسول ٣/ ٩٧١].

فهذا القسم من الاستحلال: هو ٱعتقاد حلِّ المحرَّم المبني علىٰ كفر «الجحود»، الذي يذهب «الإقرار» والذي هو من ضمن قول القلب. فالمرجئة وطائفتهم الجدد لا تثبت إلَّا هذا القسم من الاستحلال؛ الذي لابدَّ أن يظهر بواحًا ـ أعني به: أن يظهر المستحل الاعتقاد لفظًا ـ .

أما القسم الثاني من الاستحلال ـ المسمىٰ «عدم ٱلتزام التَّحريم» ـ ؛ الذي أثبته أصحاب قحّ السنَّة، وشنأته المرجئة المبتدعة؛ فقد بيّن بالقول المفصَّل، والنَّظر المؤصَّل، المعتمد علىٰ أصح المنقول، وأصرح المعقول.

يقول شيخ الإسلام ٱبن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ في هذا القسم من الاستحلال ـ وهو «عدم ٱلتزام التَّحريم» ـ ما لفظه: «وتارة يعلم أنَّ اللَّه حرَّمها، ويعلم أنَّ الرسول إنما حرَّم ما حرَّمه اللَّه، **ثم يمتنع عن ٱلتزام هذا التَّحريم، ويعاند المحرِّم، فهذا أشدُّ كفرًا ممن قبله، وقد يكون هذا مع علمه بأن من لم يلتزم هذا التَّحريم عاقبه اللَّه وعذَّبه، ثم إنَّ هذا «الامتناع» و«الإباء» إما لخللٍ في ٱعتقاد حكمة الآمر وقدرته فيعود هذا إلىٰ عدم التَّصديق بصفة من صفاته، وقد يكون مع العلم بجميع ما يصدِّق به تمرُّدًا أو ٱتباعًا لغرض النفس، وحقيقته كفرٌ؛ لكنه هذا لأنه يعترف للَّه ورسوله بكل ما أخبر به ويصدِّق بكل ما يصدِّق به المؤمنون، لكنه يكره ذلك ويبغضه ويسخطه لعدم موافقته لمراده ومشتهاه، ويقول: أنا لا أقِرّ بذلك ولا ألتزمه وأبغض هذا الحق وأنفر عنه فهذا ـ ويعني به: «الامتناع**

عن ٱلتزام التَّحريم» ـ نوعٌ غير النَّوع الأول ـ ويعني به: «ٱعتقاد حلّ المحرّم» ـ ، وتكفير هذا معلومٌ بالاضطرار من دين الإسلام، والقرآن مملوءٌ من تكفير مثل هذا النوع بل عقوبته أشد.» [الصَّارم المسلول علىٰ شاتم الرسول ٣/ ٩٧١].

فقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ : **«وقد يكون مع العلم بجميع ما يصدِّق به تمرُّدًا أو ٱتباعًا لغرض النفس، وحقيقته كفرٌ؛ لكنه هذا لأنه يعترف للَّه ورسوله بكل ما أخبر به ويصدِّق بكل ما يصدِّق به المؤمنون، لكنه يكره ذلك ويبغضه ويسخطه لعدم موافقته لمراده ومشتهاه»**.

قال أبو عزير عبدالإله الحسني ـ عفا اللَّه عنه ـ : هذا عين ما فعلت الدَّولة العثمانية ـ القبورية المشركة ـ فهي تصدّق بما صدَّق به المؤمنون، ـ ومن بينه حرمة إراقة الدَّم المسلم، أو أخذ ماله أو هتك عرضه ـ ثم تمرَّدت وٱمتنعت عن ٱلتزام ذلك؛ تبعًا لغرض النفس وما تشتهيه ـ وهو الخوف من تقويض صرح الخلافة؛ التي ٱمتدَّت إلىٰ سواحل «الجزائر» أو خروج الملك من يد «آل عثمان» ـ ، فكيف بعد ذلك؛ إذا كانت المُنتهكة حرمتهم دعاة التَّوحيد؟!؛ الذين يظهرون قبح الشّرك والنَّديد، ويدعون العباد إلىٰ الطريق التي تصلح البلاد، وتوصل إلىٰ ربّ العباد؛ ومنارها مشكاة الكتاب والسنَّة، المهدية إلىٰ رياض الجنَّة.

ثم هو عينُ ما فعل الحاكم بالقانون الوضعي ـ المُخرج من الكنَّاسة المحتوية علىٰ النَّجاسة ـ ؛ شناشن وأراء الشَّانئين الكارهين لانتشار الفضيلة، فهذا الحاكم بالزُّبالة الفكرية والرذالة القولية، يصدّق بما يصدّق به المؤمنون، **لكن تمرَّد وشنأ وحادَّ وٱمتنع عن ٱلتزام ذلك؛**

لما صادمت ما تميل إليه نفسه ـ ملء البطن، والمحافظة علىٰ السَّروات المزخرفة والمفروشة بالقطن ـ فهذه الشهوات أفضت إلىٰ تلك الشَّنآت، فقال اللَّه ـ تعالىٰ ـ في حقّه ومن يعمل مثله: ﴿ **ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ** ﴾ [محمد: ٩]. وذلك هو قول شيخ الإسلام ٱبن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ : «لكنَّه يكره ذلك ـ وهو العمل بالشِّرعة المنزَّهة والتَّحاكم إليها ـ ويبغضه ويسخطه لعدم موافقته لمراده ومشتهاه». **ومراده ومشتهاه: هو ما يدور تفريغه في الحش، فكيف كانت بعد ذلك عاقبة فعله؟!!**

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ٩﴾ [محمد]؛ الحبوطُ الكليُّ الذي يهدم أصل الدّين، ويثبت الموالاة لإبليس اللَّعين، وقطعًا سوف يكفر به يوم القيامة ويقول له: ﴿**فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ۖ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ**﴾ [إبراهيم: ٢٢]. **فلولا فسقك وهواك المتَّبع ما ٱستجبت لدعوتي.**

ثم إنَّ هذا الحاكم بالقانون الوضعي، لم يقنع بذاك الحبوط الكلي لأعماله، وتلك الردَّة المجرَّدة، حتَّىٰ أضاف إليها ردَّة أخرىٰ، فأصبحت مغلَّظة من كل الجوانب، لما قال لعبَّاد الصليب واليهود ـ الكارهين لما نزَّل اللَّه ـ تعالىٰ ـ : ﴿**سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ ۖ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ٢٦**﴾ [محمد].

وهذا البعض الذي أطاعهم فيه: هو محاربة أولياء الرحمن، والاستئناس بأولياء الشيطان؛ فأعلن «الكراهة» و«الاشمئزاز» لما نزَّل اللَّه، وذهب يفتك بأولياء اللَّه ـ تعالىٰ ـ قتلاً وأسرًا وتشريدًا ـ ؛ بالألفاظ المقلوبة والأقوال المرذولة، كـ«الإرهاب» و«الفرقة

الضَّالة» و«الخوارج» ـ بالطبع لأنهم خرجوا علىٰ الحلف اللَّدود ـ عبَّاد الصليب واليهود وأعوانه ـ ؛ وهذا الحاكم الفاعل في هذه الزمرة الزَّكية تلك الأفاعيل منهم؛ لهذا وجب قلعه ليستراح منه. **قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:** ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِي ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي ٱلدُّنْيَاۖ وَلَهُمْ فِي ٱلْأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾﴾ [المائدة].

يقول القاضي عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ ما لفظه: «فلو طرأ عليه كفرٌ وتغييرٌ للشَّرع، ـ يعني: الحاكم ـ أو بدعة، **خرج عن حكم الولاية وسقطت طاعته، ووجب علىٰ المسلمين القيام عليه وخلعه ونصب إمام عادل إن أمكنهم ذلك، فإن لم يقع ذلك إلَّا لطائفة وجب عليهم القيام بخلع الكافر.**» [المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ١٢/ ٤٣٣ تحت حديث: «**إلَّا أن تروا كفرًا بواحًا عندكم من اللَّه فيه برهانٌ**» رقم ٤٧٤٧ باب: وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، وتحريمها في المعصية].

فقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ : «**فإن لم يقع ذلك إلَّا لطائفة وجب عليهم القيام بخلع الكافر**».

قلت: هذا عين ما تفعله الموحّدة الشَّانئة للمندِّدة، وقطعًا الحاكم بالقانون الوضعي منهم وعلىٰ رأسهم؛ في هذه الأيام وفي أرجاء المعمورة؛ وإن سفّهت أحلامهم وٱزدرأت قلَّتهم؛ فسوف ينصرهم اللَّه ـ تعالىٰ ـ ويغضب لهم، لأنهم أولياؤه. **قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:** ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ﴾ [المجادلة: ٢١]. ولاشكَّ أنهم من أتباع الرسل،

بل صفوة الأتباع؛ الذي حافظوا علىٰ ميراث الأصحاب، وقلعوا كل مشرك ومسرف كذَّاب؛ بارك اللَّه ـ تعالىٰ ـ قَلْعَهم وحمىٰ حوزتهم وجعل قَلْعَتهم ملجأ لكل حبيب، له في العبودية الحقَّة نصيب. آمين! آمين! آمين!

وبشائر ذلك قد لاحت في الأفق، وٱستبشر بها الموفَّق، أما الكاره لما نزَّل اللَّه ـ تعالىٰ ـ ؛ كان مصيره مشؤومًا، وفي جهنَّم ملومًا. **يَقُولُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:** ﴿ **فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٢٨﴾** ﴾ [محمد].

فبعد ذكرنا للقسم الثاني من قسمي الاستحلال ـ وهو «عدم ٱلتزام التَّحريم» ـ ، الذي أصَّله وفصَّله شيخ الإسلام ٱبن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ ، أردنا بعونٍ من اللَّه ـ تعالىٰ ـ أن نحتج لذلك القول الزَّكي؛ الذي خرج بسبب طرحٍ ذكيٍّ؛ **لأنَّ أقوال العلماء يُحتج لها بالأدلة الشَّرعية، ولا يُحتج بها علىٰ الأدلة الشَّرعية؛ فالدَّليلُ الشَّرعيُّ هو منار السَّبيل، وإذا خلىٰ من كلام «العالم» أو «المحقّق» لم يقبله اللَّبيب**، ولهذا كان يقول دائمًا شيخ الإسلام ٱبن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ : «**من فارق الدَّليل ضلَّ السَّبيل**»، وهذا من جوامع الكلم، علىٰ صدقه دلالات واضحات؛ من «الكتاب» و«السنَّة» و«آثار الصحابة» و«الاعتبار وأصول الشريعة».

ثم إنَّ المرجئة وطائفتهم الجدد اليوم، لما نفرت من هذا القسم؛ ليس لصعوبة فهمه؛ فهو جليٌّ وميسَّرٌ، وإنما كان بسبب ٱعتقاد رديء تشربته قلوبهم موافقة لهواها وما سكنت إليه نفوسهم.

«فإنَّ الجاهل في كلامه علىٰ الأشخاص والطَّوائف والمقالات، بمنزلة الذباب الذي لا يقع إلَّا علىٰ العقير، ولا يقع علىٰ الصحيح، والعاقل يزن الأمور جميعًا هذا وهذا.» [منهاج السنَّة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية ٣/ ٦٠٧ ط/ جـ٦/ ١٥٠ ط/ ق].

ولاشكَّ أنَّ طائفة المرجئة الجدد لما فقدوا العقل، لم يبصروا النَّقل، فأبعدوا النُّجعة بتلك الإشارات، وما زيَّفوه من التحقيقات ـ التي لو جعلت في ظرفٍ لوسعته ـ ، فصار بما أبدوه من فضائح مرديات، وقبائح مبديات، القريب من العلم بعيدًا، واليسير منه عسيرًا. فلا داعي للإطالة في تلك الشَّنائع التي سوَّدوا؛ وبها ألحدوا، فليس عليها أثارة من علمِ نقلٍ ولا صحة عقلٍ؛ فلنترك عارض القول ونرجع إلىٰ المأمول.

نقول في الاحتجاج للتَّعليق وباللَّه ـ تعالى ـ التَّوفيق:

ٱنظر ـ أرشدك اللَّه ـ إلىٰ كلام «حذيفة بن اليمان» الذي ذكرناه سابقًا، وتأمل قوله رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ : «... **ولكنهم كانوا إذا أحلُّوا لهم شيئًا ٱستحلوه،** ...». فهؤلاء المقلّدة والأتباع ما تلفظوا بذاك الاستحلال؛ وإنما لم يلتزموا التَّحريم، ووافقوا الرهبان في باطلهم، فأفضىٰ بهم عدم ٱلتزامهم إلىٰ تلك الربوبية التي ٱستنكرها «عديُّ بن حاتم» رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

وٱنظر ـ أرشدك اللَّه ـ إلىٰ قول «البراء» لما قال ما لفظه: «لقيت عمي ومعه راية، فقلت له: أين تريد؟ قال: بعثني رسول اللَّه ﷺ إلىٰ رجلٍ نكح ٱمرأة أبيه؛ **فأمرني أن أضرب عنقه، وآخذ ماله.**» [صحيح سنن أبي داود رقم ٤٤٥٧ وصحيح سنن الترمذي رقم ١٣٦٢ وصحيح سنن ٱبن ماجة رقم ٢٦٠٧].

وكما تعلم أيها النَّاظر المتفحِّص، أنَّ ضرب العنق مع تخميس المال دلَّ علىٰ أنه كان مرتدًا مستحلاً لذلك، ولكن هو لم يبح بذلك الاستحلال، وإنما عدم ٱلتزامه بذاك التَّحريم الذي ينقض أصل الدّين، أظهر ذلك؛ والفعلة الذي أقدم عليها هذا الرجل؛ أظهرت مكنون ٱعتقاده، وهو كما قال شيخ الإسلام ٱبن تيمية: «... **ثم يمتنع عن ٱلتزام هذا التَّحريم ويعاند المحرِّم فهذا أشد كفرًا ممن قبله** ـ ويعني به: ٱستحلال القسم الأول؛ **ٱعتقاد حلّ المحرَّم** ـ ».

يقول الإمام الطحاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ في حديث «البراء» ما لفظه: «**وهو أنَّ ذلك المتزوج، فعل ما فعل من ذلك، علىٰ الاستحلال، كما كانوا يفعلون في الجاهلية، فصار بذلك مرتدًا**، فأمر رسول اللَّه ﷺ أن يفعل به ما يفعل بالمرتد ـ إلىٰ أن قال ـ : حدثنا محمد بن علي بن داود، وفهد، ومحمد بن الورد، قالوا: حدثنا يوسف بن منازل الكوفي، قال: ثنا عبداللَّه بن إدريس، عن خالد بن أبي كريمة، عن معاوية بن قرة، عن أبيه: «أنَّ النبي ﷺ بعث جده معاوية إلىٰ رجل عرَّس بٱمرأة أبيه أن يضرب عنقه ويخمّس ماله».

فلما أمر رسول اللَّه ﷺ في هٰذين الحديثين بأخذ مال المتزوج وتخميسه دلَّ ذلك أنَّ المتزوج كان بتزوجه مرتدًا محاربًا فوجب أن يقتل لردَّته.» [شرح معاني الآثار ٣/ ٣٠، ٤١].

وكما تعلم ـ أرشدك اللَّه ـ إنَّ الطحاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ كبيرٌ من كبراء أئمة المرجئة؛ وصدر منه هذا القول؛ لأنه لا يستطيع دفعه لحجة الأثر في إثبات القسم الثاني من قسمي الاستحلال، وهو «عدم ٱلتزام التَّحريم»؛ وهذا أثبته الفعل المجرَّد فقط بغير النَّظر إلىٰ الاعتقاد ـ الذي

لم يبح به ذاك المقدم علىٰ تزوج ٱمرأة أبيه ـ، والطحاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ قال ذاك القول الصحيح؛ وهو القائل في عقيدته: «ولا يخرج العبد من الإيمان إلَّا بجحود ما أدخله فيه».

وكما تعلم ـ عصمك اللَّه ـ من النَّواكة المحاكة عند طائفة المرجئة الجدد ـ الأثرية بين المعكوفتين ـ أنَّ ذاك المستحل ليس بجاحد، والجحود ينفي قول القلب، ولابدَّ أن يظهر بواحًا. ولهذا نقول لهم: هنا وقف حماركم عند العقبة.

فبسبب سلوكهم المذهب المهين، المدعَّم بالقول المشين، تناقضوا وٱضطربوا لما أصلوه من أصلٍ فاسدٍ لا يلتئم عليه جمع النُّصوص. فتاهوا في فجوجه، ولقد أوضحنا هذه المسألة ـ بتأصيلٍ وتفصيلٍ ـ في كتابنا «*مَسْأَلَة الإِيمَان فِي كَفَّتَي المِيزَان*» باب: معنىٰ الاستحلال عند شيخ الإسلام «ٱبن تيمية» رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فراجعه إن شئت أن تكون رزينًا، ويصبح قولك متينًا؛ إذا لجَّ الملاجُّ، **فتقوده به إلىٰ تعديل طبعه، ونصيحته، وتفهيمه ما أشكل عليه، وتقبيح القبيح لديه، وكما تعلم أنَّ هذا العمل من أفضل القربات عند اللَّه ـ عزَّ وجلَّ ـ ولو كان فيه إلَّا إثبات الأصل، ورفع الجهل، لكفىٰ، كيف وضرر الجهل قد أصاب الذين هم للعلم مختلسة؛ وقد أخفوه بوضع العمائم والطَّيالسة، وسلكوا الفجاج في اللِّجاج؟!!**

■ وقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ : «**فهؤلاء أولىٰ بالكفر والشّرك، ممَّن وافقهم على أنَّ الميتة حلالٌ**».

فالموالون ـ للدَّولة الجاسَّة ـ أولىٰ بالكفر والردَّة عن الدّين، ممَّن

وافق علىٰ أنَّ الميتة حلالٌ، وتزداد غلظ الردَّة، إذا كان الجاسُّون خلال الدّيار أعداء تقلديين ـ من «فرسٍ» و«يهودٍ» و«صلبيين» ـ ؛ وقد عاين المشاهد اليوم، ما حوته رايات الحاقد.

يقول العلاَّمة الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ تعالىٰ ـ ما لفظه: «ٱعلم أنَّ تحليل الميتة وتحريمها ليس عقيدة من العقائد، ولا أصلاً من الأصول، وإنما هو فرعٌ من الفروع.» [العذب النَّمير من مجالس الشنقيطي في التَّفسير ١/ ٣٧١].

فٱنظر ـ أرشدك اللَّه ـ إلىٰ أعمال الموالين اليوم، ترىٰ كم جنوا علىٰ الدّين، ما تركوا دهليزًا في هذه الولاية القبيحة إلَّا دخلوه؛ وتوعَّدوا الذين علىٰ الثغور، الويل والثبور؛ علىٰ حرصهم علىٰ أن لا يؤتىٰ الإسلام من قبلهم، فنبزوهم بالألقاب، وأوغلوا في العتاب؛ علىٰ الاعتصام بالسنَّة والكتاب، والمعتصم بما عصم اللَّه؛ ليس كالوالج فيما قسم اللَّه، فٱنظر بعقلك وٱعمل صافي فكرك وتدبَّر حال موالين للكافرين الفاجرين كيف حلُّوا قومهم دار البوار؛ ﴿ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٢٩﴾ ﴾ [إبراهيم].

أنتهى بحمد الله ـ تعالى ـ

«الجُزء الأول»

من شرح

«الدَّلائِل فِي حُكْم مُوالاَة أهْل الإِشْرَاك»

ويليه «الجُزء الثَّاني»

وأوَّله «الدَّليل الثَّاني عشر»